الدكتور عبد النعيم حسنين

حقيقة
جمال الدين الأفغاني



الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م





الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت ٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢/ ٣٥٦٣٣
فرع المنصـــورة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٣٣ ص ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24007
فرع القاهـــرة : ٤١ ش شريف ت ٧٤١٩٩٧ / ٧٥٤٦٠٦

حقيقة

جمال الدين الأفغانى

الجزء الثانى

مجموعة وثائق ومذكرات خاصة

ترجمة ودراسة وتعليق

الدكتور عبد النعيم حسنين

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نشرنا فى العام الماضي بتوفيق من الله كتابا عن جمال الدين تحت عنوان «حقيقة جمال الدين الأفغانى» أحد رواد الإصلاح فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث فقد قضى حياته كلها داعياً إلى توحيد العالم الإسلامى ، وتحرير شعوبه من الاستعمار والاستغلال والغفلة والضياع ، ووفق إلى حد كبير فى دعوته للإصلاح وزار من أجلها كثيرا من الدول الإسلامية والشرقية والأوربية ، واتصل بساستها وقادة الفكر فيها ، مما جعل اسمه معروفا ، وصيته ذائعا ذيوعا عجيبا ، فصار يعد من كبار المصلحين فى العالم ، من الرجال الذين حاولوا توجيه سير التاريخ ، وتغيير مجرى الحياة فى البلاد التى عاشوا فيها ، وكان هدفه الأسمى رقى الشعوب الإسلامية وارتفاع قدرها ، وعلو شأنها ، حتى يستعيد المسلمون أمجادهم القديمة ، ويقودوا ركب البشرية ، وتكون لهم حضارة زاهرة فاضلة ، روحية ومادية ، تسعد بها الإنسانية ، فى حياتيها الدنيوية والأخروية .

فليس عجيبا أن نرى الشعوب الإسلامية تقدر جمال الدين وتعتز به ، وتعده من مفاخرها ، وملكا لها جميعا ، فتعنى بدراسته ، وكشف جوانب شخصيته ، وتسعى إلى تسجيل أفكاره وآرائه ، وتعمل على تمجيد ذكراه ، وترى فى هذا كله دليلا على يقظتها ، وبرهانا على حيويتها ، واستعدادها للسير فى طريق الرقى والازدهار .

وقد حرصنا فى كتاب «حقيقة جمال الدين الأفغانى» الذى نشر فى العام الماضى ، على كشف هذه الحقيقة ، بعد ترجمة كتاب لطف الله –ابن أخت جمال الدين — من الفارسية إلى العربية ، ودراسته والتعليق عليه ، وبعد أن قمت بنفسى بزيارة قرية أسد آباد بالقرب من همدان ، والتأكد من وجود أسرة جمال الدين بهذه القرية ، فثبت لنا أنه إيرانى الأصل ، شيعى المذهب .

وكان ما ثبت لنا يغاير ما اشتهر من أمر جمال الدين ، فهو معروف بانتسابه إلى

بلاد الأفغان ، وبأنه سنى المذهب ، وكان جمال الدين نفسه يحرص على تلقيـ
نفسه بالأفغانى ، كما كان يفضل الظهور فى صورة عالم من علماء أهل السنة
البلاد الإسلامية المختلفة التى زارها ، غير وطنه الأصلى إيران ، وكان حرصه هـ
لازما لإنجاح دعوته الإصلاحية ، ونشر أفكاره فى الدول الإسلامية الخاص
لسلطان الدولة العثمانية ، مقر الخلافة الإسلامية السنية .

وقد رأينا كشف هذا الجانب من جوانب شخصية جمال الدين ، وإثباته بالأد
الواضحة ، التى لا تقبل شكا ولا جدلا ، لأن إثبات الحقيقة العلمية هو غاية
يهدف إليه الدارسون ، خدمة للعلم ، وتصحيحا لخطأ شائع رائج معروف بي
الناس ، بلغ من الرواج درجة جعلته يطغى على الحقيقة .

وقلناإن كشف حقيقة جمال الدين ، لايحط من قدره ذرة ، ولا يؤثر فى مكان
شيئا ، بل لعل ذكر حقيقته ، يرفع من مكانته ، ويزيد من قدره ، ويبين مد
النجاح الذى حققه فى دعوته الإصلاحية ، لتحقيق الوحدة الإسلامية ، برغ
كونه شيعيا يدعو فى بلاد أكثرها بلاد سنية مما يصنع فى طريقه كثيرا من العوائ
والعقبات ، ويجعله معرضا ، لأن تحاك ضده المؤامرات .

وبينا كذلك أن شخصية جمال الدين ملك للأمم الإسلامية جميعها ، فسو
كان أفغانيا سنيا أم إيرانيا شيعيا ، فإنه مصلح إسلامى ، وبطل من أبطال تحر
المسلمين ، يزهو به كل مسلم أيا كان موطنه ، ولايضير هذا قطرا مسلما مجاهـ
عزيزا كأفغانستان التى كانت هى وإيران تشكلان دولة واحدة فى أكثر عصو
التاريخ الإسلامى ، وهما تشتركان فى الدين وفى اللغة ، وفى كثير من ألوان الترا
الإسلامى التى تعد من مفاخر المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم
وقد عاش فى هذه الدولة الإسلامية كثير من علماء المسلمين فى مختلف العلو
والفنون ، وكانوا علماء أفذاذا تفخر بهم الحضارة الإسلامية بخاصة ، وحضار
البشرية كلها بعامة .

فلن يضير أى قطر إسلامى إثبات حقيقة أن جمال الدين إيرانى الأصل ، شيعى
المذهب ، وأنه استفاد من لقب الأفغانى ـــ الذى منح له أثناء إقامته فى أفغانستان ـ
فى زيارة الدول الإسلامية ، وفى مقدمتها الدولة العثمانية مقر الخلافة السنية ونشـ

دعوته الإصلاحية ، الرامية إلى توحيد العالم الإسلامى ، فلا يؤثر إثبات حقيقته فى تقديره ، مادامت الأقطار الإسلامية – جميعها – تعده ملكا لها ، وجزءا من مفاخرها ، كما أن الدارسين – أينما وجدوا – يرحبون بإثبات هذه الحقيقة وكشفها حتى تكون نتائج دراساتهم صحيحة مفيدة ، ذات قيمة علمية .

وقد ذكرنا العديد من الأدلة التى تثبت أن جمال الدين – المعروف بالأفغانى – فى الحقيقة إيرانى الأصل شيعى المذهب ، وأنه من المصلحين الذين يعدون ملكا للمسلمين فى جميع أقطارهم ، لأنه كان يدعو إلى توحيد الدول الإسلامية ، وجمع شمل المسلمين فى وحدة شاملة ترفع قدرهم ، وتعلى شأنهم .

وقلنا – بعد ذكر هذه الأدلة – إن هناك مجموعة من الوثائق والمذكرات الخاصة بجمال الدين نشرت أخيرا نرجو أن تكون فصل الخطاب فى موضوع جمال الدين الذى مازال يحظى باهتمام الناس إلى يومنا هذا .

ونحن نقدم فى هذا الكتاب ، الذى يعد الجزء الثانى من حقيقة جمال الدين الأفغانى ترجمة ودراسة وتعليقا على هذه الوثائق والمذكرات ، حتى تزداد حقيقة جمال الدين وضوحا وثبوتا .

والله نسأل أن يأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى طريق الهدى والرشاد ، وأن يهديها الصراط المستقيم حتى تظفر بالعزة والكرامة والسعادة فى الدنيا والآخرة .

ولا شك فى أن أروع إحياء لذكرى جمال الدين – باعتباره مصلحا إسلاميا – هو أن تخرج أفكاره إلى حيز التنفيذ ، وتحاول الدول الإسلامية توحيد صفوفها ، وتقوية جبهتها ، واستعادة مكانتها ، حتى يؤتى غرس جمال الدين أكله كل حين بإذن ربه ، فتسعد روحه الهائمة ، حين تصبح مبادئه حية قائمة .

والله هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهو المستعان وعليه التكلان .

القاهرة فى ٩ شوال ١٤٠٧هـ
الموافق ٥ يونية ١٩٨٧م

تمهيد :

قبل أن أعرض ترجمة ودراسة وتعليقا على مجموعة الوثائق والمذكرات الخ
بجمال الدين المعروف بالأفغانى ، أرى من الواجب -أولا- أن أعرف بهذه الو
والمذكرات ، أو بعبارة أخرى أن أقوم بدراسة حولها ، لأعرف مصادر ، وط
جمعها وتبويبها ، ثم نشرها ، ليطلع عليها المهتمون بدراسة جمال الدين ، .
يستطيعوا أن يكشفوا حقيقته ، ويدرسوا مراحل حياته المختلفة ، ويتفهموا أفكـ
الإصلاحية ، وأسلوبه العملى فى الإصلاح ، وهكذا تتضح جوانب شخصية ج
الدين ، وتظهر ملامح صورته على حقيقتها ، ويتيسر تقويم مابذله جمال الدين
جهود فى سبيل نشر مبادىء دعوته الإصلاحية ، وتحقيق هدفه الأسمى ألا و
توحيد العالم الإسلامى ، وبهذا يحتل جمال الدين المكان اللائق به بين ر
الإصلاح فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث .

ومجموعة الوثائق والمذكرات الخاصة بجمال الدين التى سأعرضها فى ،
الكتاب -مترجمة ومدروسة ومعلقا عليها- قد نشرت بواسطة جامعة طهران
عام ١٣٤٢ هجرية شمسية أى منذ ربع قرن ، وهى الكتاب رقم ٨٤١
مطبوعات الجامعة المذكورة .

وعنوان الكتاب الذى يضم هذه الوثائق والمذكرات بالفارسية هو :
«مجموعۀ أسناد ومدارك چاپ نشده دربارۀ سيد جمال الدين مشهور بأفغانى
وترجمة هذا العنوان بالعربية هى :

«مجموعة أسانيد ووثائق غير مطبوعة تتعلق بالسيد جمال الدين المشهو
بالأفغانى»

وقد قام بجمع هذه الأسانيد والوثائق وتنظيمها — كما ذكر على غلاف الكتاب — ك
من أصغر مهدوى وإيرج أفشار ، ويبدو من الفهرس الذى أعده الأستاذان اللذا
جمعا هذه الوثائق ونظماها ، أن الوثائق التى نشراها لأول مرة ، بعد مرو
سبعين عاما على وفاة جمال الدين ، على جانب كبير من الأهمية ، لأن الكثير منـ
مكتوب بخط جمال الدين نفسه ، أو بخط أصدقائه المقربين إليه ، فهى وثائق

صحيحة لايرق إليها شك ، كما أن الكتاب ضم صور هذه الوثائق حتى يزيدها أهمية وقوة .

وقد كتب الأستاذان المذكوران مقدمة للكتاب الذى يضم هذه الوثائق الجديدة قالا فيها :

«إن ماينشر فى صفحات هذا الكتاب مجموعة من الوثائق والأسانيد التى لم تطبع من قبل ، وهى متعلقة بحياة السيد جمال الدين وأفكاره ، وهو الرجل السياسى الشرقى المشهور فى القرن الماضى ، وهذه الوثائق والأسانيد بدون شك ستساعد مساعدة كبيرة ومهمة على تكميل وتصحيح معلوماتنا عن ظروف حياة هذا الرجل ، المليئة بالأحداث الجسام ، وعن مبادئه وأفكاره الثورية المؤثرة»[1].

وتلقى هذه الوثائق الضوء على مراحل حياة جمال الدين بعامة ، وأحداث السنوات الثلاثين الأولى من عمره بخاصة ، وهى مرحلة من عمره ، لم تكن لدى الباحثين معلومات كافية عنها .

كما تدل هذه الوثائق على أن جمال الدين لم يكن فكره مرتبطا بدولة من الدول الإسلامية ، وإنما كان يفكر فى تحرير دول العالم الإسلامى جميعها ، وتوحيد صفوف المسلمين حتى ينتصروا ، وتعود إليهم عزتهم وكرامتهم .

وكانت أسفار جمال الدين وزياراته لدول العالم الإسلامى المختلفة من أجل تحقيق هدفه المنشود الذى ضحى فى سبيل بلوغه بكل مرتخص وغال ، وواجه كثيرا من المؤامرات فكان يُستقبل — أولا — بالحفاوة والتكريم ثم لايلبث أن يُخرج مطرودا مشيعا باللعنات ، نتيجة لما دبر له من دسائس ومؤامرات .

وكان أنصار جمال الدين فى كل دولة يزورها يتعرضون بعد طرده منها لكثير من ألوان الاضطهاد والتعذيب .

وستساعد الوثائق والأسانيد الجديدة على توضيح أشياء كانت لاتزال غير واضحة تماما قبل نشر هذه الوثائق كالمعلومات الخاصة بمراحل دراسة جمال الدين المختلفة ، والكتب والمقالات التى كتبها فى سائر الدول التى زارها ، لأن جمال الدين

---

(١) مجموعة اسناد ومدارك چاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور بأفغانى : مقدمة ، ص هـ .

كان له نشاط سياسى فى هذه الدول ، فظهر نشاطه السياسى فى أفغانستان والهند ومصر وتركية وإيران ، فكان يكتب المقالات ويلقى الخطب المثيرة ، ويدعو فيها المسلمين فى الدولة التى يزورها إلى تنظيم صفوفهم ، والمطالبة بحقوقهم ، والثورة فى وجه الاستعمار وأعوانه ، وكان مصيره الطرد والإخراج من كل دولة زارها من الدول التى ذكرناها ، ولكنه ظل صامدا يدعو إلى إنشاء اتحاد إسلامى ينظم صفوف المسلمين ، ويوحّد جهودهم ، ويساعدهم على تحقيق النصر على أعدائهم حتى آخر لحظة من حياته .

وقد بلغت شهرته السياسية أوجها فى أثناء إقامته فى كل من باريس ولندن ، لأنه استطاع فى أثناء هذه الإقامة أن ينشر الدعوة إلى ضرورة إنشاء «اتحاد إسلامى» يوحد صفوف الشعوب الإسلامية ، ويؤلف بين دولها من أجل خيرها جميعا ، وقد رفع صوته بهذه الدعوة عن طريق الخطب والمقالات وإصدار جريدة تعبر عن رأيه وتشرح فكرته ، والاتصال بالمفكرين والساسة فى الدول الأوربية العظمى فى عصره ، ووفق فى جذب أنظار هؤلاء المفكرين والساسة إليه ، واهتمامهم بأفكاره ومقولاته .

ومما يسعد الدارسين لشخصية جمال الدين ودعوته الإصلاحية أن الوثائق والأسانيد التى تيسر الدراسة موجودة محفوظة ، لم تصبها آفة التشتت والزوال ، ويمكن لكل راغب فى دراسة هذا المصلح الكبير أن يطلع على الوثائق والأسانيد التى تعينه فى دراسته ، وتيسر له مهمته .

وكثير من هذه الوثائق والأسانيد بخط يد جمال الدين نفسه فى صورة مذكرات دونها ، أو خطابات شخصية كتبها لأصدقائه وأقاربه ، أو مقالات دبَّجها ، وعرض فيها أفكاره ومبادىء دعوته الإصلاحية ، وتتضمن جميعها معلومات قيمة ، لا غنى عنها للراغبين فى دراسة جمال الدين .

والوثائق والأسانيد –التى أشرنا إليها– ثلاث مجموعات : المجموعة الأولى منها أكثر المجموعات أهمية ، لأنها تضم الخطابات والأوراق والمذكرات والكتب والمقالات والصور التى كانت لجمال الدين ، وهى كلها محفوظة فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب ، وقد أودعها جمال الدين نفسه لدى صديقه المذكور فى أثناء رحلتيه اللتين قام بهما فى عام ١٣٠٤هـ و ١٣٠٧هـ و (١٨٨٧ و ١٨٩٠م) ، لأنه فى كل رحلة منهما كان ينزل ضيفا فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب ، الذى كان

متعلقا بجمال الدين تعلقا عجيبا ، وكان يعد نفسه مُريداً له ، ويعامله معاملة المريد لشيخه ، فيجله إجلالا عظيما ، ويثنى على ورعه وسموه الروحى ثناء كثيرا .

وهذه الوثائق لها أهمية كبيرة فى التعريف بجمال الدين والوقوف على مراحل حياته المختلفة ، وما صادفه فى أثناء رحلة حياته من عقبات وصعوبات ومشكلات ، كما تبين الحقائق التى تلزم معرفتها عن أصله ووطنه وأسرته ومذهبه الدينى وأسلوب تفكيره ومنهجه فى الحياه ، وتشرح مبادىء دعوته الإصلاحية ، وتسجل ما صادفه فى أثناء رحلاته التى قام بها شرقا وغربا ، وتحكى ذكريات سنوات دراسته -أثناء طلبه للعلم- كما تروى أخباره حين كان يقوم بالتدريس لطلابه ومريديه فى البلاد الإسلامية المختلفة التى تيسرت له زيارتها .

وتسجل الوثائق كذلك علاقاته واتصالاته بكبار الشخصيات المهمة الذين التقى بهم فى كل من أفغانستان وانجلترا ومصر وتركيا وتتضمن معلومات جديدة بالغة الأهمية ، لم تكن معروفة قبل نشر هذه الوثائق .

والشيء الذى لاشك فيه أن كل مهتم بدراسة شخصية جمال الدين وأفكاره ومنهجه فى إصلاح أحوال الدول الإسلامية يسعده وييسر دراسته نشر مثل هذه الوثائق التى ستجعل هذه الدراسة تحقق نتائج علمية دقيقة ، وتضيف إلى العلم جديداً ، لأنها ستدرس شخصية جمال الدين وأفكاره ومراحل حياته المختلفة دارسة صحيحة متكاملة ، مدعمة بالوثائق والأدلة الثابتة التى لايجد الشك إليها سبيلا .

ولهذا سنحرص على نقل هذا الجزء من الوثائق إلى لغتنا العربية ونشرها فى هذا الجزء الثانى من كتابنا هذا «حقيقة جمال الدين الأفغانى» حتى لايبقى هناك شك فى كل مايتعلق بهذه الشخصية الفذة .

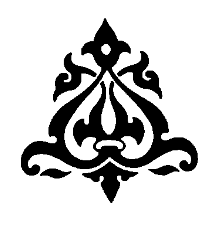
أما المجموعة الثانية من الوثائق فهى أسانيد خاصة بأسرة أمين الضرب وهى تضم خطابات كتبها جمال الدين للحاج محمد حسن أمين الضرب والحاج محمد حسين أغا أمين الضرب الثانى وتتضمن هذه الخطابات معلومات مفيدة عن نشاط جمال الدين فى خارج وطنه ، وفيها إشارات إلى حسابات جمال الدين ومعاملاته فى الخارج .

وأما المجموعة الثالثة من الوثائق فهى عبارة عن شرح لبعض الأسانيد المختلفة التى

استطاع آيرج أفشار ــ أحد الأستاذين اللذين قاما بجمع الوثائق وترتيبها وتنسيقها ــ أن يحصل عليها من مكتبات مشهد وباريس واسلامبول .

وقد ظلت الوثائق والأسانيد والأوراق والكتب -الخاصة بجمال الدين- مدة طويلة فى منزل أمين الضرب وكان الحاج محمد حسين أغا -أمين الضرب الثانى- يتولى حراستها والمحافظة عليها ، إلى أن قام ابنه الدكتور أصغر مهدوى الأستاذ المساعد بجامعة طهران بفصل هذه الوثائق والأسانيد المهمة عن مكتبة أبيه وتعاون معه صديقه الحميم آيرج أفشار فى تنظيمها وترتيبها وتبويبها ووضعها فى متناول أيدى الدارسين والمحققين والراغبين فى دراسة جمال الدين .

وإنها لسعادة كبرى لنا أن نوفق إلى الحصول عل نسخة من هذه الوثائق والأسانيد القيمة حتى نستكمل دراستنا لشخصية جمال الدين وأفكاره ومبادىء دعوته الإصلاحية ، ونكشف حقيقته خدمة للعلم ، وإنصافا للرجل ، وإظهارا لمدى توفيقه فى دعوته الإصلاحية ، وخدمة للراغبين فى الدراسة ، حتى يسيروا فى دراستهم -فى الطريق الصحيح- على هدى وبصيرة والله ولى التوفيق .



القسم الأول

المذكرات الشخصية لجمال الدين

يهمنا هنا أن نترجم الأوراق التى كتبها جمال الدين بخط يده سواء أكانت مقالات أم مذكرات أم خطابات مرسلة منه إلى بعض المسئولين فى الدول التى زارها أو إلى عدد من أصدقائه ، كما سننشر -فى هذا الكتاب- صور هذه الأوراق ، حتى يزول كل لبس وتتضح الحقيقة بعد أن ندرس ماتضمنته الأوراق من معلومات ونعلق عليها ، ونستخلص منها ماتؤدى إليه من نتائج ، تظهر حقيقة جمال الدين ، وتثبت أنه إيرانى الأصل شيعي المذهب ، استفاد من تلقيبه بالأفغانى — فى أثناء إقامته فى أفغانستان — فى إنجاح دعوته لتوحيد العالم الإسلامى وتحريره من الاستعمار والاستغلال ، فتمكن من زيارة دول سنية غير أفغانستان — مثل تركية مقر الدولة العثمانية والخلافة السنية ، ومصر بلد الأزهر — أحد القلاع السنية ، فى عصر جمال الدين ، الذى استطاع بمظهره السنى وانتسابه إلى بلاد الأفغان أن يشق طريقه إلى قلب العالم السنى ، وأن يجهر بالدعوة إلى توحيد المسلمين فى أرجاء هذا العالم الفسيح ، وأن يتخذ من بلدان العالم السنى مقاما لسنوات عديدة ، وأن يكون له فيها مريدون وتلاميذ محبون مخلصون ، يرددون دعوته ، وينشرون مبادئه ، ويقودون حركات الإصلاح فى بلادهم .

ولعل من المفيد أن نقسم الأوراق التى كتبها جمال الدين إلى مجموعات على النحو التالى :

أولا : الخطابات التى كتبها جمال الدين لأقاربه وتلاميذه وأصدقائه :

كتب جمال الدين العديد من الخطابات الشخصية لأقاربه وأصدقائه وتلاميذه ، فى إيران ومصر وتركية وغيرها من الدول التى تيسرت له زيارتها زيارة طويلة أو قصيرة ، وكانت هذه الخطابات تتضمن أفكاره الإسلامية وآراءه السياسية ، ومبادىء دعوته الإصلاحية ، كما كان فيها معلومات مفيدة عن أصله

ونسبه وأساتذته ومذهبه الدينى ومسلكه فى الحياة ، وهى معلومات تصلح مادة علمية كافية لدراسته دراسة صحيحة منصفة ، والحكم عليه حكما عادلا غير متحيز له ، وغير متحامل عليه بقدر المستطاع .

١ ــ الخطابات الشخصية :

ا ــ خطاب من جمال الدين[١] إلى واحد من رجال العثمانيين يتحدث فيه عن الأحوال السياسية فى كل من أفغانستان والهند وفيما يلى نصه :

«...إلى السيد الركن الركين للملك والشعب ، والحصن الحصين للدولة العلية ــ على الدوام ــ وفخر العثمانيين ، وروح جسد جميع المسلمين ، الصديق الرفيع القدر العظيم الشأن ، أعرض التالى : ...إذا كان بعض أهل الشر قد غدروا بى ، ومارسوا الظلم ضدى ولكن أفراد الشعب لم يصدر منهم غدر بى أو ظلم لى ، ومن الإسلام تجنب الظلم ، ونسأل الله بقلوبنا وأرواحنا أن يهيىء السلامة للأمة الإسلامية وأسباب العزة والاستقرار ، وحيث إننى أعد قطعة من نسيج هذه الأمة ، كما أعد جزءا منها ، فمما لاشك فيه أننى أتألم إذا نظر إليها عدو بعين السوء ، أو أصابت عينها شوكة ، لأننى أعد سلامتها فوق كل اعتبار ، وأعمل من أجل سعادتها ، بكل طاقة ممكنة .

ونظرا لأن الدولة العثمانية العلية هى التى تتولى رعاية أمور المسلمين ، وتسهر على صيانة حقوقهم وحفظ كرامتهم ، بعد أن بلغت الدولة العلية هذا القدر من الرفعة والاعتبار ، فإننى آمل أن تبادر –بتوفيق من الله– إلى الدفاع عن بيضة الإسلام ورد كيد الأعداء عنه ، وصيانة ديار المسلمين من كل غدر وعدوان حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، لأن مايحدث فى بلاد المسلمين من اضطرابات وفساد ، وتطاول على حقوق العباد ، وغزو من الأعداء ، وتجاوز من الغرباء ، يؤرق حياتى ، ويكدّر أوقاتى ، ويفقدنى المنام ، ويصرفنى عن الطعام ، ويصيبنى بمرض عضال ، ويجعلنى فى قلق دائم ، وتفكير متصل ، وتساؤل لاينقطع ، عن سبب ماأصاب الأمة الإسلامية من ضعف

(١) الخطاب منشور فى الكتاب الذى يضم مجموعة الوثائق والأسانيد الخاصة بجمال الدين وصورته رقم ٢٦ و ٢٧ بين الصور المنشورة .

واضطراب، بعد أن كانت خير أمة أخرجت للناس ، وأنا الآن أقرأ تاريخ الأمم السابقة ، لأعرف أسباب رقيها وقوتها وعزتها ورفعتها ، وأقف على عوامل ضعفها وإغلالها وزوالها ، حتى نتخذ من ذلك عبرة تفيدنا ، وحتى نعرف مواطن ضعفنا ، ونعمل على علاج مرضنا ، ودفع مسيرتنا إلى الأمام ، لنستعيد مجدنا ونرفع قدرنا .

وبرغم أننى أعرف قدرى جيدا ، وأعلم علم اليقين أننى شخص حقير وأن الشخص الذى أكتب إليه هذا أمير كبير ، رفيع الشأن ، عظيم القدر ، غير أننى فى الوقت نفسه أشعر بمسئولية العالم ، وأعلم أن واجب العلماء أن ينصحوا ، لأن الدين النصيحة ، ولهذا أرى –واجبا علىّ– باعتبارى واحدا من علماء المسلمين ، أن أنصحكم وأن أبصركم بأحوال المسلمين فى البلاد الإسلامية المختلفة ، حتى تهبوا لمعالجة المرض ، وإصلاح الأحوال متى استطعتم إلى ذلك سبيلا ، والله من وراء القصد .

وأبدأ –أولا– ببيان أحوال المسلمين فى بلاد الهند ، لأن عدد المسلمين فى هذه البلاد كبير ، وأمرهم يحتاج إلى عناية وتدبير ، فقد كان المسلمون فى هذه البلاد قوة يحسب حسابها ، وكان لهم مجد وفخار ، وعزة واعتبار ، وحضارة زاهرة راقية ، ومكانة رفيعة سامية ، وكيف صار المسلمون فى هذه البلاد ، فى وضع من الاضطراب والفساد ، يفتت الأكباد ويبعث على السهاد ، وكيف تبدلت قوتهم ضعفا ، فذهب استقرارهم واضطربت أحوالهم ، وكان لهم أعداؤهم ، بعد أن تخلى عنهم أصدقاؤهم .

أقول هذا عن الهند ، وأنا أقلب صفحات التاريخ ، فأجد شواهد كثيرة ، وعبرا عديدة ، فها هو أبو مسلم الخراسانى يستطيع وهو شاب فتى أن يزلزل أركان الدولة الأموية القوية وأن يهدم بنيانها ، ثم يدفعه عدم الاحتياط إلى الهلاك ، ثم أجد فى صحفات التاريخ ــ كذلك ــ الصليبيين يغيرون على بلاد المسلمين ، ويستغلون فترة انقسامهم وضعفهم فيحتلون بيت المقدس وجزءا من ديارهم ، ثم يستيقظ المسلمون من غفلتهم ، ويوحدون صفوفهم ، وينادون بأعلى صوتهم «حى على الجهاد» فترتفع رايتهم من جديد ويتحقق النصر لهم ، من عند الله ربهم ،

وتعود لهم عزتهم وكرامتهم ، وهكذا دواليك ، فالنصر له أسباب ، وتلك سنة الله فى خلقه ، فالله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم .

لهذا أرى واجبا علىّ أن أنبه ، وأن أنصح ، وأنا أنادى بأعلى صوتى قائلا : حى على الجهاد ، هبوا أنقذوا بلادكم من الضياع والفساد ، راعوا الله فى البلاد ، استمعوا إلىّ وأنا أنصحكم وأنبهكم ، برغم أننى أعرف قدرى ، وأننى شخص حقير ، أخاطب أميرا كبيرا ورجلا عظيما ولكن واجب العلماء أن ينصحوا الناس جميعا ، وأن ينبهوا الأمراء والعظماء إلى مايشاهدونه من خلل فى أحوال المسلمين ، واضطراب فى بلادهم ، حتى يبادروا بإصلاح الأحوال ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، وإذا كنت قد بدأت ببلاد الهند فما ذلك إلا لأن المسلمين فى هذه البلاد كثيرو العدد ، وقد كانوا ذوى قوة وبأس شديدين وحضارة راقية رفيعة الشأن ، ثم تبدلت أحوالهم، ووهن عزمهم ، وذهبت ريحهم ، لأنهم اختلفوا وتفرقوا ، وابتعدوا عن طريق الحق ، فتمكن منهم أعداؤهم ، وهم الآن فى حاجة إلى من يأخذ بيدهم ، ويرشدهم إلى الطريق الصحيح .

وقد تمكنت –بعون الله– من دراسة أحوال بلاد الهند والوقوف على أسباب ضعفها ، كما تيسرت لى مقابلة كثير من المسئولين فى هذه البلاد ، والتعرف على عظمائها وكبرائها ، وتدارست معهم أحوال بلادهم ، ووسائل النهوض بها ، ودفعها إلى السير قدما فى طريق الرقى والازدهار ، وقد وفقنى الله إلى الاتصال بطبقات الشعب المختلفة فى المدن والأقاليم ، وألقيت فيهم العديد من الخطب والمواعظ ، التى كنت أستشهد فيها بما ورد فى كتاب الله الكريم من هدى حكيم ، كما أستشهد بأحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ، التى تدعو إلى توحيد الصفوف والتعاون على البر والتقوى ، وأضرب المثل بصحابة رسول الله ﷺ وماأبلوه من بلاء حسن فى نصرة دين الله الحق ، وكانت خطبى وأحاديثى تثير حماسهم وتلهب عواطفهم ، وتهيئهم للسير فى طريق الاتحاد ، وتنظيم الصفوف ، وتوحيد الجهود من أجل تحرير بلادهم من النفوذ الأجنبى ، وتحقيق استقلالهم ، حتى يعود إليهم مجدهم ، وترجع إليهم عزتهم .

ولا شك فى أن الدولة العثمانية العلية حريصة على توحيد صفوف المسلمين ، ورفعة شأنهم ، لأن الدولة العلية هى دولة الخلافة ، فهى الدولة التى تتجه إليها قلوب

المسلمين، وتستطيع ــ بما لها من سلطان روحى على المسلمين ــ أن تقودهم إلى طريق الخير والفلاح حتى يتكلل جهادهم بالنجاح .

ولهذا قررت الكتابة إلى المسئولين فى الدولة العثمانية العلية ليبادروا بأداء واجبهم ، ونصرة دينهم ، والأخذ بأيدى إخوانهم فى الهند ، وتحريرهم من قيد المستعمرين أعداء دينهم ووطنهم .

وأرجو أن ترسل الدولة العلية مبلغا من المال ، ليعين المجاهدين من المسلمين فى الهند على تدبير أمورهم وتجهيز أنفسهم بما يحقق لهم النصر والنجاح .

ولست فى حاجة إلى أن أكرر أن الدولة العلية هى دولة الخلافة ، وهى مسئولة عن المسلمين فى جميع أقطارهم ، كما يمكنها أن تتصل بالقيادات الإسلامية فى الهند وتجعل هذه القيادات على صلة دائمة بالمسئولين فى منظمة الاتحاد الإسلامى القائمة حاليا فى الأراضى التركية ، حتى يشرف الاتحاد على أوجه نشاط المسلمين فى الهند ، فى إطار الأخوة الإسلامية التى حددها الرسول الكريم ﷺ فى قوله «المسلم أخو المسلم» كما وضحها رب العالمين جل شأنه فى قوله ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ .

وقد بدأت بالدعوة إلى تدبير أمور المسلمين فى الهند ، ثم أنتقل إلى جبهة ثانية هى بلاد الأفغان العزيزة ، وهى بلاد معروفة بصمودها فى وجه أعداء الإسلام والمسلمين الرابضين على حدودها فى روسيا ، ولكن الأفغانيين رجال أشداء ، ومجاهدون أقوياء ، لاتهمهم إراقة الدماء ، وهم على استعداد للتضحية بالأرواح والأنفس فى سبيل نصرة بلادهم ودينهم ، فهم أبطال مجاهدون ، لاينقصهم الحماس ، ولا يعوزهم الإخلاص ، وهم يحتاجون إلى التوجيه والإرشاد ، ليوحدوا صفوفهم ويتعاونوا مع زملائهم وإخوانهم المجاهدين فى الأقطار الإسلامية الأخرى ، تحت رعاية الدولة العثمانية العلية ، قلب الخلافة السنية .

وأحب أن أبين بوضوح أن روسيا تكيد للإسلام والمسلمين فى الدول الإسلامية السنية التى تتعلق قلوب شعوبها بدولة الخلافة العلية ، وروسيا لاتتورع عن الكيد لدولة الخلافة نفسها ، ولو قدر لهذه الدولة الباغية أن تنجح فى الكيد لدولة الخلافة ، فإن أخطارا جسيمة ستتعرض لها الشعوب الإسلامية ، ستفزع لها مكة المكرمة حيث يوجد بيت الله الحرام ، أول بيت وضع للناس ، وستهتز لها المدينة المنورة

حيث يوجد قبر سيد الأنام ﷺ فينبغي درء هذه الأخطار .

إن روسيا الكارهة للإسلام لاتريد أن يرفع آذان فى بلد من بلدان الإسلام ، كما تريد أن يتوقف ترتيل القرآن بين المسلمين ، فيجب إحباط مؤامراتها التى تدبرها ضد الإسلام والمسلمين ، حتى تصير كلمة الله هى العليا .

وأريد بعد ذلك أن أتجه إلى بلوشستان لأشحذ همم أهلها ، وأدعوهم إلى الاشتراك فى الجهاد لإنقاذ بلاد الإسلام من كيد الروس ، وقد كان أهل هذا الإقليم من المحاربين الأشداء ، ومن المجاهدين الأقوياء ، غير أنهم تخاذلوا فى السنوات الأخيرة ، واشتغلوا بالإغارة والنهب ، وهى أعمال لاتليق بالمسلمين ، المؤمنين بدينهم العاملين بمبادىء هذا الدين القويم .

كما أتجه إلى التركمان وأدعوهم إلى المشاركة فى الدفاع عن الإسلام ، وقد كان التركمان من المجاهدين المخلصين ، المتمسكين بمبادىء الإسلام ، غير أن المؤامرات الروسية -ضد بلاد التركمان- قد أضعفت قوتهم ، وفرقتهم ، وجعلتهم شيعا ، فنسوا عدوهم الحقيقى ، وتركوا بلادهم تقع فى يد هذا العدو

وينبغى على علماء المسلمين فى كل مكان أن ينبهوا إلى الخطر الذى يحيق ببلاد التركمان ، وبغيرها من بلاد المسلمين -من جانب الروس- وأن يدعوا الشعوب الإسلامية إلى الاتحاد والتكاتف والوقوف صفا واحدا كالبنيان المرصوص فى وجه أعداء الإسلام والمسلمين ، وأن يجاهدوهم بكل ماأوتوا من قوة حتى يحرروا بلاد المسلمين من تسلط هؤلاء الأعداء الغادرين .

إن المسلمين فى الهند وأفغانستان وبلاد التركمان وبلوشستان وماجاورها ينبغى أن يتنبهوا إلى الخطر المحدق بهم من جهة الروس -أعداء الإسلام والمسلمين- وأن يطرحوا الغفلة ، ويهبوا للدفاع عن أوطانهم ومعتقداتهم قبل أن يفوت الأوان ، ويحيق بهم الخسران ، ولا ينفع الندم .

إن طوائف المسلمين فى هذه المناطق مشغولة بقتال بعضها البعض من أجل مغانم تافهة ، وهذا التناحر فيما بينها قد صرفها عن التنبه إلى الأخطار التى تتعرض لها من جهة عدوها الحقيقى فى البلاد الروسية القريبة منها ، لهذا أرفع صوتى منبها ومحذرا وداعيا إلى توحيد الصفوف ، ونبذ الخلافات ، للوقوف فى وجه هذا العدو

اللعين ، عدو الإسلام والمسلمين .

وأنا أكتب إليكم أيها الأمير العظيم باعتباركم أحد المسئولين فى الدولة العلية ، لتبادر دولة الخلافة بالنظر إلى هذه الشعوب الإسلامية -فى الهند وأفغانستان وبلوشستان وبلاد التركمان- بعين الرعاية ، وأن تعمل على توحيد صفوفهم ، ليكونوا على قلب رجل واحد وهم يواجهون عدوهم الحقيقى .

إنى أكتب إليكم أيها الأمير العظيم لتتداركوا الموقف وتعملوا على درء الخطر عن الإسلام والمسلمين ، فإذا اقتنعتم بصدق وصحة ماذكرت ، فأرجو أن ترسلوا لى مبلغا من المال لإنفاقه فى توحيد صفوف المسلمين والاتصال بهم ودعوتهم إلى التعاون من أجل الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين ، كما أرجو أن ترسلوا لى تفويضا كتابيا رسميا بالقيام بهذه المهمة الجليلة ، حتى أستطيع الاتصال بزعماء المسلمين وأمرائهم فى أفغانستان وبلوشستان وبلاد التركمان والهند ، ويكون اتصالى بهم بأمر من دولة الخلافة العلية ، كما أستطيع أن أوصل إليهم معونة مالية تساعدهم فى مهمتهم ، فإذا وجدتنى الدولة العلية أهلا لأن أقوم بمثل هذه المهمة الجليلة ، فأرجو أن تزودنى بالمال وبتفويض رسمى أستطيع أن أتحرك به بصورة مشروعة ومقبولة من زعماء المسلمين فى هذه البلاد .

وأنا دائما فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ويشرفنى أن أتعاون مع الدولة العلية من أجل تحقيق مقاصدها السنية ، وأهدافها السامية ، ونصرة الإسلام والمسلمين بتوفيق من رب العالمين ، ﴿ إنه نعم المولى ونعم النصير .. ﴾

نقد وتعليق :

واضح من هذا الخطاب -الذى أرسله جمال الدين إلى أحد كبار المسئولين فى الدولة العثمانية- أن جمال الدين يتحدث بروح إسلامية حريصة على إنقاذ دول العالم الإسلامى المختلفة مما يتهددها من أخطار خارجية ، تعصف باستقلالها ، وتنال من حريتها ووحدتها .

ويبدو من الخطاب المذكور -كذلك- أن جمال الدين يعتقد أن روسيا هى مصدر الأخطار التى تهدد الهند وبلوشستان وأفغانستان وتركستان بل تهدد تركيا نفسها ، وهى مقر الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية السنية .

ومعروف أن روسيا –في ذلك الوقت– كانت تحت حكم القياصرة ، أى قبل قيام النظام الشيوعي الملحد فيها ، بينما كان السلطان العثمانى –منذ عهد سليم الأول– هو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين .

فجمال الدين كان يعتقد أن روسيا القيصرية التى تدين بالنصرانية امتداد للصليبية ، وأنها تسعى للسيطرة على دول العالم الإسلامى القريبة منها ، وأكثر المسلمين فى هذه الدول من أتباع المذهب السنى الذى تعد الدولة العثمانية راعية له ، لأنها دولة الخلافة الإسلامية السنية ، فهى مسئولة عن الشعوب الإسلامية فى الهند وبلوشستان وأفغانستان وينبغى عليها أن ترعى هذه الشعوب ، وتحميها من الأخطار التى تتعرض لها من جانب روسيا .

ومعروف –كذلك– أن العلاقات بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية فى تركيا لم تكن ودية ، فكانت الحروب تشتعل نيرانها بين الدولتين بين حين وآخر ، وكانتا تتبادلان النصر والهزيمة ، غير أن كفة روسيا القيصرية كانت هى الأرجح فى أكثر الأوقات ، مما جعل روسيا القيصرية خطرا يهدد الدولة العثمانية نفسها ، وكذلك دعا جمال الدين فى خطابه إلى المسئول التركى الكبير إلى التَنبُّه للخطر الروسى ، والعمل على إنقاذ الشعوب الإسلامية القريبة من روسيا من هذا الخطر ، كما دعا جمال الدين قادة الشعوب الإسلامية المهددة بالخطر إلى اليقظة ونبذ الخلاف والفرقة ، وتوحيد صفوف المسلمين ، ليقفوا كتلة واحدة فى وجه عدوهم الحقيقى روسيا القيصرية .

والملاحظ أن جمال الدين لم يشر من قريب أو بعيد –فى خطابه المذكور– إلى عدو آخر ، أو خطر آخر يهدد المسلمين فى آسيا غير العدو الروسى وخطره فى حين أن الخطر الإنجليزى كان أكثر تهديدا — فى آسيا — من الخطر الروسى ، لأن إنجلترا كانت تحتل شبه القارة الهندية منذ أكثر من قرن –فى ذلك الوقت– وكان الحاكم الإنجليزى فى الهند يتآمر مع الهندوس ضد المسلمين فى هذه البلاد ، تطبيقا للسياسة الإنجليزية الاستعمارية المعروفة «فرق تسد» ، وكان المسلمون فى شبه القارة الهندية يعانون ويلات كثيرة من جراء هذه السياسة الإنجليزية .

كما كان للإنجليز –فى ذلك الوقت– نفوذ كبير فى كل من أفغانستان وإيران ، وكان تأثيرهم على الدولة العثمانية أقوى من تأثير روسيا القيصرية على هذه الدولة ،

وكان الإنجليز أرسخ قدما فى ميدان الاستعمار من الروس .

فلماذا لم يشر جمال الدين من قريب أو بعيد إلى خطر الاستعمار الإنجليزى على الشعوب الإسلامية فى القارة الأسيوية ؟..

إن الإجابة عن هذا السؤال -فى رأيى- مهمة فى دراسة جمال الدين نفسه ، وكشف بعض تصرفاته ، وبيان حقيقته ، وتفسير سلوكه .

وأقول — وبالله التوفيق — إجابة عن السؤال المذكور إن جمال الدين لم يذكر خطر الاستعمار الإنجليزى على الشعوب الإسلامية فى القارة الآسيوية، ولم ينبه زعماء المسلمين فى آسيا أو المسئولين فى الدولة العثمانية إلى هذا الخطر، لأنه يستعين بإنجلترا فى تسهيل زياراته للدول الإسلامية المختلفة التى زارها، وقضى فيها مدة كأفغانستان والهند وإيران ومصر وتركيا، فكان ممثلوا إنجلترا فى هذه الدول يرعونه وييسرون مهمته وتحركاته وأسفاره، فلم يكن منطقيا أن يهاجم جمال الدين دولة ترعاه، وتيسر زياراته وتحركاته فى دول لإنجلترا فيها نفوذ يمكنها من رعاية جمال الدين، وتيسير زياراته، وتحقيق رغباته فى الاتصال بالمسئولين فى هذه الدول، وإلقاء المحاضرات فى الأوساط المختلفة، وكتابة المقالات فى الصحف والمجلات واتخاذ التلاميذ والمريدين فى سائر البلاد الإسلامية التى تيسرت له زيارتها والإقامة فيها حينا من الدهر.

وعلى كل حال فإن عدم الإشارة إلى الخطر الإنجليزى فى خطاب جمال الدين إلى المسئول التركى الكبير وعدم التنبيه إلى هذا الخطر يعد أمرا لافتاً للنظر مالم يكن سببه ماذكرنا.

ومما يلفت النظر — أيضا — أن جمال الدين يبدو — فى الخطاب المذكور — فى صورة زعيم إسلامى على مستوى العالم الإسلامى كله ، ويعد نفسه راعيا للشعوب الإسلامية فى القارة الآسيوية ، ومسئولا عن رعيته ، فهو ينبه الدولة العثمانية إلى ما ينبغى أن تفعله تجاه هذه الشعوب ، ويطلب تزويده بالمال ، وتفويضه رسميا للاتصال بقادة المسلمين فى الهند وبلوشستان وأفغانستان وتركستان ويبدو فى الخطاب — كذلك — أنه واثق من نفسه ، وأنه مطمئن إلى إجابة المسئولين فى الدولة العثمانية لطلبه .

ونقرأ الآن خطابا آخر أرسله جمال الدين إلى السلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين فى عصره، حتى تزداد الصورة وضوحا، وتزداد حقيقة جمال الدين ظهورا.

ب - خطاب جمال الدين إلى ملك إيران ناصر الدين شاه :

صورة هذا الخطاب وجدت فى الحقيبة اليدوية التي كان جمال الدين يحملها فى أثناء أسفاره ، وكان هذا الخطاب ضمن مجموعة من الأوراق الخاصة التى عثر عليها فى حقيبة جمال الدين ، وقد نشر نص هذا الخطاب فى بعض الكتب التى تناولت مراحل حياة جمال الدين المختلفة وتعرضت لرحلاته وأسفاره ، وزياراته للدول الإسلامية والأوربية المختلفة ، وتحدثت عن صلاته وعلاقاته بالمسئولين ومشاهير الرجال فى هذه الدول .

وقد نشرت صورة الخطاب المذكور فى كتاب «مجموعة وثائق ومذكرات خاصة» .

وفيما يلى ترجمة الخطاب ، وسننشر فى هذا الكتاب صورة الخطاب ، مع نقد الخطاب والتعليق عليه .

«أعرض على السدة السنية العالية والعتبة الرفيعة السامية حضرة صاحب الجلالة الامبراطور حامى حمى الإسلام .. أيده الله بالعدل ، ونصره بالحق ، وسيَّرت دولته بالحكمة ، وصانها بقدرته عن كيد المختلسين ، وحفظها بإرادته من مكر الخائنين والمنافقين ، وأعز بعزائمه دياره وسائر ديار المسلمين .. أننى حين كنت ضيفا فى رحابكم الكريمة ، أحظى بالتكريم والتشريف ، وأفخر بملازمة ركابكم الميمون الخطوات ، صدر لى أمركم السامى الواجب الطاعة بأن أرحل إلى بطرسبرج[1] للقيام بمهمة جليلة هى معالجة بعض الأمور ، فامتثلت الأمر الكريم ، وسافرت إلى بطرسبرج لإنجاز هذه المهمة ، على أن أعود بعدها إلى إيران لأعرض نتيجة ماقمت به على جلالتكم ، وأسأل الله أن يقيم بكم دعائم العدل ، وقد استحسنتم ـ جلالتكم ـ أن يقوم مثلى بهذه المهمة ، وقد تحدث الوزير معى خمس ساعات بشأنها فى ليلة سفرى ، وهى تتلخص فيما يلى :

أولا : أن الحكومة الروسية وأصحاب الصحف والصحفيين فى روسيا ليس لهم الحق فى أن يغضبوا إذا حافظت إيران على حقوقها ، ولا يحق لهم ـ كذلك ـ أن ينتقلوا من مرحلة الغضب إلى النقد الشديد والهجوم على إيران فى تصريحاتهم وفى صحفهم ، بصورة تتنافى مع التقاليد المرعية بين الدول التى تربطها صلة الجوار ، وتقرب بينها

---

(١) مدينة بطرسبرج هى مدينة لنينجراد الحالية .

الحدود المشتركة ، فلا داعى ولا مبرر للثورة العارمة التى تجتاح أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها ، وتخرجهم عن حدود اللياقة ، وتجعلهم يكدرون صفو العلاقة بين بلادنا وبلادهم .

ثانيا : أن مسألة نهر كارون وإنشاء مصرف وشراء المعادن الموجودة لدينا أمور ينبغى التفاوض بشأنها بما يحقق تقوية العلاقات بين إيران وروسيا، ولايتعارض مع سيادة إيران، ويجب أن يتم التفاوض ـــ بصراحة ـــ مع المسئولين فى الحكومة الروسية، ومع رجال وزارة الخارجية الروسية فور وصولى إلى مدينة بطرسبرج وسأعمل على تهدئة خواطر المسئولين الروس، وإفهام هؤلاء المسئولين أن دولتنا ـــ إيران ـــ حريصة على تحسين العلاقات بينها وبين جارتها العظمى روسيا بكل وسيلة ممكنة ، وأن أية مسألة تهم الدولتين من الممكن تسويتها ، عن طريق مفاوضات يسودها الود، وحسن التفاهم، وسأبذل غاية جهدى لإقناعهم بهذا، فى أثناء مباحثاتى معهم فى بطرسبرج .

وأرى أن الخلاف حول نهر كارون وإنشاء مصرف وشراء المعادن الموجودة لدينا من السهل تسويته إذا خلصت النوايا وصح العزم من المفاوضين الروس وقد بدا من تصريحات مستشارى وزارة الخارجية الروسية أن الحكومة الروسية راغبة فى حل الخلاف بينها وبيننا بالتفاهم ، والمنطق الحسن الحكيم ، وأنه من الممكن الوصول إلى نتيجة مرضية للطرفين فى خلال أيام قليلة ، وهذا استعداد طيب ، يدعو إلى التفاؤل ، ويزيدنا ثقة فى نجاح مهمتى فى بطرسبرج .

وقد عزمت على الرحيل إلى بطرسبرج ـــ وأنا العبد العاجز ـــ وكلى أمل فى أن أحقق مايصبو إليه الوزير ومايرضى به جلالة الامبراطور العظيم حامى حمى الإسلام .

وسأحاول الاستعانة بأصدقائى فى هذه البلاد من المسئولين ، الذين يساهمون فى توجيه دفة السياسة فى الشرق والغرب ، مثل الجنرال ابروتشيف فى وزارة الحربية ، والجنرال ريختر فى وزارة البلاط ، والجنرال أخناتييف الذى كان ـــ سابقا ـــ سفير روسيا فى استانبول ، ومدام نويكوف وهى من الشخصيات البارزة التى لها كلمة نافذة فى الدولة وهى تشترك ـــ غالبا ـــ فى تسوية المسائل السياسية بين روسيا وانجلترا ، وأنا على صلة طيبة بها ، وهى تحاول أن تتفق معى

فى الرأى فى المسائل السياسية المشار إليها ، وقد قابلت ـــ قبل سفرى هذا إلى بطرسبرج ـــ مستشارى وزارة الخارجية الروسية ، عشرين مرة فى خلال الشهرين السابقين على سفرى .

لهذا أنا أقدم على هذا السفر وأنا واثق من أننى سأحقق ـــ بعون الله ـــ مايصبو إليه الوزير ، وما يرضى به جلالة الامبراطور المعظم ، لأننى أعلم أن المسئولين الروس عندهم رغبة صادقة فى تصفية الأمور ـــ موضع الخلاف بينها وبين إيران ـــ بالروح الودية ، حتى تتعاون الدولتان فى كل مايعود عليهما بالخير ، والأمل كبير فى تصفية جميع المسائل بما فيها مسألة تركستان والخطر الذى يتهددها من جانب روسيا ، والله يسدد خطى جلالة الامبراطور المعظم حامى حمى الإسلام ويرعاه .

وحين أرى أن مطلبنا الأصلى مستحب ومقبول وأنه قد حدث تحول فى رأيهم ، وأطفئت نار غضبهم ، سأعرض عليهم ماقاله الوزير المعظم لى ـــ فى ميونخ ـــ من أن إيران مستعدة أن تتفاهم مع الروس ، بالوسائل السلمية ـــ دون لجوء إلى خصام أو قتال ـــ فى المسائل المختلف عليها المتعلقة بنهر كارون وإنشاء مصرف وشراء المعادن ، وفى هذه الحالة تقر إيران إيجاد توازن بين إنجلترا وروسيا فى بلادنا ، بحيث تكون صلاتنا بهاتين الدولتين فى مستوى واحد ، فلا تصطدم مصالح إحداهما بمصالح الأخرى فى إيران ، وأستطيع أن أقول هذا للمسئولين الروس على لسان الوزير المعظم ، وأصحح نظرتهم إلى الوزير ، وقد صرحت بهذا كتابة فى بطرسبرج ، وسأبين لهم أن ماصرحت به هو آخر رأى استقرت عليه إيران بغية تحسين علاقاتها مع روسيا ، ورغبة منها فى حل الخلافات بين الدولتين الجارتين بالوسائل السلمية .

وقد رد وزير الخارجية ـــ اكيروس ـــ ومستشاروه على تصريحى بقولهم إنه إذا كان الوزير الإيرانى حسن النية إلى هذه الدرجة ، ولديه استعداد لحل الخلافات بين إيران وروسيا بالوسائل السلمية ، فينبغى أن نتشاور ـــ أولا ـــ مع وزير الحربية ووزير المالية فى الخطوة القادمة التى نخطوها للالتقاء ـــ مع إيران ـــ فى طريق حل جميع المسائل المعلقة التى هى موضع خلاف بين الدولتين ، وسنعرض الأمر كله ـــ بعد ذلك ـــ على جلالة القيصر ، لأخذ موافقته على هذه الخطوة ،

ثم نرسل ــ فور موافقته ــ مندوبين عن روسيا ، للتفاوض مع الوزير الإيرانى ، وإبلاغه وجهة نظرنا واستعداد روسيا لتحسين علاقاتها مع إيران ، وحل الخلافات الحالية الموجودة بين الدولتين بالوسائل السلمية .

وهكذا تسير الأمور إلى أحسن ، وتنقشع الغيوم التى خيمت على سماء العلاقات بيننا وبين روسيا ، وهذا ــ فى رأيى ــ أفضل بالنسبة لإيران .

وقد قمت بعد ذلك بالتشاور مع المسئولين الروس مرات عديدة وتبين لى ــ على ضوء محادثاتى ومشاوراتى ــ أنهم راغبون ــ فعلا ــ فى حل المسائل المختلف عليها بالوسائل السلمية ، لأنهم قالوا لى : «إذا كان الوزير الإيرانى راغبا ــ حقا ــ فى التفاوض معنا بروح جديدة ورغبة أكيدة فى حل المشاكل الحالية بالوسائل السلمية ، دون لجوء إلى الإمعان فى الخصام أو الاشتباك فى قتال ، فإننا على استعداد للالتقاء به ، والتفاوض معه بالصورة التى يفضلها» .

وكان كلامهم واضحا ، وبلهجة تنم عن صدق نواياهم ، ورغبتهم فى التفاهم والوفاق .

وقد صرت أنا ــ العبد الضعيف العاجز ــ مسرورا غاية السرور بعد الوصول إلى هذه النتيجة الطيبة ، وسعدت بأننى استطعت بمفردى ــ بتوفيق من الله ــ أن أؤدى هذه الخدمة لدولتى التى هى دولة الإسلام والمسلمين ، كما استطعت ــ بفضل من الله وتوفيقه ــ أن أقف على نوايا واتجاهات الروس ومنهجهم السياسى فى الشرق بعامة ، ولعل ماقمت به فى هذا الميدان كاف لإدخال السرور على قلب الوزير المعظم وإسعاده ، وكسب رضائه علىَّ .

وحينما وصلت إلى طهران ، توقفت فى خارج المدينة ، حيث التقيت بالوزير ، وأطلعته على ماقمت به ، والنتيجة التى استطعت الوصول إليها مع المسئولين الروس ، وقد خصص الوزير المعظم لى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب لأقيم فيه ، وقد مكثت فى هذا المنزل ثلاثة أشهر كاملة ، فلم أغادره إلا مرة واحدة حين دعيت للمثول فى حضرة جلالة الامبراطور المعظم ــ حامى حمى الإسلام ــ وكانت هذه الدعوة الكريمة تفضلا من جلالته ، وكان تشرفى بمقابلته ، من دواعى فخرى ومباهاتى بهذه المقابلة ، وسعادتى الدائمة بلقائه ، وقد

عرضت على جلالته مادار بينى وبين المسئولين الروس ، والنتيجة الطيبة التى وصلت إليها محادثاتى معهم .

وفى أثناء هذه المدة التى أقمتها فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب ، لم يزرنى الوزير المعظم ، ولم يسأل عنى بوسيلة من الوسائل ، ولم يحاول الحديث معى فى المهمة التى قمت بها فى بطرسبرج ، وفى رأيه فى النتيجة التى توصلت إليها.

صحيح أن بعض أعوان الوزير المعظم كانوا يزوروننى بين حين وآخر ، ولكنهم كانوا يظهرون لى أن زيارتهم بصفة شخصية ، للسؤال عنى والاطمئنان على أحوالى ، كما أن بعض المتصلين بالوزير كانوا يعقدون لقاءات معى بصفة شخصية ـ كذلك ـ لا بصفة رسمية ، أو بتكليف من الوزير المعظم .

ولما طالت مدة إقامتى ، سألت عن حقيقة الأمر ، بعد أن أهملنى الوزير إهمالا تاما ، ولم يحاول الاتصال بى ، أو الاستفسار عن أحوالى ، بعد كل ماقمت به من محادثات واتصالات فى بطرسبرج ، مما يدل على إهماله وعدم اكتراثه بالأمور ، وعلمت أن المسئولين الروس فسروا عدم اكتراث الوزير على أنه نوع من المخادعة ، وحيلة من الحيل التى يراد بها تخدير الخصم، وتبيُّن نواياه، والمسلك الذى ينوى سلوكه.

وقد ساء الروس هذا التصرف المعيب من جانب الوزير وهذا الاستهتار بالأمور ، فكتبوا إلى سفارتهم فى طهران قائلين : «إن الوزير أرسل السيد جمال الدين فى مهمة خاصة إلى بطرسبرج لإجراء مباحثات مع المسئولين الروس حول المسائل موضع الخلافات ـ حاليا ـ بين روسيا وإيران ، وخيل للمسئولين الروس أن السيد جمال الدين جاء بصفة رسمية ، فقابلوه وتباحثوا معه ، وعرضوا استعدادهم للتفاهم وحل الخلافات التى بين إيران وروسيا ـ حاليا ـ بالوسائل السلمية ، ثم تبين بعد ذلك السيد جمال الدين جاء إلى بطرسبرج بصفة شخصية ، وأنه لم يكلف بمهمة رسمية ، وبناء على ذلك أبلغوا الوزير أنه إذا أراد أن يتباحث مع المسئولين الروس ـ بصفة رسمية ـ فينبغى عليه أن يتصل بالسفارة الروسية فى طهران ، ويطلب الالتقاء بالمسئولين الروس ، أو أن يطلب هذا ـ بالوسائل الدبلوماسية ـ عن طريق سفارة إيران فى بلادنا ، أما مادار من مباحثات بيننا وبين السيد جمال الدين ، فيعد لاغيا ـ كأنه لم يكن ـ كما أن ماعرضه السيد جمال الدين علينا ليس مقبولا الآن بعد موقف الوزير منه» .

وهكذا ضاعت جهودى ، وذهبت أدراج الرياح «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» وأنا أشكو همى إلى الله ، ولا يسعنى إلا أن أعرض الأمر ـ برمته ـ على جلالة الامبراطور المعظم حامى حمى الإسلام ، ليتصرف فيه بما يراه ، والله يوفقه ويرعاه .

ولما اطلع الوزير على مضمون البرقية التى أرسلتها وزارة الخارجية الروسية إلى السفارة الروسية فى طهران ، ـ وهو ماذكرناه قبل هذا ـ لم يكترث كثيراً ، ولم يبادر بإبلاغ الروس أنه راغب فى التفاوض معهم وحل المسائل ـ موضع الخلاف بين روسيا وإيران ـ بالوسائل السلمية ، بل صرح بأنه لم يرسل السيد جمال الدين إلى بطرسبرج ، ولم يكلفه بأية مهمة رسمية ، وأنه غير مسئول وغير ملتزم بما يقوله السيد جمال الدين .

وهكذا ازداد الموقف تأزما «وإنا لله وإنا إليه راجعون» فلقد نسف الوزير بمسلكه هذا كل ماااستطعت التوصل إليه من نجاح فى مباحثاتى فى بطرسبرج مع عدد من المسئولين الروس ، وعدنا كما بدأنا نواجه مشاكل عديدة ، وندور حول أنفسنا بعد أن سد الوزير الطريق الصحيح إلى حل المشاكل القائمة ، وتحقيق الطمأنينة والاستقرار فى البلاد .

والأعجب من هذا كله أن جلالة الامبراطور المعظم الذى كان يعلم بمهمتى فى بطرسبرج ، والذى عرضت عليه مادار من مباحثات بينى وبين عدد من المسئولين الروس وما توصلت إليه من نتائج .. أقول الأعجب من هذا كله أن جلالة الامبراطور المعظم أرسل إلى مع الحاج محمد حسن أمين الضرب رسالة مؤداها أننى غير مرغوب فى بقائى فى إيران ، فيجب أن أغادر البلاد ـ فى أسرع وقت ممكن ـ لأننى قمت بعمل فى بطرسبرج لم أكلف به رسميا ، وإنما فعلته من تلقاء نفسى وتجاوزت فيه حدى .

وواضح أن الوزير استطاع بمكره وحيله أن يؤثر فى جلالة الامبراطور المعظم ، وأن يغير رأيه فىّ ، إلى درجة أنه غضب علىّ ، وأمر بإخراجى من البلاد ، بعد كل ماقمت به من خدمات لبلادى ، من أجل إنقاذها وإنقاذ بلاد المسلمين من كيد الأعداء والطامعين .

«ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وسبحان الله وهو نعم المولى ونعم النصير ، وهو خير حافظ ، وأرحم الراحمين وهو العلى القدير» .

نقد وتعليق :

هذا الخطاب قاطع الدلالة على أن جمال الدين إيرانى شيعى ، فقد صرح فى الخطاب ـــ أكثر من مرة ـــ بما يثبت أنه إيرانى الأصل ، فيذكر إيران على أنها بلاده ، وعن المشاكل بقوله مشاكلنا .

كما أن سفره إلى بطرسبرج ، ومباحثاته مع عدد من المسئولين الروس فى المسائل ـــ موضع الخلاف بين إيران وروسيا ـــ دليل واضح على أنه إيرانى شيعى المذهب ، فلا يعقل أن يذهب شخص إلى دولة عظمى كروسيا ، وأن يقابل مسئولين فيها ، ويتباحث معهم فى مسائل موضع خلاف بين هذه الدولة وبين دولة أخرى جارة لها هى إيران ، دون أن يكون إيرانيا ، سواء أكان سفره بصورة رسمية ـــ كما صرح بذلك فى خطابه ـــ أم كان بصفة شخصية كما اتهمه بذلك الوزير ، واستطاع أن يقنع الامبراطور ناصر الدين شاه بأنه سافر إلى بطرسبرج من تلقاء نفسه دون أن يكلفه أحد بذلك .

إن تصرفا كهذا من المستبعد أن يقوم به غير إيرانى مهما كان الباعث إليه ، فكيف يقدم شخص غير إيرانى على التحدث باسم إيران فى مسائل حساسة موضع خلاف بين إيران ودولة أخرى ـــ من الدول الكبرى فى العالم ـــ كمسألة نهر كارون ، ومسألة إنشاء مصرف ، ومسألة شراء المعادن ، إن هذا أمر لايمكن أن يحدث إلا إذا كان الشخص من نفس الدولة التى يتحدث باسمها ، ويتفاوض باعتباره مندوبا عنها ، سواء قام بهذه المهمة من تلقاء نفسه أو كُلف بالقيام بها بواسطة الصدر الأعظم فى دولته .

وقيام جمال الدين بهذه المهمة يدل ـــ كذلك ـــ على مكانته ، وسمو قدره ، لأنه لايعقل أن يذهب شخص عادى إلى دولة كبرى ليتحدث باسم بلاده فى أمور حساسة بالغة الأهمية ، بل إن العقل السليم والمنطق المستقيم يقرران أن يكون الشخص الذى يقوم بمثل هذه المهمة شخصا عظيم القدر ، رفيع المنزلة ، له وزنه فى بلده الذى يمثله بصفة رسمية أو شخصية ، حتى يحظى بتقدير واهتمام فى الدولة التى يمثل بلده فيها .

كما أن الأعراف الدبلوماسية المعمول بها بين الدول تحدد ـــ كذلك ـــ نوع التمثيل بين الدول ، ودرجة هذا التمثيل ، فلا يمكن أن يذهب شخص كائنا من كان

إلى دولة عظمى أو صغرى يمثل بلاده فيها .

والخطاب الذى ــ ذكرنا نصه ــ يدل دلالة واضحة على أن جمال الدين شخص له مكانة عظيمة ، وأنه كان موضع التقدير فى كل من إيران وروسيا القيصرية ، والدليل على هذا التقدير مقابلته لعدد من المسئولين الكبار فى روسيا والتباحث معهم ، ومقابلته لامبراطور إيران بعد عودته من بطرسبرج إلى طهران ، إلى جانب مقابلته للوزير ، ثم إن خوف الوزير والامبراطور من بقائه فى إيران والعمل على إخراجه من البلاد دليل على علو قدره ، ورفيع منزلته ، لأنه لو كان شخصا عاديا ماهتم المسئولون به هذا الاهتمام ، ولما خشوا بقاءه فى إيران .

ومن الأدلة التى تضمنها الخطاب المذكور لإثبات أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، مابدا فى ثنايا الخطاب من تملق جمال الدين لناصر الدين شاه امبراطور إيران فى ذلك الوقت ، فقد وصف جمال الدين ناصر الدين شاه بأنه حامى حمى الإسلام وبأن إيران بلاد الإسلام والمسلمين ، ألا يدل هذا على أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ؟! .

إن جمال الدين الذى يصف ناصر الدين شاه بهذه الأوصاف هو أكبر المتهمين بتدبير المؤامرة التى انتهت باغتيال ناصر الدين شاه ، وهى المؤامرة التى دفعت مظفر الدين شاه ابن ناصر الدين شاه إلى تعقب جمال الدين وإرسال مذكرة إلى السلطان عبد الحميد العثمانى تثبت أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، يتخفى فى زى سنى ، ويتخذ من لقب الأفغانى ستارا يخفى به أصله ومذهبه الحقيقيين ، وكانت هذه المذكرة سببا فى تغيير رأى السلطان عبد الحميد فى جمال الدين ورغبته فى التخلص منه ، وانتهى الأمر بدس السم فى طعام قُدِّم لجمال الدين ، وإنهاء حياته بهذه الوسيلة .

ومهما يكن من شىء فإن الخطاب المذكور يدل ــ بعد هذا كله ــ على أن جمال الدين كان شخصية عظيمة القدر ، رفيعة الشأن فى إيران والهند وأفغانستان وتركيا وروسيا ومصر ، وجميع البلاد التى زارها وأنه كان يعامل على أنه رجل من رجالات عصره سواء ذهب إلى دولة بصورة رسمية ، أو بصفة شخصية ، فكان وجوده فى دولة ما كفيلا بالاهتمام به ، وإظهار التقدير له ، فكان يستطيع ــ بهذه الصفة ــ أن يقابل المسئولين وعلية القوم فى هذه الدولة ، بكل سهولة ويسر ، كما

كان المثقفون وأصحاب الجاه ، يسعون إليه ، ويحرصون على الالتقاء به ، والاستفادة من علمه ورجاحة عقله ، وقد لوحظت هذه الظواهر فى جميع الدول التى زارها جمال الدين فى الشرق والغرب على السواء ، مما يدل دلالة واضحة على أنه كان من مشاهير عصره ، لأن الناس لاتهرع إلى لقاء كل شخص يزور بلدا من البلاد ، ولا يحدث هذا إلا مع مشاهير الرجال .

وقد كان جمال الدين ــ فى أثناء كتابة الخطاب المذكور ــ قد قارب الخمسين من عمره ، وكانت شهرته قد ذاعت فى الشرق والغرب ، فكان فعلا من رجالات العصر ، الذين يصلحون للقيام بالمهمات العظيمة ، بصفة شخصية أو بصورة رسمية ، فقد لاحظنا من الخطاب ــ المشار إليه ــ أن جمال الدين يستعمل الكياسة واللباقة فى التباحث مع عدد من المسئولين الروس ، ويتحدث عن ضرورة حل المشاكل بالوسائل السلمية ، وتجنب اللجوء إلى الخصام والقتال ، ويبدى مرونة فى مناقشة المسائل الحساسة من أجل مصلحة بلده ، ولا يوجه نقدا إلى الروس ، بينما هو فى رسالته السابقة التى وجهها إلى أحد كبار رجال الدولة العثمانية ، انتقد الروس وهاجم خططهم الاستعمارية ضد تركستان وأفغانستان والمسلمين فى وسط آسيا ، وهذا يدل على أن جمال الدين يكيف حديثه حسب الظروف ، ويجعل لكل مقام مقالا

ونسجل ــ الآن ــ وثيقة أخرى ، وننشر صورتها بخط جمال الدين ، وهى تضم خمسة خطابات باللغة العربية ، كتبها جمال الدين ــ فى أثناء عبوره من قناة السويس ــ إلى أشخاص مهمين عظيمى القدر ، رفيعى الشأن ، ولكنه لم يذكر اسم أى واحد من هؤلاء الأشخاص .

وقد كان جمال الدين يعبر قناة السويس فى طريقه إلى أوربا قادما من الهند ، ويبدو أن هذا العبور كان فى عام ١٨٨٠ ــ كما ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب ــ وفيما يلى نص هذه الخطابات ، ونقدها ، والتعليق عليها ، كما سننشر صورها ، حتى يزول كل لبس ، وتتضح الحقيقة واضحة جلية ، والله الموفق والهادى إلى طريق الصواب والرشاد .

حـ ـــ نص الخطابات العربية المكتوبة بخط جمال الدين :

الخطاب الأول :

«مولاى .. أنت الحق .. لاتحيد من الرشد ، ولاتميد عن السداد ، ولا تتهاون فى فريضة العدل ، ولا تقصر فى واجبات كمال النفس وطهارتها ، وتصدع بالصدق ، وتقول الحق ، لايأخذك فيه لومة لائم ، ولايلويك عنه ريبة ظالم ، ولا يصدك[1] خشية غاشم ، ولا تكتم شهادة خوفا من الجائرين ، واسترضاء للخائنين ، وأنت كنت تعلم حقيقة مجلسنا وأساسه ، وسبب وقوع الفساد فيه ، ماخفى عليك شىء ، وكنت عارفا بواقع أمرى ، مُطّلعا على سريرتى وسرى ، فكيف صبرت مع كونك مجبولا على الحق ، مقصورا[2] على حمايته ، أن ينسب إلىّ عثمان باشا الضابط مانسب من الأكاذيب والافتعالات ، وقال افتراء وكذبا إنى كنت رئيسا على مجمع قد وضع أساسه على فساد الدين والدنيا ، حتى اذعن الخديوى بلا رؤية إلى قوله ، فأمر بنفيى بأشنع صورة .

أمثلك يهاب أن يقول الحق ، ويخشى أن يصدع بالصدق ؟!...

أمثلك يكتم الشهادة ؟!...

أمثلك يرى الظلم ويتهاون فى رفعه ويتقاصر فى دفعه ؟! ...

حاشاك ..حاشاك .. ماهكذا الظن بك ولك .. ثم يامولاى أرسلتُ (العارف) إلى صاحب الدولة رياض باشا لقبض أموالى وكتبى التى بقيت فى مصر ، فأرجو رجاء من يعتقد أنك أهل للكل أن تنظر إليه بنظر عنايتك كما هى سجيتك وعادتك ، وأنا الآن فى القنال ، أذهب إلى لندن ومنها إلى باريس مسلما عليكم سلام المشتاق إليكم»

الخطاب الثانى :

«مولاى .. إن نسبتك هى «لا هوادة فى الحق» وأنت تقدمت على غيرك فى هذا ، فهو أمر فطرت عليه ، فأنت تخوض الغمرات فى سبيل الوصول إلى الحق ، وهذا يقينى فيك ، ومابعته يوما بالشك ولو رأيت منك يوما انحرافا عن الرشد ،

(١) كانت فى الأصل «يسدك» والناطقون بالفارسية ينطقون الصاد سينا .

(٢) كانت فى الأصل «مقسورا» والناطقون بالفارسية ينطقون الصاد سينا .

وجورا عن القصد ، ماصدقت ، فأنا موقن أنك لازلت على السداد غير مفرط ولا مفرِّط ، ولو قلت غير ذلك فقد استبدلت علمي بالجهل ، ولو قلت إنك من الذين تأخذهم فى الحق لومة لائم ، وتصدهم[1] عن الصدق خشية ظالم ، وأنت تصدع به ، وتقول الحق غير وانٍ ولا ضجِر ، ولو ألّب الباطل عليك الكوارث المردية وأغرى بك الخطوب الموبقة ، لو قلت بهذا لكذبت نفسى وكذبنى من يسمع مقالتى ، لأن العالم والجاهل ، والفطن والغبى كلهم قد أجمعوا على طهارة سجيتك ، ونقاوة سريرتك ، واتفقوا على أن الفضائل حيث أنت ، والحق معك أينما كنت ، لاتفارق المكارم ولو اضطررت ، وأنت مجبول على الخير ، لايحوم الشر حولك أبدا ، ولا يصدر عنك نقيصة قصدا ، ولاتهن فى قضاء حق ، ولاتكف عن شهادة صدق مع بذل وفداء ، غير أنك مع علمك بواقع أمرى وعرفانك بسريرتى وسرى قد قصرت فى حقى وكتمت الشهادة ، وماذدت عن حق كان واجبا عليك حمايته ، ولاصنت عهدا كانت عليك رعايته ، وكتمت الشهادة وأنت تعلم أنى ماأضمرت للخديوى ولاللمصريين شرا ، ولا أسررت لأحد فى خفيات ضميرى ضرا ، وتركتنى بين أنياب الضابط اللئيم النذل عثمان باشا ، فنهشنى نهشا عنيفا ، وأكل لحمى وعظامى ، كما ينهش السبع الهرم العظام ، ضغينة منه على السيد إبراهيم ، وإغراء منه لأعدائى من حزب عبد الحليم باشا . ماهكذا الظن بك ... ولا المعروف من رشدك وسدادك؟! ... وما يطاوعنى لسانى ، وإن كان قلبى قد عفا عنك لعظم منزلتك فى الفضائل ، وشرف مقامك فى الكمالات ، ولهذا أقول : عفا الله عنك وعفا الله عما سلف ، فينبغى عليك — الآن — أن تصدع بالحق وأنت تنطق بالصدق ، وأن تظهر الشهادة إزاحة للشبهة ، وإدحاضا للباطل ، وإخزاء للشر .

ثم إنى يامولاى أذهب الآن إلى لندن ومنها إلى باريس وأرسلت العارف إلى صاحب الدولة رياض باشا لقبض أموالى وكتبى التى بقيت فى مصر ، أرسلت إليه مكتوبا أظهرت فيه تفصيل ماجرى على فى مصر ، وما ابتليت به فى البلاد الهندية .

وأرجو من عميم فضلك وواسع كرمك أن تنظر إلى العارف بنظر العناية ، وأن تساعده فى الأمر الذى أرسل لأجله ، والسلام عليكم وعلى أخى الفاضل أمين بك» .

---

(١) كانت فى الأصل «تسدهم» والناطقون بالفارسية ينطقون الصاد سينا

الخطاب الثالث :

«مولاى .. المدح أمانة وخلة كريمة مكنونة ، والوصف إظهار خليقة سنية غير معلومة .. وأنت بكل فضيلة موصوف ، وبكل مكرمة معروف ، والمدح فى ثنائك مهما كثر لايفى بحق مدحك .. كيف وقد وقف دون مقامك منطق الفصحاء .. وإنما أقول إنك فى القطر المصرى لكل البرية أمان ، وللأمة ضمان ، لأنك ترسى دعائم العدل ، فأنت دعامة الحرية ، تحب كل خير بجبلتك ، وتسعى إليه ، ولايأتى منك الشر ، ولو أجبرت عليه ، وليس فى طبعك ظلم أو عدوان ، وليس من الظالمين أخدان ، وأنت الفرد الذى لاترضى بالظلم أينما حل ، وتأبى الجور وإن قل ولك حل ، ولكن مع ماأنت فيه يامولاى وعليه من حب الإنصاف ، وبغض الحيف والاعتساف ، أنت الذى بعدلك وترتنى ، وأنت الذى قتلتنى نصفتك وماثأرتنى ، إن عدلك نهر عثمان باشا حماية عنى ، ونهاه وزجره عن تهمتى ، ولكن أبت النفس الخبيثة إلا الشر ، فاختلق أقوالا ، وافتعل أكاذيب ، وبلغها سيدى الخديوى ، والخديوى — بلا روية وإجالة فكرة — أمر بطردى من الديار المصرية ظلما وجورا ، فإن أنت يامولاى بعدلك لاتأخذ ثأرى ، مع علمك[1] بأنى كنت بريئا من كل تلك التقولات التى نسبها إلى عثمان باشا ، خصوصا بعد ماعتاظ من زجرك إياه ، فماأديت فريضة عدلك ، ولاقضيت حق نصفتك ، وحاشاك أن تكون متهاونا فى الحق ، متقاصرا فى العدل .. ثم يامولاى هاأنا اليوم فى القنال أذهب إلى لندن ومنها إلى باريس وأرسلت خادمي (العارف) إلى جنابكم — جناب الرحمة والعدل — وإلى صاحب الدولة رياض لقبض أموالي وكتبى وشهريتى التى بقيت على الحكومة، والثقة بكم ، والاعتماد عليكم وعليه ، ولا تنس يامولاى أنى مقتول بسيف حمايتك ، ولاتذهل عن فضلك وعدلك والسلام .

ولا تنسى يامولاى أن ديّنى عليك ، لأن ذاك الخبيث ماقتلنى بسيف عدوانه إلا لأجل حمايتك عنى ، وزجرك إياه» .

الخطاب الرابع :

« مولاى .. ها أنذا اليوم فى القنال إلى لندن ومنها إلى باريس .. مسلما عليكم سلام من أثقلت حقوقكم ظهره ، وممجدا إياكم تمجيدا يكون أداء

(١) كتبت هذه الكلمة فى الأصل «عملك» والصواب ماذكرناه .

لجلالة مقامكم ، وكفاء لعلو شأنكم ، ويعادل عظيم درجتكم فى نزهة النفس ، وطهارة السريرة ونقاوة السيرة ، ويوازى جليل رتبتكم من عقائل الصفات وكرائم الخلائق التى تدثرتم بها ، ومؤديا إلى مدارج الكمال التى صعدتم فيها بالعقل المطبوع ، ونظر صائب يعطى الأمور حقها ، وبما فطرتم عليه من جبلة ، تأبى أن تقف على الظواهر دون أن تبطنها ، وتستنكف بمشاهدتها دون أن تخوضها وتكتنهها.

لاشك أن المصيبة العظمى التى دهمتنى ، والبلية الكبرى التى أصابتنى قد أحطتم علما بها ، وانكشف لكم باطنها عن ظاهرها ، وسرها عن علنها ، وظهرت لديكم خفيتها ، ورمقتم من خلال أستارها حقيقتها ، وعلمتم أنها كانت حيفا على برىء ، جلبتها التهمة على نقى ، ومابقيت حقيقتها - حتى الآن - تحت ظلال الخفاء محجوبة عن بصيرتكم الثاقبة ، ولا أكنتها خافية عن بصيرتك[1] النافذة فى أطباق الحجب ، تخترق الحجب المظلمة وتهتك أستار العمى ، لأن عقلا محضا ، ولبا صرفا مثلكم لاتغرنه الظواهر ، ولا يصغى إلى نعق ناعق ، ولا يعير سمعه إلى قول مجازف ، ولا تحركه عواصف التقولات ، ولا يزعزعه هبوب الافتعالات ، بل لايمشى فى الحوادث إلا بنوره وهداه ، ولا ينقاد فى الوقائع إلا إلى سلطان برهان أوضح له سبيل الحق وأراه ، لأنه يعلم أن من يأخذ بالظاهر يغتر ويغر ، والذى يتبع كل ناعق يضر نفسه ، وهو بغيره أضر ، وكم لبّس الخبيث المنافق الحق لباس الباطل ، وكم ظهر الباطل بدثار الحق ، وكم تَردَّى الجور برداء العدل ، وكم علِّم العدل بعلامة الجور ، وحوشيت أن تكون من الذين عقولهم فى آذانهم ، وأفهامهم فى حاشيتهم وبطانتهم ، يعتقدون مايقولون ، ويقولون مايسمعون ، ثم يجلسون على منصة الحكم فيقضون بلا عقل يرشدهم ، ولا روية تسددهم ، ولا خشية سوء تقعدهم[2] ، ولا ارتياب فى أنكم بما جبلتم عليه من الفطرة النقية ، والطينة الطيبة الرفيعة قد استعظمتم الرزية التى غشيتنى - بعدما ظهر لكم من جلية الأمر - كما استعظمتم الداهية التى داهمتنى ، بلا جنحة اقترفتها ، فإن من لايستعظم مصيبة العدو ، ولا يستنكر بلية الحيف ، لايأبى أن يأتى بمثل هذه البلية ، ولا يخشى أن يأتى بها ، ولا يبالى أن يكون مصدرها ، وليس فى الحيف صغيرة ولا

---

(١) ذكرت هذه الكلمة فى الأصل «بصرك» والصواب ماذكرنا .

(٢) ذكرت هذه الكلمة فى الأصل «فتقدعهم» والصواب ماذكرنا .

كبيرة فإن منشأه سخافة العقل ، وقسوة القلب . وإذا اجتمعت هاتان الخلتان فى رجل ، فقد استوت عنده صغيرته وكبيرته ، حسب كبير انطباعه وصغيره ، لأنه عدول عن الحق ، والحق كله كبير ، وأنت العدل حقا ، والنصفة صدقا ، وهذا هو الذى يمنحك العزة ، ويخلد اسمك ، وأنا موقن أنكم بغريزة عقلكم الثاقبة ، قد علمتم حقيقة تلك المصيبة ، وأسبابها ودواعيها وبواعثها ، ولو اكفهرت سحب التلبيس ، وقول الزور على سماء عقول كثير من الناس ، وبطهارة نفسكم الزكية قد استعظمتم هذا الجور ، واستوحشتم من هذا الضيم ، الذى جنته علىّ يد الجهل والقسوة ، وحننتم على هذا المظلوم البرىء حنو القريب على القريب ، وإن قست قلوب الذين لايعقلون ، لأن الحنانة على المظلومين ، واللهف عليهم إنما تكون بمقدار العدالة وحب النصفة والنفار من العدوان ، وكراهة الجور ، وأنت ـ تعالى مقامك ـ لك القدم الأعلى فى العدالة ، والقدح المعلى فى النصفة ، فأنت كل العدل وكل النصفة وظل الرحمة ، ومع نداء هذا وذاك أريد أن أخبركم بحقيقة هذه البلية المفجعة حتى يكون سمعها كعيانها ، وسرها كإعلانها ، فأقول إن الخديوى كان يحبنى ـ قبل أن ينال المُلك ـ محبة صادقة ، أما أنا فقد كنت وليا لمن والاه ، وعدوا لمن عاداه ، وسلما لمن سالمه ، وحربا لمن عانده ، ولا أزال أقدح من يعاديه ، وآلف من يناديه ، حتى إن الشيخ البكرى واسماعيل باشا ، حقدا علىّ ، وحاول كل منهما أن يثير فتنة بين الناس ضدى ، لتشويه صورتى والإساءة إلى سمعتى ، كما اشترك معهما شاهين باشا فى إثارة الفتنة ضدى ، بادعاء أن لى صلة بجماعة من الإفرنج المسونيين ، وتحرك شاهين باشا وذهب إلى الخديوى ناصحا ومهددا إياه وقال له : «إن المسونيين قد عزموا على قتلك غيلة لأنك تسعى فى إدامة حكومة هذا الظالم ، فاصفر لونه وغلب عليه الخوف ، وحلف أن لايعين اسماعيل باشا فى شىء ، وأن لايمتثل له أمرا» .

وأنا شخصيا كنت أتصل بالمسونيين بعلم من الخديوى وطلب منه ، فكان الخديوى كل يوم يرسل إلىّ كاتبه كمال بك قائلا : «إن أفندينا يسلم عليكم ويقول لكم ليس لنا فى هذا الأمر سواك لدفع شر جماعة من الإفرنج المسونيين وأذنابهم ، وهم من حثالة وبقايا الشعوب الماضية ، فهم من بقايا السريانيين الذين كانوا تحت رئاسة عبد الحليم باشا حينما كان رئيسا على مجلس المسون فى القاهرة» .

وأنا حبا فى الخديوى ظاهرتهم بالعداوة ، وقابلتهم بالخصومة ، ورفضت مجلسهم ، أنا ومن كان مثلى مغروزا بحب الخديوى ونبذت رئاسة محفلهم ، وتركت ودادهم ، ومججت ألفتهم ، وأنا الرئيس عليهم من سنين ، وكانوا يحبوننى وأحبهم ، وأوقرهم ويعظموننى ، وكل هذا مافعلته إلا ثقة بحب الخديوى ، حتى إن المسونيين من الإفرنج وأذنابهم حنقوا علىّ ، وجاهرونى بالعداء ولكن الحاسدين والكارهين لقربى من الخديوى دسوا لى عنده ، وزيفوا حقيقة موقفى من المسونيين ، وصوروا له أننى رأسهم المفكرة ، والقوة المحركة فيهم ، وكل هذا كان نكاية فى ، وتشفيا منى ، وكل هذا الكيد والغيظ ماكان له سبب سوى توهم باطل ، فأمر الخديوى بطردى من البلاد ، وأسند هذا الأمر إلى عثمان باشا فأرسلنى هذا النذل إلى السويس مع جماعة من الضباط[1] ، وبقيت فيها[2] يومين محبوسا فى سجن محاط بالعساكر لاقدموا لى الطعام ولاتركونى حتى أجلبه من السوق ، وفى آخرالوقت جاء رجل من طرف الأحمق الذى يتصرف فى السويس بظلمه ، وأخذ ماكان فى جيبى وجيب خادمى من الدراهم والأقراش وقلم الرصاص والمسبحة والمنديل والسكين قائلا : إن أفندينا قد أمر بذلك ، وبعد هذا الفعل الشنيع قادنى إلى مقر ذلك الظالم قود الجمل المخشوش ، فلما مثلت بين يديه قلت له بصوت ضعيف : يأيها الباشا إن كنت مأمورا بقتلى فلم التأخير والتوانى ، وإن لم تكن مأمورا بذلك فلم منعتنى عن جلب الطعام من السوق ولاقدمت مايقتات به من عند نفسك فى مدة اليومين بل أمرت أن تقتلنى جوعا»

فانكمش وجهه الصلد الوقح كأنه يعتذر وقال : «ماعلىّ أنا مأمور ومعذور» ثم فغر فاه قائلا : «إذهب إلى وابور[3] اللبكت إن شاء الله يصير طيب»[4] ونرسل أموالك وكتبك قبل وصولك إلى بندر[5] كراتشى، وبندر أبو شهر أو البصرة ، وترى كل خير من أفندينا إن شاء الله ... (هذه سياسة معوجة تركية [6]) ..» فقلت له : «إن أمرت

---

(١) وردت الكلمة فى الأصل «الضابط» والصواب ماذكرناه .

(٢) وردت الكلمة فى الأصل «فيه» والصواب ماذكرناه .

(٣) كلمة عامية معناها السفينة .

(٤) وردت هكذا والصواب طيبا.

(٥) كلمة معناها ميناء .

(٦) هكذا وردت هذه الجملة فى الأصل .

أن ترد لنا الأقراش التى أخذت من جيبى حتى نقدر على النزول من الوابور فى بندر من هذه البنادر التي ذكرت» فتعبس وتجهم وقال رافعا صوته : «أما هذه فلا يمكن لأنى أخاف أن أخالف أفندينا فإن أفندينا قد أمر أن أسلب جميع ماعندك وعند خادمك سوى الثياب» .

وجملة الأمر قد ذهبت من مصر إلى بندر كراتشي بسربال وسروال مع كل عناء وبلاء ، وزاد جميع هذه الآلام والمصائب تأثر النفس الذى حصل لى من خجل استولى عليّ وتهيج به دمى عندما تصورت أن حزب عبد الحليم باشا سيستهزئون بأفعالى ويسخرون من محاماتى عن الخديوى ، ومحبتى له ، وقد جرى عليَّ منه ماجرى ، لأنهم كانوا عارفين بحقيقة الأمر ، أما الاستهزاء بى فشىء فظيع ، وقد يشيع بين الجميع ، فأسألك ياعقل مصر ، وياعدل القاهرة بما حزت من مزايا الجمال فى عميقات إدراكاتك ودقيقات أفكارك ، وبما نلت من فضيلة التمام فى ساحات طهارة نفسك وتقاها ، وذرى أخلاقها الزكية ، وشواهق سجاياها الرفيعة[1] ، أن تسأل -امتنانا على ، وقياما بواجب حق العقل ، وأداء لفريضة العدل- عن أفعالى وحرماتى مع الخديوى وغيره -عبد الله باشا فكرى ، وفخرى باشا ، وكمال بك كاتب الخديوى ، والشريف باشا الذى بحمايته صرت فريسة للكلاب- فإن كان عالما بصدرى ووردى، عارفا بأعمالى وأفعالى عندما كنت فى بلاد الإفرنج ، ماخفيت عليه خافية من أمورى ، حتى تقوم -على ماأحطت به علما- من استقامتى واعتدالى شواهد العدل ، وبراهين الصدق ، حتى يكون حكمك فى قضيتى هو حكم الحاكم العدل عن بينة ثم تدبر ياعقل مصر بنافذ بصيرتك فى هذه الحكومة ورجالها ، ويامصلح شئونها التى تبكى الفرح الجذلان ، وتضحك الكئيب الحزنان ، وتأمل بناقد إدراكك فى دعائمها والقوانين على صورتها التى هى عليه الآن ، فهل يمكن أن تدوم حكومة بهؤلاء الظلمة الجهلة ؟!... هل تقوم دولة بمثل هذا العمى والصمم ؟!... نرجو أن تعمر البلاد ، وتنعم العباد ، وتنقذهم من هذه العقول السخيفة الظن ، إن يزيد[2] مات ، كما توفى الحجاج[3] ، ولكن الأرواح تتناسخ ، ولهذا

(١) ذكرت فى الأصل (الرصيفة) والصواب ماذكرناه .

(٢) يقصد يزيد بن معاويه .

(٣) يقصد الحجاج بن يوسف الثقفى .

انتقلت روح كل من يزيد والحجاج إلى هؤلاء الظلمة المجرمين ، فانتقل الظلم من صلب إلى صلب ومن بطن إلى بطن ، فلا تخلو حكومة من حكومات المسلمين ـفى هذه القرونـ من حكام ظلمة ، حريصين على ممارسة الجور ، فهم يأمرون بالفحشاء والمنكر وينهون عن المعروف والبر ، وحق العدل وعظم شأنه ، ولو تأمل البصير فى هذه الحكومات وما فيها من الحيف والعسف لرأى أن بقاءها فى العالم لايكون إلا لتزداد خزيا وافتضاحا متواليا ، نكالا من العدل ، وخذلانا من النصفة ، وقصاصا لما جنت على نفسها من الجور والظلم ، وياعدل القاهرة .. لو نظرت بنظارة إنصافك دقائق المصيبة التى أصابتنى من الحكومة المصرية وأنا طاهر القلب ، نقى السريرة ، برىء من كل جنحة وجناية ، ورأيت بمرآة عدالتك ماترتب على مصيبتى من بلايا فى بلاد الهند ، فقد أصابتنى تلك الرزية بكثير من البلايا المتتابعة فى الهند ، لو رأيت هذا كله لحكمت حكما عدلا أن الداهية الدهياء التى نزلت بالحكومة المصرية وأخذت بمخنقها ، داهية عظيمة تنبغى إزاحتها .

حقا اقول إن بالعدل قامت السماوات والارض وما بينهما ، وبالجزاء قام العدل على مركزه ، وعلى محوره استدارت رحاه ... بالله عليك هل أنا المفسد أم هؤلاء .. لقد كنت حربا على الفساد وممارسيه ، وكنا نحن ــ دون الناس ــ محبين للخديوى ، ومحامين عنه على الملأ ، هل يعاقب المصلح ويثاب المفسد؟!.. أهذا عدل وإنصاف ؟!.. لو طبقت قوانين العدل فتنبغى المبادرة بالضرب على أيدى هؤلاء المفسدين الجائرين ، لقد سعينا قبل ذلك فى إطفاء نيران فتنة مثل هذه الفتنة ، وسعينا لدى الخديوى ومسيو فيلزى الأبوكاتو عندما استعفى الشريف باشا حتى خمدت نار الفتنة تماما ، هل مثلى ينبغى أن يعامل بهذه الطريقة بدل أن يكافأ ويكرَّم ؟ يالعقل العاقل !.. أين العدل ؟!.. أين الإنصاف ؟!.. أين التقدير ؟!.. أين حسن التدبير ؟!.. والذى أضحكنى بعدما أبكانى ما كتبته أضحوكة الجرائد ، وفهرست الأفعال السيئة ودفتر الأعمال السخيفة الوقائع المصرية ، ومدار نظر الحكومة المصرية من أن الحكومة قد اطلعت على جمعية سرية رئيسها جمال الدين الأفغانى ، قد تأسست على فساد الدين والدنيا ، نعم .. هذا ما كتبت .. وقد كنت أظن أن التكفير سلاح المستضعفين للإساءة إلى المصلحين . ثم اتضح الآن أنه سلاح الحكام الظالمين ، إن الحاكم يملك وسائل القضاء على الذين

يعملون على إفساد الدين والدنيا بعد محاكمتهم محاكمة عادلة، تظهر الحق، وتكشف المفسد والمصلح، ولكن رمى الناس بالباطل، وتشويه الحقائق، وتوجيه التهم دون دليل، هى أسلحة الجبناء، وماذكرته هذه الجريدة دائما عونا على الحمق وعضدا للخرق ،وهى التى تعمل على إفساد الدين والدنيا، وإلا فأين العدل ؟!.. هل شاع العدل فى البلاد؟!.. هل تسير الأمور بما يرضى الله بالعدل والقسطاس؟!.. إن هؤلاء الظلمة يشوهون وجه العدالة كل يوم، ويجعلون شجرة الظلم ثابتة الجذور، فهى تثمر جورا وعسفا، واعتداء أثيما على الشرفاء والمصلحين، والدليل على ذلك ماأصابنى ـــ نتيجة إخلاصى.. ودعوتى الإصلاحية ـــ من مصائب وبلايا لاتعد ولاتحصى .

وأرجو أن تسمح لى ـــ ياعقل مصر ـــ أن أقص على مسامعك ما حدث لى فى بلاد الهند من نكبات ومصائب ، كانت كلها نتيجة للمصيبة التى حلت بى فى مصر على أيدى هؤلاء الظلمة الجائرين إن هذه المصيبة تستفرغ ماء العيون ، وتقضى على العاقل بالجنون .. لقد استولى ذلك اللئيم على أموالى وكتبى وحرمنى من الطعام أياما ، وظن أنه يستطيع أن يرثنى وأنا مازلت على قيد الحياة ، وهو جاهل حاقد ، لايعرف أن الله وحده له ملك السماوات والأرض ، وهو ـــ وحده ـــ الذى يرث الأرض وما عليها وهو خير الوارثين .

إن هؤلاء الظلمة الحاقدين قد ذهبوا إلى «تيريكو» قنصل فرنسا وبلغوه أن صفو المصريين مع عبد الحليم باشا وميلهم إليه ، وروعوه من وقوع الفتنة ، إن عدل عنه إلى غيره ، ولما بلغنى هذا أسرعت أنا والمعتزون بحب الخديوى من حزبى إلى القنصل ، فكذبت مابلغوه ، وأظهرت له جلية الأمر ، وكشفت القناع عما أضمره ، وقد أعلن كل هذا فى الجرائد الوطنية ، وليس للخديوى أن ينكر مافعلته ، ويمجد هذه المساعى وغيرها ، إلا أن يفقأ عين الفتوة ويكفأ إناء المروءة .

ولما يئس إخوانى المسونيون من الرجوع إليهم ، والاتفاق معهم ، ورأوا تصلبى على هذا الرأى القائل بغير رأيهم ، وثباتى على درء عزمهم الباطل ، وقنطوا من فوز عبد الحليم باشا ، نصبونى هدفا لسهام افتعالاتهم ، وأطلقوا علىّ ألسنتهم السليطة ، فبهتونى واتهمونى ، ونسبونى إلى طائفة «النهليست» مرة ، وإلى «السوسياليست» أخرى وأشاعوا كذبا وبهتانا أنى عازم على قتل الخديوى والقناصل

جميعا .. ياللعقل والعاقل!... من أين لى الجيوش التى تقوم بهذه الأمور الصعاب ، وأنا رجل غريب فى مصر ، وماكنت أظن فى عميقات فكرى أن يوجد فى أولاد آدم شخص يعير سمعه إلى هذه الأباطيل ــ ولو كان أفينا ــ ولكن قد وجد وبعدما نال الخديوى الملك ، تآلف المسونيون مع أحزاب عبد الحليم باشا وذهبوا إلى الخديوى ، وألقوا إليه ماألقوا ، تشفيا بغيظهم ، وبعضهم لاحظ فىّ ضيقا وانفعالا من هذه السياسة ، ومعارضة لهم ، وأنا قبل ذلك ماعاديتهم ، ومارفضت رئاسة مجلسهم ، مع علمى بكثرتهم وقوتهم ، وكان ذلك اتكالا منى على الخديوى ، وثقة به ، وماكنت أدرى أن الخوف من حيث الثقة ، وقد كتبت ردا لتقولاتهم فى جميع الجرائد المصرية العربية والإفرنجية ، وأظهرت للحكومة فيها مكنون نياتهم ، واستعنت بها على فضح شرهم ، وقد أتانى الشر منهم ، وقد أعان المسونيين أحزابُ عبد الحليم باشا على اختلافاتهم وساعدهم على افتعالاتهم ، وتنسيق زورهم وبهتانهم الشخصى المعكوس ، والهيكل المركوس ، والرجل المعيوب عثمان باشا المغلوب ، الذى كان ضابط البلد فى ذلك الوقت ، لضغينة اتقدت فى أحشائه ، وحنق على لأننى كتبت فى مقالة فى إحدى الجرائد أن عثمان باشا ضابط الأمن فى البلاد ــ مثلا ــ ليس بمعصوم ، يخطىء ويصيب ، فغضب ذلك المركوس ، وتميز غيظا ، وأخذ ينتقم دون تمييز ، فأخذ الأستاذ بذنب التلميذ ، والرئيس بذنب المرءوس ، وزاد إرجافهم إرجافا ، وزاد زورهم وبهتانهم ، وحنقهم وعدوانهم ، وسمع بتقولات ذلك النذل ــ حينذاك ــ الشريف باشا ، فنهنهه وكفكفه ، وزجره ونهره ، فكف لسانه ، كاتما حقده وضغينته ، فلما استعفي الشريف باشا قام ذلك اللئيم متوقدا ملتهبا ، ظنا منه أنى شكوته إليه ، لاوحقك علىّ مارفعت شكواى إلى أحد بل ماعلمت أن الشريف باشا زجره وعاتبه إلا على لسانه فى ليلة مصيبتى ، قائلا لى : «إنك الآن فى قبضتى ، إن شئت أحرقك بالنار ، وإن شئت أغرقك فى الماء جزاء لك لأنك شكوتنى ، فإن الشريف باشا زجرنى وتوعدنى بالعزل لأجل شكايتك .

وبالجملة فإن ذاك اللئيم بهذه العلل الواهية ، وبإغراء أحزاب عبد الحليم كان يلفق كل يوم أكذوبة ، ويختلق أعوانه فرية ، ويبلغها إلى مسامع الخديوى ، وأنا لثقتى به واعتمادى عليه ، ماكنت مباليا بهذه الإرجافات ، علما منى بأنه عاقل

لايسمع هذه الأكاذيب فى حق رجل قد جاهر بولائه ، ودافع عنه ، فى وقت ألجم الخوف أصدقاءه ، ولكن خاب الظن ، وظهر خلاف ماكنت أعتقد ونسى الخديوى محاماتى له ، ودفاعى عنه ، ومحبتى إياه ، وزعم زعما على غير روية ، وظن ظنا لاعن تدبر وإجالة فكر ، أنى عدو له ، وأريد الغدر به ، فأمر باستبعادى عن الديار المصرية ، ظلما وجورا وأنا فى غفلة عن ذلك ، ونسى ماواجهنى به ذات يوم قائلا : «إن لسانى عن أداء شكرك عاجز» وغافلنى بقراره ، فماراعنى إلا انتقال الضباط إلىّ وهجومهم على فى الساعة الثامنة من الليلة السادسة من رمضان لدى العتبة الخضراء وأنا آت من بيت محمود بك العطار ، فأخذونى ، بكل عنف واضطراب إلى الضبطية ، فإذا ذاك اللئيم جالس على منصة الظلم ، فلما سألته عن سبب هذه الضبطية ، وعلة هذه الفعلة الشنيعة تعتع ومجمج ، فمرة قال إن العلماء لايرضون بإقامتك فى مصر ، ومرة قال إن قناصل الدول فى وجل منك ، ومرة قال إن أفندينا ماذاق النوم ثلاث ليال بأيامها من خوفك .

وبعد هذا الخبط والخلط ماصبر حتى كشف عن مكنون سريرته ، وجاهر بما أسره من ضغينته ، وأظهر مافى نفسه من كره لى بسبب عتاب شريف باشا قائلا : «إنى تجاوزت عن إغراقك ، ولكن يجب عليك أن تذهب إلى جهنم إما عن طريق بلاد العجم ، وإما من بلاد الهند»

وكلما طلبت بتعديل سفرى إلى الآستانة أو إلى باريس أو إلى الحجاز أبى إلا الإرسال إلى جهنم .

وطلبت إلى ذلك اللئيم أن يمهلنى يومين ، وأنا فى الضبطية ، حتى أعد للسفر عدته ، وأبيع مما أتملكه مالاينقل وأحمل معى مايجب أن استصحبه ، فأبرز بطنه منتفخا وقال : «نحن نكفيك مؤنة هذا وأنت فى السويس ، كن مطمئنا ، وهذا هو أحمد بك يكفل لك جميع ذلك ، وهو الرجل الصالح لذلك وهو وكيل الضبطية» مولاى... بعد أن ألم قلبك الشفيقُ ــ دائما ــ بما حدث لى ، وبعد الاستماع إلىّ بتفصيل وإلى المصيبة التى دهمتنى فى مصر ، فالآن أسألك بسماحة أخلاقك أن تعيرنى سمعك ، حتى أقص عليك مجملا من مفصل ما نزل بى فى الهند من البلايا التى هى نتائج البلية المصرية ، لأنك وحدك منتهى شكواى ، فأقول إنى منذ وصولى

إلى بندر كراتشى[1] ، وكان ثانى يوم من بلوغ خبر قتل «كيونارى» قنصل الإنجليز فى كابل ، كنت تحت الحفظ ، كل ساعة متهيئا لاستماع سؤال وإعطاء جواب وكل يوم مستعدا للذهاب من عند حاكم إلى حاكم لتجديد الفحص والتمحيص ، وكل شهر مشمرا للانتقال من بلد إلى بلد لاستنطاق الملكة خلافا للحكومة الخديوية ، إلى أن ذهب أيوب خان إلى طهران ، فحينئذ اطمأنت خواطر الإنجليز من طرفى ، وتركونى صريعا ثقيل الظهر ، مكسور العظم ، من الضنك والضيق والقلق والاضطراب ، أضبط ضبط عشواء ، لاأعرف الضلالة من الهدى ، فذهبت إلى الدكن وأنا لاأملك نقيرا ولافتيلا ، ولا أجد لنفسى بيتا ولا معيلا ، وبينما أنا ضال عن رشدى وحائر فى قصدى ، أتأمل فى المصائب التى تواردت علىّ وأتفكر فى حالى ومالى ومآلى ، وما يؤول إليه أمرى ، إذ قامت الفتنة العرابية الدامية على ساقها ، واستولى الوهم على الحكومة الإنجليزية واشتدت وساوسها ، خوفا من وقوع الفتنة فى الهند ، واعتقدت بأننى مرسل من طرف عرابى باشا لتحريك المسلمين وتحريضهم ضد الحكومة الإنجليزية ، فطلبتنى من الدكن إلى كلكتة مشددة على فى السؤال والجواب ، وكنت كل يوم ــ طبعا ــ فى تهديد وتحذير ، ولقد ضيقت على مسالك الراحة ، وكلما كان صوت العرابى يزداد اعتلاء كانت الحكومة الإنجليزية تزداد علىّ شدة ، خصوصا عندما قال ذلك القوال المجازف «أنا أثير مسلمى الهند على الإنجليز» حتى إنه من شدة تضييق الحكومة ، وعدم إصغائها إلى ماألقى إليها من الأجوبة طلبت منى اضطرارا ، وفرارا من البلية أن تنسبنى إلى بلية أخرى وأن ترسلنى إلى الخديوى ، ورفعت مسألتى هذه إلى حاكم الهند وهو وقتئذ يفكر فى المسألة ، فظللت منتظرا للجواب ، وظلت الحكومة فى الخطاب والعتاب ، إلى أن انطفأت الفتنة ، فأطلقتنى مع مراقبة أفعالى وحركاتى ليلا ونهارا ، فلما رأيت أن المصائب تكشر كل يوم عن أنيابها ، وأن البلايا تفتح كل ساعة بابها ، وتفكرت فى الرزايا التى جلبتها على الغباوة والقسوة ، ترويت فى أمرى ، وعلمت أنى أذهب إلى بلدى وفى العين قذى ، وفى الحلق شجى ، وفى الكبد أوار وفى القلب نار مما أصابنى ، لاأجد فيه من أهله ــ وهم مسلمون ــ من يتوجع ويأسف على مصابى ، ومن إذا قصصت عليه قصتى وكشفت عن غصتى يئن على ، ويتوجع لى ، لأن المسلمين فطروا على جبلة واحدة ، وخلقوا من طينة متماثلة بلا اختلاف فى الطبيعة ، ولاتغاير فى السجية ، لايستعظمون الضيم ، ولا

(١) بندر كلمة فارسية معناها ميناء .

يستوحشون من الظلم ، ولا يرون الحيف فظيعا ، ولا العسف شنيعاً ، ولا يرعون مصابا ، ولا يحنون على ضحية مصائب فى بلد ، فعزمت أن أذهب — وإن كنت صفر اليدين ، خالى الراحتين — إلى بلاد فيها عقول صافية ، وآذان واعية ، وقلوب شفيقة ، وأفئدة رقيقة ، حتى أقص عليهم مايجرى على ابن آدم فى المشرق ، وأخمد النار الملتهبة فى قلبى من هذه البلايا ، وأضع حمل هذه الهموم التى أنقضت ظهرى ، وأنا إن مت فعلى الدنيا بعدى العفاء ، وإن بقيت فلا أعدم عقلا يرفق بى ، ولا أفقد عدلا يحن على ، وهذا هو سبب ذهابى إلى بلاد الإفرنج .

وقد أرسلت يامولاى إلى رفيع جنابكم خادمى (العارف) لقبض أموالى وكتبى وكل مالى من الأشياء التى تخلفت فى مصر ، بعدما شردتنى اليد الظالمة ، وأخذ شهريتى الباقية على الحكومة ، والثقة فى كل هذه بعدلكم ، وأن تظلوا العارف بظلال شجرة رحمتكم ، وتؤوه فى فناء عاطفتكم ، إلى أن يقبض أموالى ويلحق بى فى لندن .

ثم أرجو بضراعة واستكانة رجاء معتقد أنكم أهل لكل فضيلة —يتباهى بها اسمكم— أن تنظروا إلى نلامذتى بنظر الرعاية خصوصا الشيخ محمد عبده ، والسيد إبراهيم اللقانى ، ولو صدرت عنهم فى هذه الفتنة الشوهاء فلتة عن جهالة فاعفوا عنهم بواسع رحمتكم ، وتجاوز عن سيئاتهم بكرم أخلاقكم ، ولا تؤاخذهم يامولاى بخطيئاتهم ، فإنك أنت العفو الكريم والبر الرحيم .

ولقد أرسلت مكتوبا إلى الشريف باشا ، ومكتوبا آخر إلى عبد الله باشا فكرى ، ودعوتهما إلى أداء الشهادة والسلام...» .

الخطاب الخامس :

«مولاى ... المدح إبانة مكتوم والوصف إظهار خلق غير معلوم ، وأنت بكل فضيلة موصوف ، وبكل مكرمة معروف ، فلا أكدح فى ثنائك ، ولا أدأب فى مدحك ، كيف وقد وقف دون مقامك منطق الفصحاء؟! .. وإنما أقول إنك فى القطر المصرى أمان لكل البرايا ، وبك قامت فيه دعائم العدل ، وأساطين النصفة ، تحب كل خير بجبلتك وتسعى إليه ، ولا يأتى منك الشر ولو أجبرت عليه ، وليس فى عدلك ونصفتك إدهان ، وليس لك من الظالمين أخدان ، وأنت الفرد الذى لاترضى بالظلم أينما حل ، وتأبى الجور وإن جل وإن قل ، ولكن مع

مأأنت فيه يامولاى وعليه من حب الإنصاف ، وبغض الحيف والاعتساف ، قد سطا على – فى زمان عدالتك – الظلم بسيفه ، وأرق العدوان دمى ، وليس لى ناصر ولامعين ، فى حوزة نصفتك ، ياللعدل وياللإنصاف ! ... أهكذا يفعل بالبرىء فى بلد أنت الرئيس عليه ؟!.. لا..لا.وحقك أن هذا ليس من النصفة فى شيء ، إن عدلك يامولاى نهر عثمان باشا ، حماية عن الحق ، ونهاه عن التهمة والافتراء والتجنى على هذا المسكين البرىء ، وحقك إن الرحيم لايطيق إن سمع كيفية طردى وشناعة معاملة عثمان باشا معى ، ولكن أبت النفس الخبيثة إلا الشر ، فاختلق أقوالا ، وافتعل أكاذيب ، وبلغها سمع الخديوى والخديوى بلا تدبر وروية ، ولاإجالة فكر ، أمر بطردى من الديار المصرية بأشنع وجه ، وأقبح صورة ظلما وعدوانا ، فإن أنت يامولاى بعدلك لاتأخذ ثأر الحق من ذاك الخبيث المفترى مع علمك بأنى كنت بريئا من تلك التقولات التى نسبها إلى كذبا وافتراء ، خصوصا بعد ما اغتاظ من زجرك إياه ، فما أديت فريضة عدلك ولا قضيت حق نصفتك ، وحاشاك أن تكون متهاونا فى الحق متقاصرا فى العدل[1] .

نقد وتعليق :

إن هذه الخطابات التى كتبها جمال الدين بخط يده باللغة العربية إلى أحد –أو بعض– المسئولين فى مصر ، فى أثناء حكم الخديوى توفيق ، تعطى دلالات كثيرة نلخص أهمها فيما يلى :

١ – أن جمال الدين كان يجيد اللغة العربية إجادة تامة ، مكنته من التعبير بطلاقة عن كل المعانى التى كانت تجول بخاطره فى أسلوب مسجوع ، بعبارات منمقة ، تضم كلمات منتقاه مختارة ، مما يدل على إحاطة جمال الدين إحاطة تامة باللغة العربية وآدابها .

٢ – أن جمال الدين كان يعرف أكثر من لغة أوربية ، فيبدو أنه كان يعرف الإنجليزية والفرنسية ، ولم يكن يجد صعوبة فى العيش فى بلاد الهند أو فى انجلترا حيث يستطيع استعمال اللغة الإنجليزية ، ويعيش بسهولة فى مثل هذه البلاد ، كما كان يحب السفر إلى فرنسا لأنه يستطيع العيش فيها لمعرفته بلغة أهلها .

---

(١) هذا الخطاب جزء من الخطاب الثالث ، ويبدو أن الناشر اشتبه عليه الأمر فعده خطابا مستقلا .

٣ ـ تؤكد الخطابات مكانة جمال الدين وعظم قدره ، لأنه كان فى أثناء إقامته فى مصر على صلة بالخديوى ورئيس الوزراء وكبار المسئولين فى الحكومة المصرية المنضمين لجماعة الماسون فى مصر ، وهى جماعة تضم بين أعضائها علية القوم ، ولا يرأسها إلا شخص رفيع القدر ذو نفوذ .

٤ ـ كتبت الخطابات بأسلوب يدل على إسراف جمال الدين فى المدح والثناء والتملق المبالغ فيه للشخص العظيم الذى كتب إليه الخطاب ، وهو خلق مألوف بين الشيعة ، وهو نتيجة لقول الشيعة بالظاهر والباطن وهو ما عرف بمبدأ «التقية» وقد تمادى جمال الدين فى نفاقه حتى أضفى على الرجل العظيم الذى وجه إليه الخطاب الرابع صفات لايوصف بها إلا الله ـ جلت قدره ـ كالعفو الرحيم والبر الكريم الذى يعفو عن السيئات ، ويقبل توبة المذنبين التائبين .

٥ ـ تدل الخطابات ـ كذلك ـ على أن جمال الدين كان متملقا للسلطة متعاطفا معها ، ولذلك وصف الثورة العرابية بأنها فتنة ، وأظهر ارتياحه لإخماد هذه الفتنة ، لأن إخمادها جعل الإنجليز يكفون عن ملاحقته فى بلاد الهند ، أهم مستعمراتهم .

٦ ـ إن الخطابات تكشف احتياج جمال الدين للمال بعد طرده من مصر بعد مصادرة أمواله وكتبه ومع ذلك نجده يسافر إلى لندن ثم يسافر منها إلى باريس ويرسل خادمه «العارف» إلى القاهرة لاسترداد أمواله وكتبه ومرتبه ، على أن يلحق به بعد ذلك فى لندن ، فكيف استطاع السفر والعيش فى أوربا مع ضيق ذات يده ؟!..وكيف استطاع تدبير نفقات خادم مرافق له أينما ذهب ؟!.. أليس هذا أمرا يدعو إلى التفكير فى المصدر الذى كان يزود جمال الدين بالمال الذى ينفقه فى رحلاته وأسباب عيشه فى الدول الأوربية ؟! .

٧ ـ وتكشف الخطابات المذكورة ـ كذلك ـ أن جمال الدين لم تكن ميوله إسلامية خالصة ، فقد انتقد المسلمين وبلادهم انتقادا شديداً فى الخطاب الرابع كما أثنى على البلاد الأوربية ثناء عاطرا ، فى وقت كانت الدول الأوربية ـ فيه ـ استعمارية تهدد بلاد المسلمين ، وتعمل على السيطرة عليها ، والاستيلاء على ثرواتها واستعباد أهلها حتى يظلوا ضعفاء متخلفين خاضعين لسلطان الأوربيين .

٨ ـ ليس فى الخطابات المذكورة أي حديث عن الوحدة الإسلامية ، وليس فيها

ـ كذلك ـ أي لون من ألوان الدعوة إلى الإصلاح ، لأنها تدور كلها حول مسألة فردية شخصية ، هي طرد جمال الدين من الأراضي المصرية ، ومصادرة كتبه وأمواله ، فهو لا يتحدث إلا عن نفسه ، ولا يحاول إلا الدفاع عن نفسه حتى يعفو الخديوى عنه ، ويسترد ممتلكاته فى مصر

٩ ـ أسلوب الخطابات وعباراتها وتشبيهاتها ونوع الخط الذى كتبت به ، ترجح جميعها أن جمال الدين إيرانى شيعي من علماء الشيعة ، لأنه يكتب بنفس طريقتهم .

د ـ خطاب يطلب جمال الدين فيه الانضمام إلى الماسونية :

وننتقل الآن إلى وثيقة أخرى من الوثائق المكتوبة بخط جمال الدين ، فنعالجها بنفس الطريقة التى عالجنا بها الوثائق السابقة ، حتى تزداد ملامح صورة جمال الدين وضوحا ، وتزداد حقيقته ظهورا بعون الله وتوفيقه .

والوثيقة التالية خطاب من جمال الدين إلى أرباب المجمع المقدس الماسونى يرجو فيه قبوله عضوا فى هذا المجمع ، والخطاب باللغة العربية ، وفيما يلى نصه :

«يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلى الذى مضى من عمره سبع وثلاثون سنة بأنى أرجو من إخوان الصفا وأستدعى من خلان الوفا أعنى أرباب المجمع المقدس الماسون ، الذى هو عن الخلل والزلل مصون أن يمنوا على ويتفضلوا إلى بقبولى فى ذلك المجمع المطهر ، وإدخالى فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر

ولكم الفضل .

جمال الدين الكابلى

سنة ١٢٩٢ هـ ربيع الثانى يوم الخميس ٢٣

نقد وتعليق :

هذا الخطاب على قلة عدد سطوره لايخلو من فائدة فى التعريف بجمال الدين ، وتحديد معالم شخصيته ، فهو مكتوب فى عام ١٨٧٥م ، فى أثناء زيارة جمال الدين الأولى لمصر ، وقد عرف جمال الدين نفسه بأنه مدرس العلوم الفلسفية ، ونسب نفسه إلى كابل عاصمة أفغانستان ، وكان توقيعه جمال الدين الكابلى ، وواضح من

دراستنا ـ في الجزء الأول ـ أن جمال الدين كان حريصا على انتسابه إلى بلاد الأفغان السنية ، حتى يستطيع بهذا الانتساب أن يجد طريقه بسهولة إلى دول العالم السنى كتركيا زعيمة العالم السنى فى ذلك الوقت ، باعتبارها دولة الخلافة ، ومصر باعتبارها من أهم مراكز الثقافة الإسلامية السنية .

وواضح من الخطاب المذكور ـ كذلك ـ أن جمال الدين انضم إلى الماسونية على أنه مدرس العلوم الفلسفية ، لا على أنه من علماء الدين ، أو من رجال الدعوة الإسلامية ، مما يرجح أن جمال الدين كان يؤمن بالعلمانية ، إذ لا يعقل أن رجلا فى مثل سن جمال الدين في ذلك الوقت ، وفى مثل ثقافته يجهل أهداف الماسونية التى يصفها فى خطابه بأنها مصونة عن الخلل والزلل ، ويرجو ويتوسل أن يمن ويتفضل عليه أرباب المجمع المقدس للماسونية بقبوله فى مجمعهم المطهر وبإدخاله فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر ، ولهم الفضل لو تكرموا عليه بهذه المنة ، مما يدل على تلهف جمال الدين على عضوية المجمع الماسونى .

ومن المعروف أن الماسونية حركة من حركات الغزو الفكرى التى تستهدف نشر المبادىء الهدامة بين الشعوب الإسلامية خدمة للاستعمار الغربى ، وإنجاحا لمخططاته ضد هذه الشعوب الإسلامية المؤمنة برسالات السماء ، التى كلف بها رب العالمين رسله المكرمين رحمة بالعالمين .

وواضح من خطاباته السابقة إلى بعض المسئولين المصريين ، وهى الخطابات التى كتبها بعد إخراجه من مصر ، أن جمال الدين تدرج فى وظائف الماسونية حتى صار رئيس المجمع الماسونى فى مصر ، وأن انتسابه إلى الماسونية كان التهمة التى أخرج بسببها من مصر ، لأن جماعته اتهمت بالعمل على إفساد الدنيا والدين .

هـ ـ خطاب يفيد ترشيح جمال الدين رئيسا للماسونية بمصر :

وفى مجموعة الوثائق الخاصة بجمال الدين ـ التى نقوم بنشرها وترجمتها والتعليق عليها فى هذا الجزء الثانى من كتاب حقيقة جمال الدين الأفغانى ـ خطاب موجه إليه يزف إليه بشرى اختياره رئيسا للمجمع الماسونى بالقاهرة ، والخطاب يسمى هذا المجمع لوج كوكب الشرق نمرة ١٣٥٥ ، وفيما يلى نص الخطاب المذكور ـ كما هو ـ

بإسلوبه الركيك ومافيه من أخطاء ، حتى تتضح الحقيقة ويزول اللبس لأن إدراك الحقيقة العلمية يعد غاية للدراسين :

لوج كوكب الشرق
نمره ١٣٥٥

فى القاهرة بمصر و٧ خبايو ١٨٧٨/٥٨٧٨

إلى الأخ جمال الدين محترم

إنه لمعلوم لديكم بأن فى جلسة ٢٨ الماضى وبأغلبية الآراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام ، ولهذا قد نهنيكم ونهنى ذواتنا على هذا الحظ العظيم وعن أمر الرئيس محترم الحالى أدعو إخوتكم للحضور يوم الجمعة القادم الجارى الساعة ٢ عربى بعد الغروب إلى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم القادوم بعد إتمام ماتجب من التكريز الاعتيادى ، سيصير يوم الخميس ١٠ الجارى الساعة ٦ أفرنكى مساء تكريز رئيس محترم لوج كونكورديه ، فالرجا حضوركم فى اليوم المذكور للاشتراك فى الأشغال ، وفى الحالتين ملابسكم تكون سوداء ورباط الرقبة والكفوف بيضاء .

واقبلوا العناق الأخوى

كاتب سر

نقولا سكردج

نقد وتعليق :

واضح من هذا الخطاب أن الماسونية لها طقوس لاتمت إلى الإسلام بصلة كتكريس الرئيس وتسليمه القادوم ولبس ملابس بلون معين ونظام معين ، وإذا كان جمال الدين قد قبل عضوا فى المجمع الماسونى فى عام ١٨٧٥ ثم انتخب رئيسا لفرع الماسونية فى القاهرة فى عام ١٨٧٨ فمعنى ذلك أنه كان من الأعضاء البارزين الذين بذلوا نشاطا ملحوظا جعله يكتسب ثقة الأعضاء فاختاروه رئيسا بعد مدة قصيرة من العضوية ، لأن من المعروف أن الترق فى مثل هذه المحافل يحتاج إلى وقت طويل وجهد متواصل ، مما يدل دلالة واضحة على أن جمال الدين انتخب بأغلبية الآراء لما كان يتمتع به من تقدير أعضاء جمعية الماسونية فى

القاهرة ، عَبَّر عنه كاتب سر الرئيس السابق بقوله «نهنئكم ونهنىء ذواتنا على هذا الحظ العظيم» .

ومن المرجح أن جمال الدين لم يكن يجهل حقيقة الماسونية وأهدافها ، فانضمامه إليها ، وظهوره فيها ، وتوليه رئاسة شعبة من شعبها لم يكن عن عدم وعى ، وإنما كان برغبة صادقة ، وتلهف عجيب على الانضمام إلى الماسونية ، فقد وضح هذا من خطابه الذى رجا فيه قبوله عضوا بالماسونية ، وليس هناك مجال لتبرير أن جمال الدين خدع أو لم يكن يعرف الماسونية على حقيقتها .

والآن يحق لنا أن نتساءل :

لماذا انضم جمال الدين إلى حركة الماسونية وفرعها فى مصر ؟!.. وهل لانضمامه إلى الماسونية صلة بأسفاره إلى الدول الأوربية ؟!..

وما الجهة التى كانت تموِّل أسفار جمال الدين المتعددة ؟!...

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تلقى أضواء كاشفة على شخصية جمال الدين وحقيقته ، وتفيد الدارسين وتنعكس على الدراسات المتعلقة به .

ونحن حين نطرح هذه الأسئلة ، لانهدف من وراء طرحها إلى شىء غير إظهار الحقيقة ، وإثباتها بعد تحريها والتأكد منها ، فلا يدور بخلدنا التوهين من قدر جمال الدين ، أو التشكيك فى أنه كان رائدا من رواد الإصلاح فى العالم الإسلامى ، وإنما الذى نحاوله هو أن نوضح كل ما يتعلق بجمال الدين ، وأن نجتهد فى فهمه وتفسيره بقدر المستطاع ، والله هو الموفق والهادى إلى طريق الرشاد .

أما لماذا انضم جمال الدين إلى حركة الماسونية وفروعها فى مصر ؟ فالواضح أن جمال الدين كان معجبا بدعوة الماسونية باعتبارها دعوة عالمية علمانية بدليل أنه سعى إلى الانضمام إليها فى القاهرة ، وبرز فيها حتى صار رئيسا للماسونية فى مصر ، وكان يزهو بصلته بالماسونية حتى أوقع الكارهون له والحاقدون عليه بينه وبين الخديوى ، فأخذ ينفر من الماسونية ، ويظهر الابتعاد عنها ، وكان هذا التحول نتيجة للظروف التى أحاطت به وأخرجته من مصر ، أى أن جمال الدين دخل فى الماسونية اقتناعا بفكرها ومبادئها ، ورغبة فى أن يرتفع قدره عن طريقها ، ثم ابتعد عن الماسونية لما رأى فى الابتعاد عنها خيرا له .

فالدخول في الماسونية والابتعاد عنها ، كان كل منهما لحاجة في نفس جمال الدين ، ومراعاة لمصلحته الذاتية ، وحبا في تحقيق نفع له أو تجنب شر قد يصيبه .

أما صلة انضمام جمال الدين إلى الحركة الماسونية في مصر بأسفاره إلى الدول الأوربية ، فإن المرجح أن هناك صلة بين انضمام جمال الدين إلى الماسونية وأسفاره العديدة المتتالية إلى الدول الأوربية ، وسهولة تحركاته في هذه الدول ، وتمكنه من الالتقاء بالمسئولين فيها ، لأن من المعروف أن الحركة الماسونية كان لها نفوذ في الدول الأوربية ، وأن كثيرا من المسئولين في هذه الدول أعضاء في هذه الحركة .

وأما الجهة التي كانت تمول أسفار جمال الدين إلى الدول الأوربية فليست معروفة معرفة يقينية ، وإن كان من المرجح أن هناك جهة ما كانت تمول هذه الأسفار ، لأن جمال الدين كان يشكو من ضيق ذات اليد ـ أحيانا ـ ثم لايلبث أن يقوم برحلة طويلة إلى إنجلترا وفرنسا مصطحبا معه خادمه (العارف) ويقيم في كل دولة مدة معززا مكرما فمن أين له نفقات الإقامة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال مازالت صعبة ، ولكن الثابت أن جمال الدين كان على صلة بالسفارات الإنجليزية في الدول التي يزورها ، وكانت هذه السفارات هي التي تيسر له تحركاته ، لأن إنجلترا كان لها نفوذ سياسي واضح في أفغانستان التي ينتسب إليها جمال الدين ، لأن هذا الانتساب يمكنه من دخول الدول السنية على أنه سني أفغاني ، الأمر الذي قد لايتيسر له بنفس اليسر لو كان إيرانيا شيعيا

صحيح أن جمال الدين تحدث عن مضايقة السفارة الإنجليزية له في الهند للشك في أنه على صلة بالثورة العرابية في مصر ، وأنه قد يثير المسلمين في الهند ضد إنجلترا ، ولكن هذه المضايقة لم تدم طويلا ، وتمكن بعد ذلك من السفر إلى لندن .

وهناك قول بأن السفارات الإنجليزية هي التي كانت تتولى الإنفاق على جمال الدين ورحلاته ، ولكن هذا القول ظني وليس مؤكدا .

ومهما يكن من شيء فإن جمال الدين كان رجلا ذكيا ، يحاول أن يحقق أهدافه بكل وسيلة ممكنة حتى يحقق غايته الكبرى ، وهي إيجاد فكر إسلامي موحد في العالم الإسلامي ، أملا في إيجاد صحوة إسلامية تعيد للمسلمين كرامتهم ،

وتدفعهم إلى النهوض والرقى ، حتى يعيدوا مجدهم السابق ، ويتقدموا ركب الحضارة الإنسانية .

وواضح أن جمال الدين كان يؤمن بالمبدأ القائل : «الغاية تبرر الوسيلة» فكان يسعى لبلوغ غايته العظمى وهدفه المنشود بكل وسيلة ممكنة ، يستطيع الاستعانة بها من أجل تحقيق الغاية التى ينشدها ألا وهى توحيد الفكر الإسلامى ، حتى ينهض المسلمون باتحادهم وتضامنهم ، ويتصدوا لكيد أعدائهم ومؤامراتهم .

ولا شك فى أن الغاية نبيلة غير أن الوسائل التى استعان بها جمال الدين ليست صحيحة مقبولة عند كثير من المصلحين المسلمين ، فالتستر وراء صورة سينية -وهو شيعى- والانضمام إلى الماسونية ، والعمل بين صفوف الماسونيين فى مصر ، ثم تولى رئاستهم ، والاستعانة بالإنجليز لرعايته وتيسير رحلاته وتنقلاته ، كل هذه وسائل غير مقبولة ، مهما ساعدت فى تحقيق غاية نبيلة .

وننتقل إلى وثائق أخرى يتحدث فيها جمال الدين عن نفسه ، ومراحل حياته ، فهى وثائق تعد لونا من السيرة الذاتية ، مما يجعلها كبيرة الأهمية للراغبين فى دراسة جمال الدين ، والتعرف عليه عن قرب ، والإلمام بمراحل حياته المختلفة ، حتى تتكشف جوانب شخصيته ، وتكون الدراسة على هدى وبصيرة بتوفيق من الله الحكيم الخبير

و : بعض مذكرات جمال الدين :

المذكرة الأولى[1] : وهى كالتالى :

وضعت قدمى إلى فضاء صحراء الوجود ، بقدرة الله الكاملة ، بعد أن كنت فى البداية عدماً ، فسقطت بذلك من عالم الراحة والسرور إلى دار المحنة والغرور ، وشغلت أياما بكسب العلوم الرسمية الغربية وغيرها ، ولم أستفد من التحصيل غير تعطيل أوقاتى ، فضاع العمر الثمين عبثا بلا جدوى ، دون أن أستفيد من الدنيا — عالم المبدأ — خيرا ، أو أن أترك للآخرة — عالم المعاد — أثرا ، ولمَّا وصلت سنوات العمر إلى مرحلة الشباب الناضج وجدت نفسى غارقا فى بحر الحيرة ، فاشتغلت

(١) مذكرة مكتوبة باللغة الفارسية وصورتها منشورة فى مجموعة الوثائق وهى مترجمة هنا إلى العربية مع نشر صورتها ، حتى يزول كل لبس .

بالبحث فى ذات نفسى تطبيقا لمبدأ «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فالتحقت بخدمة علماء الظاهر الذين يدرسون صورة الظاهر ، ويجهلون عالم المعنى ، وترددت عليهم ، واجتهدت ، وبذلت مجهودا كبيرا ، ولم أدخر وسعا فى البحث والتقصى ، ولكنى لم أظفر بغير الحيرة ، فوقعت فى الشك والريبة ، وأدركت فى النهاية أن الفرق المختلفة على اختلاف أسمائها ، لاتجتمع على فكر واحد ، ولا تتفق فى رأى معين ، بل تختلف آراؤها ، وتتناقض أفكارها لأن آراءها جميعا تقوم على الظن لا اليقين و «إن الظن لايغنى عن الحق شيئا» ولهذا فهى فى خلاف دائم لاتتفق أبدا ، لأن الظن ليس كاليقين «وليس الخبر كالمعاينة» .

وأنا الآن بمعزل عن هذه الفرق جميعها ، بعد أن فقدت الأمل فيها ، وقد عزمت على أن أطوف فى أرجاء العالم لمدة خمس سنوات ، أتحمل فى أثنائها المشقات التى تفوق كل حد حتى أتمكن من الالتقاء بقادة كل مذهب ، وفقراء كل شعب ، وعلماء كل فرقة ، وعقلاء كل زمرة ، وعظماء كل مملكة ، وفقهاء كل ولاية ، وأكون فى كل طريق صاحب تحقيق ، وفى كل دين صاحب يقين ، وفى كل مكان من أهل العرفان ، وفى زاوية من أهل المعرفة ، وأكون فى كل إقليم حكيما ، وفى كل ديار ملكا .

وبعد الطواف أدركت أن كل عالم مشدود بقيد علمه ، وكل حكيم مسرور بحكمته ، وأن كل عاقل بمقولته مغرور ، و كل جاهل بفعله مسرور ، وأن كل عابد مقيد بعبادته وكل زاهد بزهده ثمل ، وأن كل سلطان يدعو لسلطنته ، وكل سائل يتحدث عن فقره ، فكل واحد لايشغله إلا أمره ، ولا يهمه أمر غيره ، وهكذا رأيت العالم دارا بلا مضمون ، وهيكلا أجوف ليس للمعنى فيه وجود ، فليست عزته شيئا له اعتبار ، وليست ذلته أمرا يمكن منه الفرار ، ففى شهده السم كامن ، وفى لطفه القهر مستتر ، فلا جرم أن حررت نفسه من هذه القيود والعوائق ، وخلصت نفسى من عوائق الدنيا ، واتجهت إلى التعلق بالله رب العباد مالك الملك والملكوت ، ورب السماوات والأرض الذى ليس كمثله شيء ، فتخلصت بذلك من عالم الظلمات ، واتصلت بعالم الروحانيات ، فاشتغلت بطاعة خالق العباد ، والاقتداء بخاتم الأنبياء وصحابته الأتقياء «ومن تخلف عن الحق فعليه لعنة الدنيا» .

بيت شعر فارسى فى الأصل لحافظ الشيرازى ترجمته[1] :

أسأل الله أن لا يخلص حافظ من قيد هذه الطرة البراقة ، لأن المقيدين بقيدك هم الناجون .

جمال الدين الحسينى

عبد الله بن عبد الله

تحرر فى مدينة هراة[2] فى شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ

نقد وتعليق :

تعد هذه المذكرة من قبيل السيرة الذاتية ، فقد تحدث فيها جمال الدين عن نفسه فى مرحلة الشباب الناضج ، وهو ـ فى فورة شبابه ـ يحاول الدراسة والبحث ، ويعتريه القلق والشك وهو يدرس مقولات أصحاب الفرق الإسلامية المختلفة ، ويرى فيها اختلافا فى الرأى ، وتفاوتا فى الفكر ، فيثور القلق فى نفسه ، وينفر من هذه الفرق جميعها ، ويفكر فى السير فى الأرض ، ويقرر الطواف بعدد من دول العالم ليلتقى بعلمائها وعظمائها ، ويعاشر أغنياءها وفقراءها ، ويدرس على الطبيعة أحوال شعوب العالم المختلفة ، وقد انتهت به الدراسة إلى أن كل جماعة راضية بما هى فيه مما جعل جمال الدين يقتنع فى النهاية بأن من الخير له أن يدرس نفسه ، وأن يلمس آثار قدرة الله فى نفسه هو كإنسان من خلق الله .

والمذكرة فى صورتها الحالية تدل على أن جمال الدين كان طموحا ، وكان طموحه غير محدود بحدود معينة ، وقد وضح هذا فى تحركاته بعد هذه المذكرة فقد زار كثيرا من الدول الإسلامية والأوربية ، والتقى بعظمائها وعلمائها ، وظهر فى صورة مصلح اجتماعى كبير ، يدعو إلى توحيد صفوف المسلمين ، ليعملوا متحدين متكاتفين على استرجاع مجدهم ، وتقدم ركب البشرية كما كانوا فى سابق أيامهم .

وبرغم أن جمال الدين كتب هذه المذكرة فى أفغانستان فإن توقيعه «جمال الدين الحسينى» دليل قوى على أنه شيعى .. صحيح أن أهل السنة يحرصون على

(١) نص البيت بالفارسية كما يلى :

خلاص حافظ ازين زلف تاب دار مباد　　كه بستگان كمندتورستگارا نند

(٢) مدينة هراة بأفغانستان ، والرسالة مكتوبة فى عام ١٨٦٧م .

انتسابهم إلى آل بيت رسول الله ﷺ ـ لكن الشيعة بالذات يحرصون على الانتساب إلى الحسين ـــ رضي الله عنه ـــ لأنه سيد الشهداء فى اعتقادهم ، وكما سنرى فى المذكرات التالية ، فإن جمال الدين حريص على أن يكون توقيعه «جمال الدين الحسينى» وهو أمر لايخلو من الدلالة .

٢ ـــ المذكرة الثانية : وهى كالتالى :

وقد كتبت هذه الرسالة إلى السردار[1] محمد أعظم خان فى مدينة كابل فى ليلة السبت فى شهر جمادى الآخرة فى سنة ١٢٨٤هـ المقابل ١٨٦٨م ووضعت بين مذكراته وفيما يلى ترجمتها العربية[2] :

«إن الله لايخلف الميعاد .. يامن لايخيب راجيه ، ولا يرد مادعاه داعيه .. أقول داعيا لكم بحياة سعيدة وعمر مديد ، وأن تبلغكم بشارة ﴿فادخلوها آمنين﴾ ولو أننى لاأنوى فى هذه الرسالة أن أبحث فى موضوع عدلكم ، فإن آثار هذا العدل واضحة ، فنحن جميعا نائمون تحت ظلال عدلكم ، مغمورون بألطافكم ولكن قربى منكم خير عندى من حياتى بعيدا عنكم وسط القصور وبين الحور ، فلأن أعيش فى البرارى ووسط الجبال وبين المياه والأطلال فى مكان قريب منكم فإن هذا عندى أفضل من العيش بعيدا عنكم ولو فى الجنان ، لأن من المسلم به أن النار مع قرب الجوار خير من البعد فى ظل النعيم والرفاهية .

والســلام

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

هذه رسالة موجزة كتبها جمال الدين ووجهها إلى أحد المسئولين فى بلاد الأفغان ، ولكن الرسالة برغم إيجازها ، تدل على حرص جمال الدين على التقرب من أولياء الأمور فى هذه البلاد بكل وسيلة ممكنة ، ولو باستعمال أساليب النفاق والتملق للوصول إلى قلب الممدوح ، ليرضى عنه ويقر به .

(١) السردار : اسم مركب وهو فارسى الأصل ومعناه القائد أو الرئيس .

(٢) توجد أبيات فى ذيل الرسالة بالفارسية ، وهى صعبة القراءة لأن كلماتها غير منقوطة ولكنها تعبر فى مجملها عن المعنى الذى ذكر فى الرسالة وهو أن القرب من الحبيب هو الهدف الأسمى للمحب .

كما أن توقيع جمال الدين منسوبا إلى الحسين دليل ـ كما ذكرنا ـ على أنه شيعى المذهب .

٣ ــ المذكرة الثالثة : وهى كالتالى :

هذه المذكرة الثالثة عبارة عن رد من جمال الدين على خطاب أرسله إليه صديقه السيد هادى من مدينة مشهد ، وهذا الرد باللغة الفارسية ، وترجمته العربية فيما يلى :

«جواب خطاب الصديق العزيز السيد هادى ، كتب من مشهد المقدسة ...

صيرك الله الخالق عارفا بكنه الدقائق ، وعرفك المبدأ والمنتهى من المبدأ إلى المنتهى ، وأسرى بك من الدار السفلى إلى قاب قوسين أو أدنى ، وأوصلك إلى غاية المنى والنعمة العظمى والمقصد الأعلى ، وشرفك بالتشريفات الروحانية ، وخلعك بالخلع النورانية ، وقربك وأدناك منه ياحبيبى وروحى ، وروح روحى ، فأنت الروح التى لايمكن فصلها عن الجسد لحظة واحدة لأنها بها حياة الجسد وسعادة الدنيا ، وهى درجة المحبة وقطعة المودة ، وهى ضوء النور القادم من الطور ، وهى كحل أعين السالكين ، ونور لأعين العارفين ، وهى للعالم نور لايخبو ولايموت ، وعقود سطورها عقود عالم الجبروت ، وائتلافات كلماتها ائتلافات عالم الملكوت ، وامتزاجات حروفها امتزاجات مراتب الناسوت ، وصفحتها دالة على بساطة حقيقة الوجودات ، وخطوطها مشعرة بتكثر عوالم الموجودات وكل سطر منها مدينة من إقليم المحب ، وكل نقطة فيها باب من أبواب المحبة ، ودائرتها مثل طابع الحسن فى ذقن الجميلات ، ورسمها مثل صليب النصارى له قداسة ، وكلماتها مقدسة مثل كلمة ألقيت على مريم ابنة عمران تفوح منها رائحة المسك والعنبر والزعفران ، كلمتها مشكاة فيها مصباح ، وحروفها كأنها كوكب درى يضيء وقت الصباح وقد وصل من يد محمد حسن وفجر بنوره طاقة الشوق عندنا فظهرت حرارة عاطفتنا ، وطارت الروح فرحا ، فماذا أقول ؟ قد احترق قلبى من الفراق ، وتفتت كبدى من الاشتياق وحملت أمرا شاقا ، واحتملت مالا يطاق نعم .. إن كل شخص له حبيب مثلك لايمكن أن يطيق الفراق أو يصبر من شدة الاشتياق ، فكيف أعبر عن شوق ؟ لو صارت

البحور مدادا والأشجار أقلاما ماكانت كافية لشرح شوقى إليك ، ولك الأمر لله ولامرد لحكم الله ، ولا مخرج من تقديره ، يفعل مايشاء كيف يشاء ، واللسان عاجز عن التعبير عما يكنه القلب من حب وشوق ، وأرجو أن تقبل عذرى عن العجز عن التعبير والتقصير فى التصوير ، والعذر عند كرام الناس مقبول .

وقد جرى الكلام عن أحوال أهل خراسان وقد جاء بضعة أفراد من خراسان مثل شيخ الإسلام وغيره لزيارتنا ولكن لم يكن لى حظ رؤيتهم والتحدث معهم ولذلك فأنا -حتى الآن- لاأعلم أحوال أهل هذه البلاد ، ولكن ماأسمعه من الخارج يدل على أن أرض خراسان قطعة من قطعات النيران مملوءة من الزفير والدخان ليس فيهم محبة .. لا يحبون الله والرسول ، ففيها شرور وهى تفور .. فإلى متى نظل مبتلين ؟ ومتى يستريخ الناس من البلاء ؟!.. إن البلاء نابع من أنفسنا ، والسكر سببه كأسنا ...! .

والســلام..

عبد الله جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

هذه الرسالة تدل بوضوح على أن جمال الدين شيعى المذهب ، فهى رد على رسالة كان السيد محمد حسن هادى قد أرسلها إليه ، والسيد هادى أحد فقهاء الشيعة المشهورين فى القرن الماضى .

ومدينة مشهد هى المدينة المقدسة عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ، لأن بها قبر الإمام على الرضا الإمام الثامن عندهم ، ولهذا تغير اسمها من طوس إلى مشهد ، وقد ذكرها جمال الدين بقوله مدينة مشهد المقدسة ، مما يثبت أنه شيعى ، كما أن استفسار جمال الدين عن أحوال الناس فى إقليم خراسان الذى تعد مدينة مشهد المقدسة عاصمة له دليل على ارتباط جمال الدين عاطفيا بهذه المنطقة التى تتجه إليها قلوب الشيعة ويحجون إليها ، ويطلقون على من يحج إليها لقب حاج أو مشهدى .

وأسلوب الخطاب كاف للدلالة على عاطفة جمال الدين المذهبية ، فهو يظهر الود الكبير والحب العظيم للفقيه الشيعى السيد هادى الذى يوجه إليه رسالته ويتكلم

بنفس الأسلوب الذى يستعمله الشيعة من المبالغة فى إطراء من يظهرون الحب والود هم سواء كانوا من أصحاب الجاه فى الدنيا أو من أهل العلم من العلماء أو الفقهاء .

وتوقيع جمال الدين على الرسالة بعبد الله جمال الدين الحسينى يثبت ـ كذلك ـ أنه شيعى حريص على إظهار شيعيته والتباهى بها .

٤ ـ المذكرة الرابعة وهي كالتالى :

هذه المذكرة عبارة عن رسالة كتبها جمال الدين للأمير محمد أشرف خان ، وكانت كتابتها فى « بالاحصار » (القلعة المرتفعة) فى ليلة الأحد عام ١٢٨٣ هـ الموافق ١٨٦٧ م ، وهى مكتوبة بالفارسية ، وفيما يلى ترجمتها العربية :

«بسم الله العطوف الرءوف ... إن الله يأمر بالعدل والإحسان .. ياأميرا لايحتاج إلى وزير .. وياسلطانا لايفتقر إلى استدعاء من حضرة أمير المؤمنين وملاذ المسلمين .. اعلم أننى رجل ضعيف ونحيف وداعٍ بدوام دولتكم وسلامة وجودكم الشريف ، فلا تستمعوا إلى وشاية بعض علماء هذا الزمان المعاندين ونميمة بعض فقهاء هذا الأوان الفاسدين ، الذين ليس لهم طريق غير اللجاج ، وليس لهم أسلوب غير الاعوجاج ، وحقيقة أمرهم غير خافية على الأمير ، وأخبارهم معروفة غير مكتومة ، فلا تأخذنى بكلامهم ، ولا تلتفت إلى وشاياتهم ، فأنا تابع مخلص للأمير ، وسعيد بالعيش فى كنفه ، ومؤيد لجميع تصرفاته ، وأهل السوء لايعيشون إلا فى جو فاسد ، ولا يحبون العيش فى النور والصفاء ، فذرهم فى خوضهم يلعبون ، وكن على يقين من إخلاصى .

والســـلام

بسم الله تعالى .. الخاتم برسم لما يُخْتَم به ولذا سَمَّيْت الخاتم خاتماً لاختتام الكتابات به .. والله هو الذى اختتم رسله بمحمد ﷺ فبه ﷺ ختم الرسل وبرسالته ختمت الرسالة .

عبد الله جمال الدين الحسينى

قندهار ـ بازار شكاربور ـ فى سرى القاضى علام

فى شهر رجب ١٢٨٣هـ

بخط عبد الله الحسينى

نقد وتعليق :

هذه الرسالة تدل على أن جمال الدين كان ـ فى أثناء إقامته فى أفغانستان ـ يعانى من كيد الكائدين المنافسين له فى التقرب إلى المسئولين ، ويبدو من الرسالة أن الكائدين من العلماء والفقهاء ، وأن هؤلاء يتهمونه بعدم الإخلاص للأمير

ويحاول جمال الدين فى رسالته إلى الأمير أن يظهر ولاءه للأمير بكثرة الدعاء له ، وإظهار السعادة بالعيش فى كنفه ، وهو أسلوب لاحظناه فى الرسائل السابقة ، يستعين بالنفاق من أجل تحقيق المراد والوصول إلى الهدف المنشود .

٥ ـ المذكرة الخامسة : وهى كالتالى :

هذه المذكرة عبارة عن أسطر متفرقة بخط جمال الدين ، يذكر فيها تاريخ دخوله مدينة من مدن أفغانستان ، ثم تاريخ خروجه منها ، وقد يذكر اسم المدينة فيقول هراة مثلا ، وقد يشير إليها ببعض الأحرف .

والأسطر التى تضمنتها هذه المذكرة مكتوبة بالفارسية وفيما يلى ترجمتها إلى العربية :

« توقفت فى قندهار ثمانية أشهر من شعبان إلى ربيع الأول من عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٨م) فى منزل فى سوق هراة »

« الخروج من المكان المشرف فى شهر جمادى الأول سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٧ م) »

« الدخول فى طهر فى أواخر رجب المرجب والخروج فى شهر المحرم الحرام سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م) ... » .

« الدخول فى مدينة طقس فى شهر صفر المصفر والخروج فى شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م) ، والإقامة فى منزل ملاحين فى شارع بالا .. »

« الدخول فى مدينة هراة فى أواخر جمادى الأولى والإقامة أربعة شهور فى منزل نور بك »

« الدخول فى مدينة كابل فى يوم الجمعة الموافق ٢٥ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٨م) والإقامة فى منزل منطقة بالاحصار .. والخروج من كابل فى يوم ٢٠ من شهر رجب المرجب سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) .. والخروج من قندهار فى ٢٥ شعبان المعظم سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) ... »

نقد وتعليق :

هذه الأسطر ـــ على إيجازها ـــ تدل على أن جمال الدين لم يكن يستقر به المقام مدة طويلة فى مكان واحد ، فكانت إقامته فى أي مكان لاتطول أكثر من بضعة أشهر يرحل بعدها إلى مكان آخر ، ولهذا لم يكن له منزل خاص يقيم فيه ، وإنما كان ينزل ضيفاً على أحد أصدقائه ، وكان هذا هو أسلوب معيشته في إيران ، وقد صرح هو نفسه بأنه أشبه بالطير الذى لايستقر به المقام فى مكان واحد وإنما يهوى التحليق فى الفضاء ثم النزول فى أماكن متعددة ، وكان العالم كله هو الفضاء الذى يخلق فيه جمال الدين ويتخذ منه أمكنة متعددة للنزول والإقامة فترة من الوقت ، قد تطول وقد تقصر حسب مايصادفه فى المكان الذى ينزل فيه .

٦ ـ المذكرة السادسة : وهى كالتالى :

هذه المذكرة عبارة عن أسطر كتبها جمال الدين باللغة الفارسية ، يصور فيها حياته القلقة ، ومايعانيه من اتهامات مختلفة ، ويوجهها إليه خصومه الذين يقدحون فى عقيدته ، فيتهمونه بأنه رافضي ، وبأنه مجوسي ، وبأنه شيعي ، وهو يشكو إلى الله مايقاسيه من كيد أعدائه ومنافسيه ، وفيما يلى الترجمة العربية للمذكرة :

«هو العالم بالسرائر.. معلوم للخلان أن سلامة العقيدة أفضل من المحافظة على الروح.. وقد ابتليت بطائفة من مثيرى الفتن.. إن هؤلاء الأعداء يتهموننى فى عقيدتى ، فأحياناً يشيعون أننى مجوسى ، وأحيانا يقولون إننى سنى ، وطوراً يتهموننى بأننى رافضى وشيعى من النواصب ، والهدف من هذه الشائعات التشكيك فى عقيدتى ، وإظهارى فى صورة الرجل المتلون الذى لايستقر على معتقد واحد ، والشخص المذبذب الذى لاأمان له ، وبعض العلماء الذين هم فى الحقيقة من الجهال يزعمون أننى من طائفة الإمامية وبعضهم يتهموننى بأننى من كبار طائفة البابية .

الخلاصة أننى حيران قلق لاأدرى هل أنا مسلم أم كافر ؟! . وهل أنا مؤمن أم فاجر ؟!.. فأنا من المسجد مطرود وعن الدير مردود فلاأدرى بأية طائفة أتعلق وإلى أى مذهب أنتسب .. إن أصعب شيء فى حياة الإنسان أن يرمي فى دينه

وعقيدته ، وأن يعيش متهماً فى دينه ، لا يعرف إلى أى دين ينتمى ، وأى مذهب يعتقد .. أنا أقيم الآن فى مدينة كابل ، فى محلة « بالاحصار » كالطير المكسور الجناح الذى لا يستطيع التحرك حتى يقضى الله فى أمره ، ويحدد مصيرى ، ويوجهنى إلى الوجهة التى يريدها ، فأنا تحت رحمة الله ، لا أعلم ماهو مُخَبَّأ له فى الغيب وماذا ستأتى به دورات الفلك الغدار .

« كتبت هذا فى يوم الجمعة الموافق ١٣ من شهر رجب من عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩م)»

نقد وتعليق :

هذه المذكرة عظيمة الأهمية لأنها قرينة على أن جمال الدين إيرانى وليس أفغانيا ، لأنه لو كان من أهل أفغانستان من أسرة من سادات كنر ـ كما يقولون ـ ماارتاب الناس فى أمره ، وما ذهبت الآراء فى عقيدته مذاهب شتى ، فلم يعرف هل هو سنى أم شيعى أم رافضى أم بابى أم مجوسى أم مسلم أم كافر !... إنه من غير المعقول أن يختلف أهل بلد مثل هذا الاختلاف فى تحديد مذهب رجل من أهل البلد نفسه ، فواضح أن جمال الدين ، كان وافدا على أفغانستان ولم يكن من أهلها ، مما أثار الشكوك حوله ، خاصة وأنه قادم من إيران وهى بلاد الشيعة الإمامية وفيها مجوس ، كما أن مذهب البابية كان قد ظهر فى تلك الأوقات ، مما يبرر اتهام جمال الدين بأنه شيعى إمامى ، أو بابى ، أو مجوسى أو رافضى من غلاة الشيعة ، لأنه قادم من بلاد فيها هذه المذاهب ؛ بينما كان المذهب السني هو المذهب السائد فى بلاد الأفغان مما جعل الناس فيها ينظرون إلى شخص غريب مثل جمال الدين نظرة فيها شك وريبة .

وواضح من المذكرة أن جمال الدين لايحاول الدفاع عن نفسه ، وإنما يقف فى حيرة وقلق ، مستسلماً لإرادة الله ، لايعرف ماذا يكنه الغيب له ، فلم يحاول رد التهم وإثبات أنه برىء منها ، بإثبات أنه سنى حتى يجد له طريقاً فى بلاد سنية كأفغانستان .

٧ ـ المذكرة السابعة : وهى كالتالى :

هذه المذكرة عبارة عن أسطر كتبها جمال الدين فى محلة «بالاحصار» بمدينة

كابل فى شهر رجب من عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) يشكو فيها سوء حظه ، ويندب حظه العاثر ، وأنه غريب فى البلدان ، وطريد من الأوطان ، وهذه الشكوى مكتوبة بالفارسية ، وترجمتها العربية فيما يلى :

«هو الله المنجى من جميع المحن .. آه من قلبى المفعم بالآلام .. آه من حظى العاثر .. آه من ظلم السفلة .. إننى لاأستطيع أن أداوى قلبى الجريح ، ولاأستطيع أن أعالج حظى العاثر ، ولاأستطيع أن أتعامل مع هؤلاء السفلة أو أرد كيدهم ... ماذا أفعل ؟!.. لمن أبوح بسر قلبى ؟!.. ومن أى شخص ألتمس طريق النجاة ؟!... أين الموت الجميل لأستريح من الهموم ، إن موتى حفل جميل ومقبرتى واحة جميلة[1] ، انكسر ظهرى من مطالب القلب .. فأقبل أيها الحبيب وخذ بيدى

إذا كان قلبى وجوهرى ومنزلى قد صارت خراباً بسببك ، فكيف لاأتألم وأنت تعصر قلبى ؟!.. إن الزاهد من أهل الظاهر ليس خبيراً بحالنا ، فكل مايقوله عن أحوالنا يقوله طوعاً دون إكراه .

الغريب فى البلدان والطريد من الأوطان

جمال الدين الحسينى »

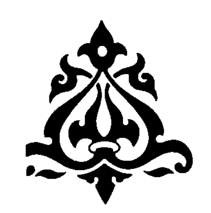
نقد وتعليق :

هذه المذكرة كافية لإثبات أن جمال الدين ليس أفغانياً ، فهو يكتبها فى كابل عاصمة أفغانستان ـ وهو شاب فى الثلاثين من عمره ـ ويقول عن نفسه ـ فى نهاية مذكرته ـ إنه الغريب فى البلدان والطريد من الأوطان ، ولو كان من أهل أفغانستان لما وصف نفسه بأنه غريب وهو يقيم فى وطنه ، كما أن وصفه لنفسه بأنه طريد من الأوطان دليل واضح أنه ينتمى إلى وطن آخر غير أفغانستان ، وأنه مطرود من هذا الوطن الأم ، وأنه وفد على أفغانستان ، لعله يجد حظه فى هذه البلاد ، غير أن الشكوك أحاطت به ، فلم يجد الأرض ممهدة أمامه ، فتعرض لكيد الكائدين ، ودسائس الحاقدين ، فعانى من القلق والاضطراب ، وعدم الأمان فى أثناء إقامته فى أفغانستان بعد وفوده عليها .

---

(١) هذه أبيات من الشعر الفارسى ضمنها جمال الدين مذكرته على أنها جزء منه .

ومن المرجح أن ما أصاب جمال الدين فى بلاد الأفغان كان بسبب مذهبه الشيعى المخالف للمذهب السنى السائد فى هذه البلاد ، مما أتاح فرصة لأعداء جمال الدين ليروجوا حوله الشائعات ، ويدسوا له عند المسئولين فى أفغانستان .



القسم الثانى
الخطابات التى أُرسلت إلى جمال الدين

وننتقل إلى قسم آخر من الوثائق والمستندات التى يضمها كتاب مجموعة وثائق ومذكرات خاصة بجمال الدين ، وهو يشمل الخطابات التى أرسلت إلى جمال الدين من أصدقائه وأقاربه وتلاميذه فى إيران ومصر وأوروبا ، وهى مكتوبة بالفارسية والعربية ، وسنقوم بترجمة الفارسية منها إلى العربية ، ونقل الرسائل العربية مصححة مما قد يكون فيها من أخطاء مع نشر صور هذه الخطابات جميعها ، ونقدها والتعليق عليها ، بهدف إلقاء مزيد من الضوء على حقيقة جمال الدين ودعوته الإصلاحية التى كان يدعو إليها فى البلاد الإسلامية المختلفة ، ويعبر عنها فى الدول الأوربية التى زارها وعلى الله قصد السبيل ، وهو الموفق والهادى إلى سبيل الرشاد .

أولا : خطابات محمد باقر البواناتى الإيرانى :

١ ــ الخطاب الأول : وهو خطاب بالعربية نصه كالتالى :

دار القلم ــ لندن

٢٢ يونية ١٨٨٤

إلى مدير السياسة جمال الدين الحسينى الأفغانى

دام فضله العالى

مرحبا بمن هداه الله تعالى إلى سبيل الرشاد وألبسه درع الغيرة والانتصار دفعا لأصحاب العناد ، ومنحه من العلم والفضل ما يحسن به حال العباد ويصلح بالهم للتقوى ، وهى بعمرى خير الزاد .

ما أحسن يوما رأيت فى لندن العدد الحادى عشر من العروة الوثقى لا انفصام لها .. شد به أزرى ، ووضع عنى وزرى الذى أنقض ظهرى ، وعلمت علم اليقين أن الله ما ودع المسلمين وما قلى ، وللآخرة خير هم من الأولى .

طوبى لأمة يدعو بعضهم بعضا إلى الخير والصلاح ، ويتواصون بالحق

ويتواصون بالصبر ، وهم أمل النجاح .

بورك من أوصلت لهذا الباب ، وآتاك الحكمة وفصل الخطاب .

أرى بادى الرأى كل ما تقول ، وأرجو من الله ما ترجو حتى يقول الرسول .

العبد الجانى

محمد باقر البواناتى الإيرانى

٢ ــ الخطاب الثانى : وهو خطاب بالفارسية وترجمته العربية كالتالى :

دار القلم ــ لندن

٢٤ يولية ١٨٨٤

حبيبى اللبيب ..

وصلت رسالتك العزيزة أيها الصديق الأمين الذى يحب الخير لجمهور المسلمين مع نسخة من الجريدة الفريدة المسماه بالعروة الوثقى ، فرفعت رأسى ــ أنا أقل العباد ــ وقد انشرح صدرى وسعدت روحى بالاطلاع على موضوعاتها ، والحق أن الموضوعات عولجت بأسلوب بليغ ، وبذل جهد جهيد فى عرضها وتوضيحها ، ولكن الخلق فى نوم وغفلة ، وأمورهم توشك على الخراب ، اللهم إلا إذا أدركتهم العناية الإلهية السرمدية ، وتبدلت سوابق غفلتهم بلواحق يقظتهم واهتمامهم .

وحيث إننى فى شوق شديد لرؤيتهم ، فإنى أرسل إليكم هذا الخطاب للتحية والسلام ، ونظرا لأن أمور المسلمين ينبغى أن تعالج وفقا للأمر الإلهى ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فإنى ألتمس من جنابكم العالى أن تأذنوا لى باللقاء وأن تحددوا الوقت المناسب الذى أحظى فيه بهذا اللقاء حتى أجىء إليكم وأقضى بضعة أيام فى باريس أزور فى أثنائها هذه المدينة وأسعد بلقاء جنابكم الكريم

العبد الجانى

محمد باقر الإيرانى

وقد أرفقت بالخطاب أبيات من الشعر الفارسى[1] فيما يلى ترجمتها العربية :

---

(١) نص الأبيات بالفارسية كالتالى :

ـ هركجـــا عقلى بعـــقلى يارشد كلخن آنجاروضه وكلزارشد =

ـ حيثما يتعاون عقل مع عقل
يصير المكان روضا وبستانا
ـ وحيثما يبتعد صديق عن صديقه
يذبل الروض ويصير يبابا
ـ وياجمال الدين الله يمنحك القوة والعزم
فإن سعيك قد أحيى الأمة الإسلامية
ـ ولولاك لا يبقى من المسلمين إلا الاسم
فالخلق لاهون واللهوليس من الإسلام
ـ لقد وصل الفأس إلى جذور شجرة الدين
فتزلزلت هذه الشجرة المستقرة
ـ فأصبحت أوراق هذه الشجرة فى اضطراب دائم
واهتزت أغصانها من خوف الانقلاب
ـ وأصبح الغرس غافلا عن أصله وفرعه
حتى يخيل إليك أنه تدركه مذهبه
ـ فإذا لم تدرك عناية الحق
فسوف يسقطه الظلم نهائيا

الخطاب الثالث : وهو خطاب بالفارسية ترجمته العربية كالتالى :

دار القلم ـــ لندن
١٨ يولية ١٨٨٤
خليلى الجليل وهادى سبيلى

أسأل الله صاحب المن أن يحفظك حفظا شاملا ، إن ماذكرته كان إحسانا إلى ، فقد زاد من سرورى ، وشرح صدرى ، وأذهب حزنى ، وأزال همى ، وزاد فى أملى .. إن أقوالك قد أنعشت الآمال .. إن هدفك إسعاد الجميع ، والله يوفقك

= هركجا يارى زيانيرى دورشد — كَلشن آنجاخردنه كَلخن كودشد
ـ اى جمال الديـــن خدارا همتـــــى — بو زسعـــيت زنـــده كَردد ملتـــى
ــ ورنه ازاسلاميان جزنام نيست — خلـــق درلهونـــد ولهو اسلام نيست
ـ تيشه بربيـخ درخت ديـن رسيـــد — وآن درخت آسوده كم تمكين رسيـد
ــ برك : كَ اين شجر دراضطراب — شاخهـا لرزان زبيم انقـــلاب =

إلى تحقيق ما نريده جميعا ، والله هو الهادى لجميع العباد فهو سبحانه الواحد القهار الذى أرسل رسوله محمد المختار بالكتاب المبين ، كما أرسل عيسى وموسى وجميع الرسل بنفس الرسالة ، وكل الرسل يتبعون ملة إبراهيم ، فعليهم السلام جميعا من رب العالمين الرحيم ، وكلهم يلهجون بالحمد لرب الحمد ، وكلهم يطلبون الفيض السرمدى ، وكلهم مستمسكون بالعروة الوثقى التى وصفها أنها لا انفصام لها ، ومن رآهم رأى البقاء فيهم ، فزاد حرصا لإدراك مافيهم ، ومن هداه إلى الذى وجدوه ، فإنه يجد هدى الذى عبدوه ، ومن رضوا عنه طالبين له الرضا رضى الله عنهم وعوضا ، فالجميع مطلوب وطالب بلسان واحد ، لأنه ليس فى الدار غيره ديار ، فالعربى والفارسى والتركى استغرقوا جميعا فى ذكره ، وهم جميعا يذكرون بقلوبهم ويظهرون الضراعة ، وحديث القلب أفصح من حديث اللسان ، فالمعرفة حياة خالدة ، والحياة بالله تحيى الأرواح ، فالحى الذاكر حى دائم ، وأنا المسكين فقد الروح واللسان ، فأنا لا أستطيع الحديث بالقلب أو اللسان ، لأننى من فرط الهوى جريح القلب ، فأنا لست شيئا ، مع أن عندى رغبة تامة فى الوصل ، لأننى أعبد رغباتى الدفينة ، هذه حالى وشخصيتى المسكينة ، فقل ياجمال الدين كيف الطريق إلى النجاة والسلامة ؟ !

العبد الجانى

محمد باقر الإيرانى

يبعث إليك على أغا وسائر الأصدقاء الإيرانيين تحية وثناء عاطرين

نقد وتعليق :

واضح من هذه الخطابات الثلاثة التى أرسلها محمد باقر بواناتى أحد أصدقاء جمال الدين — وهو أحد الكتاب الإيرانيين الذين أشاد جمال الدين بصداقتهم — أن جمال الدين كان ذائع الصيت فى الثمانينات من القرن الماضى ، وكان معروفا بلقب الأفغانى الذى ذكره البواناتى فى خطابه الأول ، وهو اللقب الذى اتخذه جمال الدين بعد إقامته مدة فى أفغانستان — كما ذكرنا — فى الجزء الأول من كتاب « حقيقة جمال الدين الأفغانى » ، فليس فى ذكر البواناتى لجمال الدين بلقب الأفغانى ما يغير فى حقيقة جمال الدين شيئا .

= وانى شجر غافل زاصل وفرع خويش — كويـد آسام اكربرهـم زكـيش
ـ كرنه عون حق خبر دارش كنـد — پس سقوط صرف بيدا دش كند

كما تشير الخطابات المذكورة إلى رفعة قدر جمال الدين حتى إن البواناتي وهو كاتب معروف يلتمس من جمال الدين أن يحدد له وقتا ويوما ليتشرف فيه بلقائه ، ويخاطبه مخاطبة الأدنى للأعلى ، بأسلوب فيه ملق يضفى على جمال الدين أعظم الصفات ، ويصوره فى صورة الزعيم الدينى والمصلح الكبير ، الذى يستطيع أن ينعش الآمال ، ويوقظ الهمم ، ويقود المسلمين إلى طريق الرشاد والفلاح .

وكان جمال الدين حينذاك قد زار أفغانستان والهند ومصر وتركية وإيران وروسيا القيصرية وإنجلترا وفرنسا ، واكتملت شهرته ، وذاع صيته وأصبح من الشخصيات المرموقة فى الشرق والغرب .

ونعرض فيما يلى خطابات أنصار جمال الدين من المصريين مبتدئين بخطابات إبراهيم المويلحى وبالله التوفيق .

ثانيا : خطابات إبراهيم المويلحى :

هذه خطابات بالعربية أرسلها إبراهيم المويلحي من أوربا إلى السلطان العثمانى فى أثناء إقامته بباريس وفيها معلومات عن جمال الدين وسأذكر نصها منقحا مصححا فيما يلى ، مع نشر صور لها مزيدا للفائدة ، وأملا فى أن تلقى هذه الخطابات مزيدا من الأضواء الكاشفة على شخصية جمال الدين ، لكشف حقيقته كشفا جليا .. والله الموفق والهادى إلى طريق الصواب ..

١ ـ الخطاب الأول :

سيدى ومولاى ..

بعد عرض تحياتى على مقامكم العالى .. أعرض لسيادتكم أنه على حسب الأمر العالى قد قدمت ترجمتى وماعملناه فى لوندره ، وتوجهت مع حضرة إسماعيل بك جودت إلى سعادة محمود أفندى فأخذ الأوراق ، ووعد بعرضها على الأعتاب حالا ، وهذا كان فى الخميس الماضى ٢٤ الشهر ، وأخبرنا سعادة البك ـــ المشار إليه ـــ أننا نكون تحت انتظار الطلب ، وها أنا فى الانتظار ، ولا بد من ترجمة ما قدمته ، فيأخذ على ذلك بعض أيام ، والظاهر أن سيدنا ومولانا مشغول فى هذه الأيام بسبب تبديل الوزارة ، إلاأنى أؤمل الخير العظيم ، وهاأنا فى منزل إسماعيل بك مع محمد على ـــ حسب الأمر ـــ فأرجو أن تنتظروا النتيجة ، وهى قريبة إن شاء الله ، وقد تبين لى من اجتهاد إسماعيل بك ، ماينبغى أن نشكره على ذلك ، ثم إنه توجه إلى

مستر روبن ، فأخبره بأنكم كتبتم له بخصوصي ومازال على ذلك ، وإسماعيل بك يرجو من سيادتكم أن تكتبوا له التعليمات اللازمة التي يسلك بها مع المومى إليه ، فإنه لا يمكن أن يقابله إلا بعد ما تكتبون له ، أما أنا فأرى من الموافق بالنسبة لمركزى الحالى أن لا أقابل أحدا مطلقا حتى يصدر عن سيدنا ومولانا السلطان ما يصدر ، وأرجو أن تبلغوا مستر بلونت تحياتى وسلامى ، وتخبره أن إسماعيل بك جودت وفى له وصادق الصحبة ، كما حققت ذلك ، أما ما كتب فى جرائد الآستانة بخصوصه فإنه كان بإغراء حليم باشا محسن حسنى الذى يكتب فى جريدة الاعتدال ، هذا ما وقفت عليه بالتحقيق الذى لا يدخله شك ، وقولوا لمستر بلونت كما قلت له سابقا إن مصريا حرا شكر إسماعيل بك لا يصدر عنه إلا كل فضيلة ، وليعتمد علىّ فى هذا ، ثم إنى أعرض على مولاى أنى وقعت على كتابات كانت بين حليم وبين الشوباشى والشيخ عبده نسختها لسيادتكم ، وها هى مرسلة صحبة هذا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وكذلك أبو نظارة الخبيث ، ومع كل ذلك ربنا سبحانه وتعالى يوفق لنا الأمور وذلك ، يكون كايا فى نحرهم ، ثم إن حضرة إسماعيل بك أخبرنى بعد ما تلاقى مع خير الدين باشا أن الشيخ عبده أخذ من تونس باسمكم ثمانين ألف فرنك ، وأن خير الدين وضع فى القائمة التى كانوا يكتبون فيها خمسة آلاف فرنك وكذلك رستم باشا دفع خمسة آلاف فرنك ، وأن خير الدين باشا وعد حضرة إسماعيل بك أن يحضر له القائمة بأسماء من دفعوا للشيخ ، وعند الحصول عليها نرسلها لسيادتكم ، فإن أهل تونس ما دفعوا إلا لاسمكم ولجريدتكم ، ثم أرجو من سيادتكم أن تبعثوا بجميع ما عملتموه فى تلك المدة حتى أعرضه على الحضرة العلية عند الفرصة ، وقد كتبوا فى الجرائد بخصوص أسرة محمد على ، ونزعها من حكومة مصر ، واستبدالها بمن يصير تعيينه بمعرفة السلطان ، فأرى أن تكتبوا أفكار سيادتكم فى هذا ، وما يدور بينكم وبين الوزراء فى هذا الخصوص ، وليعلم مولانا أن حضرة إسماعيل بك جودت ليس عنده نقود تقوم بهذه المصاريف ، فأرجو أن مولاى يخبر حضرة محمد بك وهبى أن يرسل لنا شيئا من النقدية ، وأن يكتب للقطاوى إذا كان لغاية الآن ما انتهت القضية فى مصر أن يعينه بما يمكنه أن يعيننا ببعضه ، فإن الحالة قاضية بهذا الإلحاح لحين انتهاء المسألة فى السراية ، فإن حالتنا لا ترضى أبدا ، وأنا على أمل بقرب الفرج ، والله يحفظكم ويرعاكم .

وقد ورد فى ذيل الخطاب خطاب موجز من إسماعيل جودت نصه كالتالى :

سيدى ومولاى

بعد تقبيل أياديكم أرجوكم أن تعطونى التعليمات اللازمة فيما يجب إجراؤه مع المستر وولف حيث إنه يطلب منى بعض الإيضاحات ، وأنا أخامره بالمواعيد لحين مكاتبتكم وحصولى على أوامركم التى لا يجب علينا إلا الاقتداء بها ، والاهتداء بنورها ، جعلكم الله سندا للمسلمين وعضداً للمؤمنين آمين ،

محسوبكم

إسماعيل جودت

٢٨ سبتمبر ١٨٨٥

وعلى خطاب إسماعيل جودت تعليق من إبراهيم المويلحى كالتالى :

وليعلم مولاى أن إسماعيل بك جودت هو الذى أبطل صدور جريدة الاعتدال بسعيه حين اتخذها حليم بواسطة حسن حسنى آلة لأغراضه الفاسدة .

ولعل من المفيد أن نؤجل النقد والتعليق حتى نعرض سائر خطابات إبراهيم المويلحى ، لما تضمنته من معلومات بالغة الأهمية ، حتى تكون الحقيقة أكثر وضوحا بعون الله وتوفيقه .

٢ ـ الخطاب الثانى :

هذا الخطاب مرسل من إبراهيم المويلحى إلى السلطان العثمانى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين حينذاك ، ونصه كالتالى :

«المعروض لسدة مولانا أمير المؤمنين .

يعرض العبد للحضرة العلية أنى كنت كاتب سر إسماعيل باشا خديوى مصر السابق ، فأمرنى منذ أربع سنوات بتحرير جريدة الاتحاد فى باريس ، وبعد صدور ثلاثة أعداد منها توجهت من تلقاء نفسى إلى سفارة الدولة فى باريس تفاديا مما كان يترتب على ذلك العمل ، ولأتخلص مما أمرنى به أيضا عند طلبه لى فى فينا من إنشاء رسالة وإرسالها مع يهودى كان عنده فى نابولى اسمه «سيمون» إلى مكة بصفته مسلماً ، ونشرها على الحجاج ، وعرضت القضية بتمامها على «نقولاكى أفندى»

مصلحه كمزار [1] الدولة بباريس ، وقد اطلع على المكاتبات والأوامر التى جاءتنى من طرف إسماعيل باشا بخصوص الاتحاد والرسالة ، ووعدنى نقولاكى أفندى بصدور العفو عنى من الحضرة العلية الشاهانية ، فانتظرت شهوراً حتى دعانى الاحتياج إلى تلبية دعاء إسماعيل باشا لى ثانياً ، فأرسل لى مخصوصاً إلى باريس وهو حسين باشا التونسى ، فأحضرنى عنده فى رومة ، فكنت عاقد النية على الإخلاص للدولة ، وقد خدمتها فى تلك المدة خدمات كثيرة ، يشهد لى بها مسيو جليان قنصل جنرال [2] الدولة فى رومة ، ويشهد على إخلاصى للدولة ، والذات الشاهانية [3] مكاتباتى لعرابى باشا ، ورسائلى المنشورة فى مصر فى ذاك التاريخ ، ولكن من سوء بختى واضطرارى ، وعدم قدرتى على الصبر والانتظار بعد التخلص من مخدومى لم أجد بدا من طاعة أمره ، حيث أمرنى فى هذه الأيام بتحرير الثمرة الرابعة من الاتحاد على الكيفية التى هى عليها ، مع إنشاء رسالة تتضمن شروط الخلافة ، والبيعة ولوازمها ، وماحصل فى الخلافة والبيعة ، حين وفاة النبى لقيام أبى مسلم الخراسانى وانتقال الخلافة من البيت الأموى إلى البيت العباسى ، بدون تعرض لغرض من الأغراض الشخصية ، وقصده كان من هذا أن يهيىء النفوس ، وينبه الأفكار ، ويجعلها مستعدة لقبول مايبعث به بواسطة رسله أو رسائله ، لأخذ البيعة له سراً ، ولما تبالغ للسفارة فى باريس خبر الجريدة ، خاف وحمّل على كاهلى هذا الذنب العظيم كعادته فى فداء أغراضه بأرواح الناس وأعراضهم ، كما فعل فى إسماعيل باشا المفتش وغيره ، ولو كان هذا الفكر منى كما يدعى ، وكما خشى أرباب السفا - ، فإنى كنت أجد بلدة أخرى غير باريس كالسويس ، أو لندره أقدر أن أنشر فيها الجريدة والرسالة وغيرها ، وأعداء الدولة كثير ، فكنت أجد أيضا من يساعد ، ولكنى أشهد الله وملائكته أنى على نقيض هذا الفكر بالمرة ، وأنى أعلم يقينا أن حياة الإسلام هى حياة الدولة العلية ، وقد كتبت بنوداً كثيرة فى العروة الوثقى من هذا الباب ، والله يعلم أنه لولا الاضطرار ماأطعت إسماعيل باشا فى كتابة حرف واحد ، ولله الحمد لم يُنشر مما كتب

(١) هكذا فى الأصل ويبدو أنها إحدى وظائف السفارة التركية فى الخارج ، وهى وظيفة تشبه وظيفة القائم بالأعمال حاليا .

(٢) اصطلاح بالفرنسية المقصود به القنصل العام بالسفارة .

(٣) الشاهانية كلمة فارسية معناها السلطانية أو الملكية .

شيء .. والآن قد حضرت إلى لندره ، وسأخدم الذات الشاهانية خدمة تشهد بإخلاصي ، فألتمس من فيوضات أمير المؤمنين العفو عني .

إبراهيم المويلحي

٣ ـ الخطاب الثالث :

وهو خطاب بالعربية كتبه إبراهيم المويلحي للسلطان العثمانى لتبرئة نفسه من تهمة عصيان السلطان والانحياز إلى جانب الخديوى إسماعيل الذى كان يخطط لانتزاع خلافة المسلمين من السلطان العثمانى .

والخطاب ليس فى بدايته مايدل على أنه موجه إلى السلطان العثمانى ، ولكن أسلوبه وعبارته تثبت أنه موجه إلى السلطان ، ونص الخطاب ـ كما ورد فى الأصل ـ كالتالى :

«إن العبد كاتب هذه إبراهيم المويلحى فى سن أربعين سنة من عائلة بدوية منقسمة الآن قسمين ، أحدهما فى مصر ، والآخر فى المويلح ، بلدة فى جزيرة العرب على شاطىء البحر الأحمر ، وأن جدى السيد أحمد المويلح وفد على مصر ـ بعد خدمة خدمها لمحمد على فى إطفاء فتنة الوهابية ـ فأقام بها ، وأسس بيتا تجاريا ، وفى سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٦م) توفى والدى السيد عبد الخالق المويلحى ، وأنا فى سن عشرين سنة[1] ، وقد أتممت دروسى ، فاتبعت مع أخى عبد السلام بك المويلحى نمط والدى فى التجارة ، وصرت عضواً فى مجلس التجار ، وعضواً فى مجلس ابتدائى القاهرة ، ثم خسرنا مبالغ وافرة فى تجارة القطن ، وكان البيت يتزعزع ، فرأى الخديوى السابق من اللازم فى سياسته أن يقيم أود البيت ليستميلني لخدمة أغراضه ، وقال لشريف باشا ليستخدمني في أغراضه ، وقد قال لشريف باشا وثابت باشا إن ما أصنعه لهذا البيت واجب على ذمتنا فإن جدهم خدم جدى خدمة مهمة ، فجعلني الخديوى عضواً في مجلس استئناف مصر ، وأعطانا أربعة آلاف ليرة ، ليستمر أخى فى تجارة البيت ، ومنحني وأخي الرتبة الثانية[2]

وبعد خدمة أربع سنوات فى المجلس سعي رياض باشا في عزلي لمنافسات كانت

---

(١) يتضح من هذا التاريخ أن إبراهيم المويلحى ولد فى سنة ١٨٤٦م .

(٢) يقصد رتبة البكوية من الدرجة الثانية .

بيني وبينه فعزلت .

ثم إن الخديوى لما سئمت نفسه من الوزارة المختلطة فى سنة ١٨٧٩م رأى فى سياسته أن يطلب عزل تلك الوزارة منه بأصوات الأمة بدون مدخل له فى التماس الطلب ، فاستدعانى والسيد البكري نقيب الأشراف لما بيننا من القرابة ، وكلفني أن أقنع العلماء والوجهاء أن يطلبوا عزل الوزارة من السيد المشار إليه ، بدون أن يكون للخديوى يد أو اسم فى ذلك ، فسعيت جهدى حتى أقنعت الناس على هذا الفكر مع ماكان في نفوسهم من النفرة من الخديوى ، وجاءوا أفواجا إلى بيت السيد البكرى يطلبون عزل الوزراء مكاتبة منهم على محاضر ختموا عليها بأنه لايجوز أن يكون المسلمون محكومين بوزارة أجنبية ، ثم أمرنى أن أذهب إلى الإسكندرية ، وأن أدعو وجهاءها وعلماءها للحضور إلى بيت السيد البكرى يطلبون منه ماطلبه وجهاء القاهرة ، فذهبت وأحضرت معى جميع وجهائهم ، وختموا على ماختم عليه أهل القاهرة ، ولما تمت تلك المحاضر عرضها السيد البكرى على الخديوى ، وكذلك عرض راغب باشا ماكلف به ، من تختيم أمراء الملكية والجهادية على هذا المضمون ، وبناء على ذلك عزل الخديوى تلك الوزارة ، وشكل وزارة وطنية تحت رياسة شريف باشا ، ثم أمرنى الخديوى أن أحث بعض العلماء والوجهاء أن يلتمسوا منه حجز رياض باشا الذى كان عضواً فى تلك الوزارة المختلطة من السفر إلى أوربا ، ومحاكمته لهفوات نقموها عليه ، وبعد تهيئة الأمر ، وعلم رياض باشا بسعيى فيه ، عدل الخديوى عن ذلك وأعطاه إذن السفر ، بعد أن أمرنى أن أكتب للمومى إليه رسالة أقبح فيها أعماله ، وقد نشرت مضمونها بعض الجرائد .

ولما استقرت الوزارة الجديدة ، طلب راغب باشا ناظر المالية من الخديوى أن أكون معه في تلك الوزارة ، فجعلنى ناظر القلم العربى بها وأحال على قلم العرضحالات مع ملاحظة قلم تركى المالية ، وجعلنى عضواً فى مجلس تسوية الديون السائرة .

وفى أثناء إلحاح الدولتين الفرنساوية والإنجليزية على الخديوى بالتنازل بعث لى الخديوى الحالى أحد خاصته -أمين بك الإنجليزى- يرجونى أن أحث السيد البكرى

أن ينصح والده بسرعة التنازل ، خوفاً من الخطر على الوراثه ، فأظهرت للرسول ماف تنازل الخديوى من الأخطار على القطر المصرى ، بتداخل الدولتين فى داخلية البلاد ، مع ماف هذا من إجحاف بحقوق الدولة العلية التى هى مالكة لتلك المملكة ، فحقدها على توفيق باشا ، ولما تولى الخديوية ، واستعفت وزارة شريف باشا ، ألزمنى إسماعيل أيوب باشا بناءً على أمر الخديوى الحالى بالاستعفاء من تلك الوظائف ، ثم حضر رياض باشا من أوربا مترشحا لرياسة الوزارة ، فحسّن لى شاهين باشا ، وراغب باشا -من رجال الخديوى السابق- الخروج من مصر ، والالتحاق بالخديو السابق ، واحتجا بأن بقائى فى مصر يعقبه انتقام رياض باشا منى ، فاستأذنت الخديوى الحالى بواسطة خيرى باشا فى السفر لتبديل الهواء ، فخرجت من مصر وجئت إلى نابولى عند الخديوى السابق الذى تسبب عن كل هذا ، فوجدت عنده خلاف ما كنت أؤمله ، وعلمت أن إكرامه السابق لى ما كان طبيعياً ، بل زال بزوال السبب ، فبقيت تلك المدة على مضض ، حتى لزم له أن يكتب إلى مشيخة الإسلام بدخول حرمه الآستانة ، فاحتفل بى واستكتبنى شكاية حالتهن لمقام المشيخة الإسلامية ، ولما أحس باليأس وعلم أن لا إمكان لدخولهن الآستانة ، سافر إلى فيشى وأرسل إلى ابنه حسين باشا فى نابولى يأمره أن يبعثنى إليه ، فلما وصلت أمرنى أن أسافر إلى باريس ، وأن أستميل إلى أغراضه أديب أفندى إسحاق ، محرر جريدة (مصر) بها ، فسافرت إليها فوجدت الأفندى المومى إليه سافر إلى بيروت وترك تحرير الجريدة ، ولما أخبرت الخديوى السابق تلغرافياً بذلك أمرنى بالرجوع إليه ، وكلفنى أن أحرر جريدة بنفسى بدون أن أضع عليها اسمى ، واختار لها اسم «الاتحاد» وأملى على أفكاره ، فتوجهت إلى باريس واشتغلت بما أمرنى به ، وبعد العدد الثالث من تلك الجريدة ، أرسل إلى ابنه حسين باشا بالتلغراف ، وكان فى باريس يأمره أن يبعث بى إلى (جراوس) بالقرب من فيينا ، أنتظر حضوره من وليمة فى ضيعة سفر باشا المجر ، فانتظرته فى محطتها ، فأخذنى معه إلى فيينا ، وهناك ألزمنى أن أكتب له رسالة على جدة .. فى مضادة الخلافة ، وأملى على مضامينها ، ولما حررتها طبق أمره ، أمرنى أن أطبعها فى باريس سرا ، وأن أبعث بها إليه ، وأخبرنى أنه سيرسلها مع رجل يهودى كان عنده فى نابولى من أهل الجزائر اسمه سيمون ، ليسافر بها فى زى مسلم إلى مكة ، وينشرها هناك على الحجاج فى يوم عرفات ، وعند خروجى من عنده قابلت ابنه حسين باشا وكان قد حضر إليه من باريس

وعلم أمر الرسالة ، فأمسك بيدى وقال لى المثل الفرنساوى المشهور الذى معناه استعمالى آلة فى الخطر لغرض الغير . فتنبهت للأمر ، ورجعت إلى نفسى .

وفى أثناء طريقى إلى باريس فكَّرْتُ فى المسألة طويلاً وتحققت الخطر فيها ، وعلمت أنى بهذا العمل أكون ساعيا فى شق عصا الإسلام لمجرد أهواء رجل ، قد كشفت لى حوادث الغربة معه ، أن ليس فى قلبه ذرة من الإيمان ، وإنما يستعمل الدين شبكة لصيد أغراضه ، ورأيت أن لامناص للتملص من أوامره إلا بالانفصال عنه ، مع الاحتياج إليه فى الغربة .

ولما وصلت إلى باريس لم أجد طريقا لحفظ دينى وذمتى إلا الذهاب إلى سفارة الدولة العلية بها ، واطلاعها على الأمر ، ولعلى أجد سبيلاً للخلاص منه ، فأخبرت نقولاكى أفندى مصلحة كَزار[1] وأطلعته على الرسالة وما عندى من الأوراق ، والتمست أن يعرض حقيقة المسألة على السدة الشاهانية ، فبشرنى بكل خير ، واستحسن هو والمتوظف الجهادى[2] فى السفارة إبراهيم أفندى رائف أن أطبع الرسالة ، وأن أسهل لهم طريقة ضبطها ، وهى خارجة من المطبعة ، ففعلت وضبطوها بدون أن يكون منها نسخة فى الخارج حتى سلمت لهم المسودة أيضاً ، ولما بلغ كانى بك ، كاتب الخديوى السابق فى باريس ضبط الرسالة بواسطة السفارة والبوليس ، أعلم الخديوى السابق فى الحال ، فأخذه بعض الشك فىّ ، وأرسل مسيو فنسان الفرنساوى تابعه فنقلنى من باريس إلى جنيف فى سويسرا ، مع الكاتب الذى كان عندى نقولا رعد ، وبعد أيام أعلمنى الفرنساوى المومى إليه بأن أستمر فى العمل فى جنيف ، فأبيت ورجعت إلى باريس ، وأحطت علم السفارة بذلك ، فتحقق الخديوى السابق بأن الذى حصل من السفارة فى ضبط الرسالة ، كان متفقاً عليه معى ، فحضر لى راتب باشا من طرفه مسرعاً ، وأخبرنى أن انتقالى من جنيف بدون إذن أوجب قطع ماهيتى ، وأعلمنى أنها لاتتجدد إلا إذا سلمت له ماعندى من الأوراق ، واشترطت على نفسى أن لاأتعرض للخديوى السابق ، وقد أعطانى الحرية فى سكنى أى بلد أردتها ، وعاهدنى على ذلك فسلمته الأوراق ، واستمر ابنه حسين

---

(١) «مصلحة كَزار» اصلاح فارسى معناه الذى يجرى المصلحة ويبدو أنها وظيفة بالسفارة مثل قائم بالأعمال .

(٢) يبدو أنه موظف يشبه الملحق العسكرى الآن .

باشا يصرف لي الماهية مدة شهرين ثم قطعوها عني ، وأنا لا أزال أنتظر مايصدر من السفارة في شأني ، حتى ضاقت بي المعيشة ، وكاد الاحتياج ينزل بي إلى درجة لاأرضاها لنفسي ، ولما يئست من نتيجة ماسبق الوعد به من السفارة كتبت إلى شاهين باشا في رومة ، أبين له غدر راتب باشا بي ، وأعلمه أن الاضطرار سيدعوني إلى عمل مالايرضونه من نشر مساويهم ، وتلاعبهم بالإسلام والمسلمين ، فأسرعوا بإرسال حسين باشا التونسي ، فأعلمني أن الماهية لاتتحدد إلا بالرجوع إليهم ، فأرضاني الاحتياج بالرجوع على شرط أن لاأكلف بكتابة مايخالف ديني ومشربي ، ورجعت معه إلى رومة ، وبما في قلوبهم من الضغائن على شرعوا ينتقمون هناك بأنواع التحقير والإهانة حتى حدثت مسألة عرابي فابتدأ الخديوى يلاطفني ويكلفني أن أكتب إلى محمود باشا سامي لعلاقة القرابة بيننا ، لأستميله على السماح في دخول حرم الخديوى السابق إلى مصر ، وخوف من حصول فتنة بواسطتهن تضر بحقوق الدولة ، وبمحمود باشا سامي ، وكثير من المصريين .. أعلمت الباشا المشار إليه بالحقيقة ، حتى أنبني على ذلك .. ورد الوابور بالحرم من الإسكندرية ، ولاجتهاد عرابي في إقناع واسطة الخديوى السابق ، الشيخ حسن العدوي في عدم دخول الحرم ، أضاع الحزم ، وقال له لا يجوز إدخال الحرم بعدما نصحنا به إبراهيم المويلحي ، فوصل هذا الخبر إلى الخديوى السابق ، فكتموه عني واستشعرت بائتمارهم بشر يوقعونني فيه ، وظهرت لي علائم ذلك ، فاستحصلت على الإذن بتبديل الهواء إلى (ليفورنه) بلدة في إيطاليا ، وقد راسلت مسيو جليان قنصل الدولة العلية في رومة أنبهه على كثير من الأمور ليعرضها إلى محل اقتضائها ، وأقمت في ليفورنه يصرفون لي ماهيتي ألف فرنك بعد أن كانت ألفا وثلاثمائة .

وفي أثناء إقامتي في ليفورنه حضر السيد جمال الدين الأفغاني من الهند إلى باريس ، ولما بيني وبينه من الصداقة أيام كان في مصر حصلت المكاتبة بيننا ، فاتفقنا على نشر جريدة العروة الوثقي ، فنشرها السيد جمال الدين في باريس يدافع فيها عن حقوق الدولة والملة ، ويحث على الوحدة الإسلامية تحت اسم أمير المؤمنين ، فكان صدور هذه الجريدة بهذا المشرب غصة على الخديوى السابق لمباينتها لأغراضه ، وتعطيلها على مقاصده ، واعتقد أن لي يدا فيها ، فاستدعاني إلى رومة في العام الماضي ، وكدرني باللوم كثيراً ، وأمرني أن لاأدخل في شيء ، ولا

أكتب شيئاً مطلقاً ، فرجعت إلى ليفورنه ثانيا ، وبعد مدة جاءني حسين باشا التونسي ، وشرع يبين لي أن مخالفة الخديوى السابق مقرونة بالخيبة ، سيما وأنا فى الغربة ، وزمام حياتى من جهة المعيشة فى يده ، وذكرنى ماجربته فى الماضى ، وعرض علىّ النصيحة ، فى أن أكتب للخديوى السابق ، مالاتضرنى كتابته وتحريره ، لأجل الاستعانة به فقط فى بعض أغراضه السياسية ، وإلا فإن الخديوى يقطع الماهية .. جاء وطلب منى أن أحرر العدد الرابع من جريدة الاتحاد فى باريس ، وأكد لى أنه لايضير نشرها ، وإنما المقصود استخدام اسمها ، وسافر معى إلى باريس ، فأخبرت السيد جمال الدين هناك مفصلًا ، فأخذ فى الحال ماطبع من الجريدة ، وحفظه عنده مخافة أن ينشر منها عنى ، وعلمت سفارة الدولة العلية بالأمر حالا ، فاستشاط الخديوى السابق غضباً ، وشرع يبرىء نفسه ، وأرسل بالتلغراف إلى نابولى يقطع ماهيتى ، وهرب حسين باشا التونسى إلى إيطاليا مسرعاً ، ومعه الأمر بإبعادى من فرنسا ، فسافرت إلى بروكسل ، فكتب لى السيد جمال الدين يقول : إن الأوفق لك أن تذهب إلى لوندره ، وأن تعلن فى الجرائد حقيقة المسألة ، وماغدرك به الخديوى السابق ، وأن تعاكسه فى أعماله ، فتوجهت إليها وقابلت هناك فيها إسماعيل أفندى جودت ، ورأيت من إخلاصه للحضرة العلية الشاهانية مادعانى أن أكتب له عرضحالا لهذه السدة المقدسة ، بالتماس الرضا عنى ، ثم تقابلت مع المستر بلونت ، فرأيت سياسته متجهة لمناصحة الدولة العلية ، وعلمت منه ، ومن بعض أولى الشأن من الإنجليز ، أن لانجاح للخديوى السابق مع الدولة الإنجليزية ، فرأيت حينئذ أن الاشتغال بخدمة الدولة أولى من ضياع الوقت فيما هو واقع بالفعل من عدم نجاحه ، ولما علم السيد جمال الدين بذلك استحسن التفرغ لتلك الخدمة التى يألم لها الخديوى السابق ، وأعلمنى باشتغاله فى الشرق بذلك ، وكان له بعض العلاقات مع حزب المحافظين فى لوندره فسعيت فى تقويتها .. ثم حضر اللورد شرشيل من الهند ، وكان قد سافر إليها بوصايا من السيد جمال الدين إلى بعض أمراء الهند ، إذ كان سفر المشار إليه بصفة خصوصية ، وبما علمه اللورد من نفوذ السيد جمال الدين هناك بين المسلمين ، قويت تلك العلاقات بين السيد وبين حزب المحافظين عند حضوره ، فشرعوا يشوشون على سياسة مستر جلادستون فى السودان ومصر ، وسوء نيته

مع الدولة العلية ، واستخدموا مالزم لذلك فى البرلمان والجرائد حتى حولوا أغلبية الأفكار إلى استقباح سياسة مستر جلادستون ، ولما سقطت وزارته أرسلت الوزارة الجديدة إلى السيد جمال الدين يستدعونه من باريس للحضور إلى لوندره ، فكتب أنه لايحضر إلا إذا كان حضوره مكفولاً بفائدة للمسلمين ، فأرسلوا له بعد ذلك مندوباً حضر معه ، فزاره يوم حضوره اللورد شورشيل ، ثم زاره اللورد سالسبورى ، وتبادلت الزيارات بينه وبين بقية الوزراء ، وكان سبب تأخيرى الوقوف على مايحصل حتى أعرضه على السدة العلية ، فسألوا جمال الدين عن أفكار المسلمين فى الهند وفى الأفغان ، بالنظر إلى الدولة الروسية ؛ فقال لهم إنكم تسلمون أن ممالك الهند كانت بيد المسلمين فيها ، وقد سلبتم ذلك الملك العظيم من أيديهم ، مما جعل النفوس ـ بلا شك ـ حاقدة تميل عند الفرصة إلى التشفى ، وتجد لذة فى زوال هذا الملك من أيديكم إلى أيدى غيركم ، وإن كانوا يظهرون لكم الآن بعض ما تطمئنون به ، فإن البرهان الطبيعى شاهد بما قلته .

أما الأفغان فهم قوم جفاة تشربت نفوسهم على الدوام لأخذ الثأر ، ولا ينسون ماسال بينكم وبينهم من الدماء ، وإن الأمير وإن كان فى ظاهر الأمر معكم ، فهو لايخرج عن رأى قومه عند الحاجة ، فلابد والحالة هذه من سلسلة تربطون بها قلوب هؤلاء بكم ، ولاتوجد رابطة يقادون بها جميعاً أقوى من رابطة دينية ، والرابطة الدينية الوحيدة هى إرضاء الدولة العلية ، •إنى لاأدخل فى تعيين الإرضاء ، بل هذا منوط بالاتفاق بينكم وبين الخليفة مولانا السلطان ، فعليكم أن تسعوا إلى إرضاء الدولة العلية ، لتطمئنوا بذلك على ممالككم فى المستقبل ، وقد أقنعهم بهذا ، فعاون ذلك فى مأمورية مستر وولف .

ثم قال لهم إن هذا الإرضاء لابد من تسجيله وتعميم العلم به لدى الهنود والأفغان ، أما إعلانه فى الجرائد ، فلاتنتفعون به ، لأن الهنود لايثقون بما يكتب فى جرائدكم ، ولا سبيل لكم أن تنقلوه بالأفواه ، فإن الزمن غير قابل ، سيما وأن الدولة الروسية بها جواسيس منتشرة فى أنحاء الهند تحت أنواع مختلفة من الثياب ، فهى تنقض ماتعقدونه ، وتدخل كل شبهة فى أعمالكم ، فلابد لكم من أمر ظاهر فى تسجيل الإرضاء ، لاتدخله شبهة ، فالذى أراه أن الأمر لا يتم إلا أن يكون للمشيخة الإسلامية الشيعية أو نيابتها فى الهند ، أو مايماثل ذلك على حسب مايتفق عليه ،

وبهذا لايكون للمسلمين شك فى اتفاقكم مع الدولة العلية ، ورضاها معكم ، وليس عليكم أدنى خوف من ذلك ، فإن الدولة لاتتاخم أرض الهند ، فأقنع بذلك بعض الوزراء ، وأوقف السيد السير فى إقناع الباقى حتى أعرض على السدة الشاهانية هذا الأمر ، وهو فى موقف الانتظار هناك .

وقد تكلموا معه فى مسألة مصر ، وجاءه مستر وولف مراراً قبل سفره من لونده ، وتداول معه فى تلك المسألة ، فقال لهم السيد إنه لابد من تحديد مدة الخروج من مصر ، وبدون هذا لايمكن لكم إقناع المسلمين فى الهند والأفغان ، أنكم أرضيتم الدولة العلية مطلقاً .

فقالوا إننا نخاف من دولة فرنسا أن تخلفنا فيها ، فنحن مضطرون أن نضع عليها شبه حماية لوقت ما ، فقال إن وضع الحماية على مصر خوفاً من دولة فرنسا حجة لفرنسا أن تضع حمايتها على طرابلس خوفاً من إيطاليا ، وحجة لدولة النمسا أيضا فى أملاك الدولة العلية خوفاً من الروسية وهلم جرا ، ولا حجة لكم فى قولكم إننا نحافظ على ممالك الدولة فى اسيا فقط ، فإن تفريطكم فى ممالكها فى أوربا هو عين التفريط فى ممالكها فى آسيا وفى منافعكم ، وحينئذٍ لاتجدون بها الرابطة التى تحفظون بها ملككم فى الهند ، ثم إن وضع الحماية على مصر مشعل للحركة السودانية ، وموجب لانضمام عموم أهالى مصر بالحجة الظاهرة إلى تلك الحركة .

وقد رأيتم أتعابكم فى مسألة السودان وحدها ، فكيف إذا امتدت إلى الخارج ؟!... وإن هذه الحركة لاتطفئها أفواه مدافعكم ، ولايؤثر فيها السلاح ، وإنما تُطفأ باسم السلطان الخليفة .

ويوم سفر المستر وولف زاره أيضاً ، وتكلم معه فى هذا طويلا واقتنع المستر المومى إليه أن الحماية لالزوم لها .

فالسيد جمال الدين يعرض على الأعتاب الشاهانية أن الإنجليز محتاجون إلى تلك السدة احتياج من يريد حفظ ممالكه أمام عدوه ، وإن التزام الإنجليز من أنفسهم بإرضاء الدولة العلية ، لاتجد له الدولة معارضا فى الخارج ، ويعرض أنه عند الاتفاق مع الإنجليز على تحديد ميعاد خروجهم من مصر تنحل فى الحال المسألة السودانية

باسم جلالة مولانا الخليفة أمير المؤمنين بدون سلاح ، وهو يقوم بهذه الخدمة عند استحسان الخليفة لها

العبد

إبراهيم المويلحى

نقد وتعليق :

واضح من هذه الخطابات التى كتبها إبراهيم المويلحي أحد أصدقاء جمال الدين الحميمين الذين كانوا مقربين إليه وعلى صلة وثيقة به تمكنه من معرفة أخباره وأسراره وخططه ، واضح أن جمال الدين كان صديقا للإنجليز وخاصة بالمسئولين فى حزب المحافظين ، وأن المسئولين الإنجليز كانوا يتخذون منه مستشارا يستشيرونه فى الأمور السياسية التى تهمهم وتشغل بالهم كموقفهم من الحركات التحررية فى الهند وأفغانستان ومصر ، وكان جمال الدين ينصح الإنجليز بالتفاهم مع الدولة العثمانية باعتبار السلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ويستطيع إقناع المسلمين فى هذه الدولة بالتفاهم مع الإنجليز بالوسائل السلمية دون الاشتباك معهم فى صراع مسلح .

وكان التنافس بين إنجلترا وفرنسا على أشده ، فكل منهما تحاول السيطرة على أكبر عدد من الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقية ، وبرغم أن جمال الدين كان يتردد على العاصمتين الإنجليزية والفرنسية ويقيم فى كل منهما ، غير أنه كان أكثر صلة بالإنجليز ، والخطاب الثالث من خطابات إبراهيم المويلحى يثبت أن الصلة بين جمال الدين والإنجليز كانت وثيقة جدا إلى درجة أنه كان يتفاوض معهم فى مسائل سياسية تتعلق بدول غير دولته الحقيقية ، دون الرجوع إلى المسئولين فى هذه الدول .

ومن غير المنطقى أن يصل إنسان إلى ماوصل إليه جمال الدين من النفوذ وعلو الشأن إلا إذا كان مدعوما بمساندة دولة عظمى كبريطانيا فى العصر الذى عاش فيه .

وقد سبق أن رجحنا أن هذه الدولة التى كانت تساند جمال الدين وتيسر

زياراته للدول المختلفة السنية فيها والشيعية ، ولعل ماورد فى الخطاب الثالث من خطابات إبراهيم المويلحى يؤكد ما رجحناه .

كما ذكرنا فى تعليقاتنا السابقة على بعض خطابات ومذكرات جمال الدين أنه لم يهاجم بريطانيا باعتبارها أكثر الدول الاستعمارية استعمارا لبلاد المسلمين وتحكما فى مصائر هذه البلاد ، بينما هاجم جمال الدين روسيا القيصرية وخططها ضد بلاد التركستان وبلوشستان ، وكانت روسيا فى عصره دولة من الدول النصرانية التى تتطلع إلى السيطرة على بعض بلاد المسلمين والوصول إلى منطقة الخليج حيث المياه الدافئة ، ولم تكن — حينذاك — فى درجة من الخطورة على العالم الإسلامى تضارع خطورة بريطانيا بالنسبة لهذا العالم الإسلامى.

كما بينت خطابات إبراهيم المويلحي أنه هو وصديقه جمال الدين كانا يطبقان مبدأ [الغاية تبرر الوسيلة] فكانا يتصلان بالخديوى فى مصر ، ثم ينفران منه ويتجهان إلى التقرب من السلطان العثمانى خليفة المسلمين على حسب ما يتراءى لكل منهما من مصالح شخصية دون التزام بمبدأ معين .

ومهما يكن من شيء فإن هذه الوثائق والمذكرات الخاصة التى نتناولها بالدراسة فى هذا الكتاب كافية لكشف حقيقة جمال الدين ، خدمة للتاريخ ومساعدة للدارسين حتى تكون دراستهم لجمال الدين على هدى وبصيرة ، والله هو الهادى إلى أقوم سبيل .

ثالثا : خطابات إبراهيم اللقانى :

الخطاب الأول : وهو مرسل إلى جمال الدين الأفغانى وقد أرسله إبراهيم اللقانى من بيروت فى ١٥ فبراير سنة ١٨٨٣ الموافق ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٠٠ هـ إلى جمال الدين — فى باريس ، وهو مكتوب باللغة العربية ونصه كالتالى :

(من بيروت فى ١٥ فبراير سنة ١٨٨٣ الموافق ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٠٠

إن راسل سواى حظيرة قدس مولاى وأنا لم أفعل فلا عجب ولا عقوق ، فإنى أخشى حشم تلك الحظيرة وأقربهم إلى قدسها ، فأنا أشدهم خوفا من مولاى

وأبعدهم تصوراً لعظمته وماتصورت غير العجز عن التصور ، فكلما نزع بى الوجد إلى المراسلة غشينى من هذا التصور غاش عمنى هيبة ودهشة وأفعمنى ذهولا وغشية حتى لا أعقل إلا العجز ولا أعى إلا القصور ، ولا أسمع إلا الزجر ، ولا أبصر إلا الحطة ، ولا أحس إلا الضعف ، ولا أجد إلا الحيرة بل هذه كلها كلمات أكنى بها عما يعرونى حينئذ من الأحوال ، كما يكنى بما فى الدنيا عما فى الجنة ، على أنى لم أنهزم من هذه الأحوال لأول صدمة ، بل أثبت أغالبها ، وأعانى تلطيفها بالالتفات إلى جانب حلم سيدى ، وسعة كرمه ، فلا يجدينى هذا الالتفات إلا الرجاء فى غفران ما أرانى عند النظر إلى جانب جلاله قد اقترفته من سوء الأدب بسبب الجرأة على إرادة مراسلة مولى لاتطاول أعناق الحكماء موطىء نعله من العلياء ، مولى لاندرى هل يعلم الحكمة أم الحكمة تعلمه ، ولا نفقه من المعنى ومن المبنى منهما ، مولى لانتحاشى أن نقول فيه إن روح الطبيعة برزت فى ثيابه لتهدى عالمها إلى ماتريده من أسرارها ، وترشد أبناءها سبيل التمدن الحق ، الذى ضلوه وحسبوا أنهم سلكوه فمن أنا إذا .. وماذا أكون حتى أترفع وأتطاول تهافتا على مراسلته ، وهل لى من العلم إلا ما ألهمنى إياه ، وهل ألهمنى إلا مايلهمه الوالد لطفله من الكنايات التى تناسب ذوق الطفولية كما يكنى له مثلا عن الجذب المنوطة به الكواكب بحبال النور ، أو كما يعبر له عن لذة العلم فى ذوق أهله بحلاوة السكر ونحو ذلك مما إذا شب الطفل وبلغ سن الإدراك لايجد بينه وبين المكنى عنه نسبة ما ، وتعقل أنه لم يكن متعقلا .. هذه هى منزلتى من مولاى ، بل منزلة جميع العالم منه ، ولن أرانى مهما بلغت بالغا حدا يؤهلنى إلى مراسلته إلا استفادة واسترشادا ، وهذا ما أردته من ألوكتى هذه ، ويعلم الله وسيدى أنى ماقصدت بما قدمت حسن تنصل من تقصير ، أو دفع توهم قصور ولكن وحق المولى يمينا قطع لسانى إن حنثت فيها ، ماحكيت إلا صدقا وما ذكرت إلا حقا ، هذا وإن ما أردته فسأبسطه بعد حكاية حال يحب مولاى التفكه بذكرها ، وها هى بغاية الإجمال ونهاية الإيجاز.

لما سلبنا روحنا، وفارقتنا حياتنا الحقيقية (أستاذنا وسيدنا) أخذ الخوعم الخيعامه يتربص بنا الفرص لتلاشينا غير مكتف ذلك الهيرع بما فعل بنا من خنا وخيانة وكان قد وكل الضابط علينا ، فوكل بنا عيونا ، لاتكاد تطرف ، تراقب ماعسى

أن يفرط منا فى هفوة أو عثرة نؤخذ بها ، فلازمتنا تلك العيون ملازمة العرض للجوهر ، لا تنفك عنا أينما كنا ، وحيث حللنا ، وقد زاد ذلك فى نفور الناس منا ، فأصبحنا أجانب منهم وفيهم ، وأينما كنا يشار إلينا بأطراف البنان بحيث كنا إذا حل أحد بنا بقهوة انفض جميع من بها تباعا سراعا ، لا يكاد يلوى أحدهم على آخر ، فتخلو القهوة ويكسد سوقها ولايدرى صاحبها ما السبب ، وكثيرا ماكنت أنا وسعيد نفعل ذلك لهوا وعبثا ، ثم امتنعنا إشفاقا على أرباب القهاوى من الإفلاس ، وهكذا أصبحنا بين أهل مصر كالسامرى فى قوم موسى وأخص بالتسفيه من بينهم كتاب جرائدهم ، ومن كان يبالغ فى الخضوع للسيد ، فقد كان هذان الفريقان أشد حدة وأحد لسانا ، كأنهم يدرأون بذلك عن أنفسهم شبهة النسبة إلى السيد ، وهذا بصرف النظر عن صاحب الأهرام ، فهو لايزال كلما عنت له فرصة يملأ جداول صحيفته بذكرنا ، لاسيما عند انتصار الإنجليز ، فقد دندن وطنطن وصرخ وصوت ، وولول ونادى بأن جميع ماجرى فى مصر هو ثمرة مابذر جمال الدين وتلامذته ، وأما كَتَبَةُ الجرائد الأجنبية فلم أذكر لأحد منهم سوءاً إلا لمكاتب التيمس الذى كان فيما أظن مدح السيد أثناء زيارته له ، فإنه أراد أن يقدح فبحث وفتش على معايب فلم يجد ، وأبى إلا الذم فرمى المولى بأن عيونه كانت تبرق ولم ندر ماذا أراد بهذا الوصف وكأنه أعمى فرمى السيد بما هو من أوصاف البصير .

ولا أذكر جريدة الحكومة وما أتت به ، فقد قامت وقعدت وكرت وفرت ، وفكرت ودبرت ، وغاصت فى بحار السجع وسبحت ، ثم أدركها الكلل فنامت واحتلمت ثم تنبهت وتمطت ثم تثاءبت وتجشت ، ثم لفظت شيئا لاكته بعد أن قاءته أمعاء أوليائها ، ثم كلفت غيرها من الجرائد أن تلوث وجوهها بتلك الفضلات فأبت "مرآة الشرق" إلا الطهارة ، فعوقبت بالتعطيل ستة أشهر ، وأوعدت بالبحث فى سوالف أعدادها ، زاعمين أنهم يذكرون لها الوقيعة فى الدولة العلية (وماذا كان أسكتهم عما سلف) فآثرت المرآة أن تحتجب اجتنابا للشر ، وتركت أمر الوعيد لله .

واذا علمنا ماهم يتربصونه بنا حرصنا كل الحرص غير مظهرين المبالاة والاكتراث ، آخذين بأطراف المكر والدهاء والخديعة ، مع شرف نفس وعلو

همة ، وإباء ضيم غير معتمدين ولا معولين على أحد ، إلا فيما حدث لى عند فراق السيد ، إذ رفعت في حقى شكاوى عديدة إلى الضبطية ممن كانت مرآة الشرق تعلن مساويهم ، فأول طلب جاءنى من الضبطية كان فى غد رحيل المولى ، فأيقنت بالشر بسر الطلب فبعثنى هذا اليقين على التوجه إلى مسيو فجرى وعرضت عليه الطلب فأيقن بما أيقنت أيضا وقال لاتخف وإنما استصحب معك أحدا ليعود إلىَّ بخبر ما يحصل لك ، وإياك أن تنزعج أو تقول إذا سئلت عن شيء إلا الحق ، ففعلت كذلك ، ولكن لما وجدت الطلب لأجل الشكاوى المذكورة حمدت الله وصرفتها بكلمتين ليس إلا ، فلم تبلغ الضبطية منى مرجوّها وهكذا لبثنا ستة أشهر نعانى مقاومة الاضطهاد ، وقد ظهر سر مولانا فى خلال الستة الأشهر هذه بمظهر عجيب، وذلك أن جماعة إسكندرية الذين ظهر فيهم أثر خطبة المولى، وهم آل بيت سرسق وقطة وزغيب والخلع اجتمعوا على القيام بإعلاء كلمة السيد والنداء بما كان ينادى به، وضموا إليهم عصبة من المسلمين وتعاونوا على إصدار جريدة نصفها عربي ونصفها الآخر فرنساوى، ينشرون فيها ماجمع السيد عليه كلمتهم فى خطبته، فأخذت تلك الجريدة من أول يوم صدرت فيه شهرة لم تأخذها أشهر جرائد أوروبا بعد عدة سنين على أنها جانبت التهور والجدة فوق مايوجبه عليها الأدب والاعتدال ، حتى لقد تهافتت على تسوئتها سائر الجرائد المحلية عربية وإفرنجية حقدا عليها ، وتملقا إلى رياض باشا ، إذا حسبوا أن تلك الجريدة فأخرستهم جميعا ، بما أوجب الثناء عليها .وحببتهم فيها رغم أنفهم ، ولم يكن عمل هؤلاء الجماعة مقصورا على تلك الجريدة ، بل كانوا دونوا لائحة إصلاح ، وجاء بها وفد منهم إلى مصر ، ورفعها إلى الخديوى ، وسأله عن لسان الجمعية العمل بها ، فتنغص الخديوى من ذلك ، ولكن لم يستطع إلا الاحتمال والصمت ، ثم أخذوا أيضا فى تدوين لوائح غير تلك بما يرون وجوب إجرائه فى القطر ، ولكن من سوء البخت أن رياض باشا الذى كان وقتئذ ناظر النظار يرى أن المصريين ليسوا أهلا لمثل هذه الحرية ، وهى عقيدته التى يعلمها فيه سيدى ، والتى هى عيبه الوحيد ، فتصدى تلك الجريدة ، وكلف ناظر المطبوعات الذى كان وقتئذ إيطاليا بتعطيلها فاستعصم ، فكلف نفس ناظر الخارجية بذلك ، ففعل على غير العادة ، فلم يكن من الجمعية إلا أن رفعوا على الحكومة قضية ، فقضى لهم وهموا بإصدار الجريدة ثانيا ، لولا أن

المسلمين الذين كانوا فى جمعيتهم تفرقوا عنهم ، بل وتصدوا لإيذائهم نفاقا فعجبوا وسخطوا قائلين إنما نحن نخدم بذلك المصريين لا نخدم أنفسنا إذ ما من أحد منا إلا وهو رعية دولة أجنبية وفى مأمن من استبداد الحكومة المصرية ، وفى غنى عن حريتها ، فحيث أبى المصريون الاشتراك فى هذه الخدمة ، فمالنا وهذا العناء الذى ليس لأشخاصنا منه فائدة ، ومن حينئذ كفوا عن مشروعهم ، ولاحول ولا قوة إلا بالله .

ثم لم تمض علينا هذه الأشهر الستة إلا وقد تنقل بنا الدهر فأحَلَّنا المكانة العليا والمنزلة القصوى ، فتولى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع ، وضم إليه إخواننا الطلبة كالشيخ عبد الكريم وسعد زغلول والسيد وفا والشيخ داغر ، والشيخ محمد خليل وتولى على بك مظهر رياسة القلم العربى بمجلس النظار وتولى هذا الخادم وظيفة الكاتب الثانى بنظارة الأشغال ، وبالجملة لم يبق أحد من المخلصين فى محبة السيد إلا وقد ظهر شأنه ، وارتفعت مكانته ، حتى اندهش الناس من هذا الانتقال السريع الذى نلنا بعد توقعهم تلاشينا ، ومامنعهم من أن يقولوا علينا سحرة إلا تحاشيهم من التظاهر باعتقاد السحر المعدود فى ذوق المتنورين من الخرافات ، وكأن هذا الانتقال أوقع فى أفئدة الناس منا رهبة

وحملهم على تعظيمنا وتكريمنا ، ومراعاة الأدب والاحتشام فى مجالسنا ، حتى كنا نضحك من ذلك فيما بيننا ، وإذا خلونا ، وأنا لا أرى أن ذلك الانتقال هو العلة التامة فى تعظيمنا إلى حد ، بحيث كنا لو حل أحد منا بمجلس طأطأت له الرءوس ، وخرست الألسن ، وصاخت له الآذان ، وتملقت له بقية الأعضاء ، وإنما ذلك لسر أثمره بذر غرسه فينا أستاذنا ، وتعهدناه بما أودعه بنا من ماء الحزم فزها وأينع . على أن خمرة هذا الانتقال لم تسكرنا فتنسينا أخذ الحذر من (خرزنبور) أريد (توفيقا) إذ كان لم يزل بنفسه منا ما كان أولا ، بل زاده تقدمنا حنقا علينا واحنبطاً منا ، وما غلّ يديه عن البطش بنا إلا ما كان مصابا به فى عهد وزارة رياض من انحلال القوة ، وفقد النفوذ ، إذ لم يكن معه مستطيعا حلا ولا عقدا ولا أمرا ولا نهيا بل حجر عليه فعل ما هو من حقوقه كإعطاء الرتب إلا برأى مجلس النظار فهيهات هيهات أن تتئم مصر توأما لرياض لو بقيت فى يد أهلها .

وقد زاد حذرنا عندما ابتدأت الحوادث الأخيرة التى سموها عصيانا ، فجانبنا

الدخول فيها ما استطعنا ، سالكين طريق من ليس له فى الأمر شىء ، زاهدين فى الثواب زهدنا فى العقاب ، لا رغبة عن الحرية ولا ضنا بأرواحنا فيها ، بل لعلمنا بالباعث الحقيقى على تلك الحركة ، وجزمنا بضعف القائمين بها ، وجهلهم بما يجب لها ، راجين مع هذا أن نسلم من تمحيض نسبتها إلينا ، إذ لم يكن يحصل بمصر أدنى حركة من هذا القبيل إلا عدوها من آثار أستاذنا وتلامذته ، ولهذا فإننا حمدنا الله تعالى حيث لم يكن السيد بمصر أيام هذه الحوادث وإلا لكان أول محاسب ، فلله الشكر والثناء.

ثم انتهت تلك الحوادث باستوزار عصبتها ، فأخذوا فى تنقية الوظائف من الغلث القديم ، وانتقوا لها من الشبان من رأوه خليقا بها ، فكنا فيمن وقع اختيارهم عليه ، فتولى محمد عبده فوق تحرير الوقائع قلم المطبوعات الشرقية عربية وتركية وغيرهما (وإن لم يعرف غير الأولى) وصار هذا الضعيف (أنا) مفتشا بالداخلية ، وسعد زغلول معاونا بها ، فزاد بذلك ارتفاع شأننا ، ولكن عُد ذنبا لنا عند حزب الخديوى على أننا وعلى الخصوص إبراهيم لم نخرج عن الحد الذى أوقفنا أنفسنا عنده فى تلك الحوادث ولم نتظاهر بالميل مع أى الحزبين ولم يكن لنا فعل فى جريان الحوادث ، غير ما يطلب منا من الآراء والمشورة ، ولم يكن من رأينا إلا اجتناب أسباب الحرب ، والاجتهاد فى دفع وساوس المستر مالت قنصل إنجلترا الجنرال وفى مداهاته ومسالمته واجتذابه.

وقد كان الناس جميعا إلا النزر اليسير سروا بانتهاء الوزارة إلى العصبة المذكورة ، وصيرورة الحكومة شورويه ، فأخذوا فى أسباب إعلان السرور فكانوا يتسابقون إلى إعداد الليالى لتلاوة الخطب لا للسكر والطرب ، وأكثر ما كانوا يعولون فى الخطابة على تلامذة السيد ، إلا أننا كنا نروغ ونحاول الخلاص من ذلك ، فلا نجد مفرا ، خصوصا وقد كان الوزراء هم الذين يندبوننا غالبا إلى ارتقاء المنابر ، فنتمثل ولكن لا نخرج فيما نقول عن حد الاعتدال ، فطار بذلك صيتنا ، واشتهر أمرنا فعدوا لنا ذلك ذنبا ثانيا ، وتم اعتقاد حزب الخديوى بأننا من حزب العصاة.

ثم استفحلت الحوادث بدسائس مالت وسقطت تلك الوزارة ، وآل الأمر إلى مفاجأة انجلترا بضرب مصر ضربا لا يسوغه قانون ولا ترضاه عوائد المتوحشين

فضلا عمن يدعون التمدُّن ، ثم انجلت الحرب عن هزيمة المصريين بدسائس الخديوى وسلطان باشا ، فأخذت الحكومة فى القبض على رءوس العصبة ، وإعداد المشانق ظنا من الخديوى أنه سيكون حرا فيما يريد ويشتهى ، وأن الإنجليز ما بذلوا مالهم وأراقوا دماءهم إلا لتأييد جنابه حقيقة عشقا فيه وشغفا به ، لتنال فيكتوريا من حسنه وجماله ما قضت عمرها فى تمنيه منه ، ولكن ما أنبهه وما أذكاه فقد فهم اليوم أنهم ما جاءوا إلا لتقييده لا لتأييده .

وقد كنا فى ضمن هؤلاء الرءوس المقبوض عليهم فدخلنا السجن جازمين بالقتل ، ولكن وأيم الذمة ما نبضت لنا فريصة ولا خنق لنا قلب ، ولا شابنا انزعاج إلا ما داخلنا من الإشفاق على تيتم أطفالنا على أن الإنجليز لم تدعه يتمكن من الانتقام والتشفى ، وإنما جارته على هواه إلى أن احتلت بأنحاء القطر ، وتغلغلت فى أحشائه وتمكنت من القلاع والحصون والثغور ، وجمعت جميع ما فى القطر من أنواع الأسلحة ثم تظاهرت برأيها من لابد من المحاكمة لا رأفة منها .. أستغفر الله .. ولكن استمالة للأفئدة ، بما توهمه بهذا الفعل أنها عادلة منصفة وجعلت للخديوى بسلامته نصيبا من هذا الاتهام إذ بنته على أوامره ليقال عنها إنها أيدت رجلا عادلا ، وحينئذ شكلوا من المجالس ما شكلوا وأجمعوا آراءهم على محاكمة الأشقى فالأشقى ، وأحصوا أولى الدرجة الأولى من الشقاوة بحسب انتقاء الخديوى ، ومن بحاشيته من الصغار ، ونقلوهم من سجن الضبطية إلى محل آخر أعدوه لسجنهم وزعموا أنه على نمط سجن الأشقياء فى أوروبا وما أظنهم صادقين فى زعمهم هذا وإلا لكان حكام أوروبا أفظ الناس وأغلظهم جانبا ، وأقساهم وأخشنهم قلبا فإنى كنت محسوبا من أرباب هذه الدرجة ، وسجنت فى هذا السجن خمسة أشهر إلا أياما وها أنا أصفه لمولاى على ما هو عليه بلا زيادة ولا نقصان ويقيسه ــ إن شاء ــ على ما هو مشاهد له الآن فى فرنسا هو عبارة عن حجرة ليس بها متنفس ، إلا منفذا صغيرا مما يلى السقف عليه شباك من حديد ضيق الأبعاد جدا يليه منسوج من سلك لا تزيد مسامه عن مسام الخرقة ، بحيث لا يكون الضوء فى تلك الحجرة عند محازاة الشمس لذلك المنفذ إلا بمقدار ما يرى الإنسان أن يضع قدمه ، وفى تلك الحجرة رطوبة لا يمكن اتقاؤها ، ولا اتقاء ما يصعد عنها من الروائح الكريهة التى أثرت ببصرى تأثيرا لم يزل بى حتى الآن ، ثم

هى لاتفتح لا ليلا ولا نهارا إلا لحظة عند الصباح ولحظة عند المساء لقضاء الحاجة ، على أنهم لا يمكنوننا من قضائها على وجه الصحة بل كانوا يستحثوننا وربما دخلوا المرحاض وأنهضونا رغما ، ولذا كنا كثيرا ما نضطر إلى قضائها داخل الحجرة ، وكانوا يحظرون علينا الاستصباح وتناول الدخان ومطالعة الكتب وتلاوة القرآن والكتابة ، فكانوا يمنعون وصول شيء من أسباب ذلك إلينا ، وعلى الخصوص إذا كان جرنالا ، ولزيادة احتياطهم كانوا كل يومين يأتوننا فيفتشوننا تفتيشا مهينا، خوفا من أن يكون قد وصل إلينا شيء من المحظور علينا، مثل كبريت أو ورق ولو أبيض، ثم ينفصلون عنا بعد أن يوسعونا إهانة وتهديدا وإيعادا بالقتل والسلب،ونوسعهم تجلداوثباتا،وكانواأيضايمنعون وصول أهلناوخدمناإليناوإنماإذاجيء لنابطعامأولياءمن قبل أهلنا، حمله السجانون إلينامن غير أن نرى من جاءبه أو يرانا، وإنما جهلوا صاحب الشيءفأعطوه لغيره وهذا بعد أن يتناولوا منه لأنفسهم ما يشتهون، ويعطوننا الباقى كصدقة يطرحونه من بعد فيكسر من الأوانى ما يكسر ، ويتلوث من الثياب ما يتلوث ، وتنال الأرض من الطعام نصيبها ، هذا هو مجمل أوصاف السجن ، فهل هو كذلك فى أوروبا نعم كان يستطيع تلطيف هذه الشدة من يبسط يده بالبذل ، فقد تحصل بعضهم على العلبة من الكبريت بليرة إنجليزية فكم يكون ثمن غيرها من أنواع التلطيف ، وقد تحصل محمد أفندى الصدر على دواة وقلم بثلاث عشرة ليرة ، وعلى هذا القياس يا سيدى ، وهو قياس ينتج أن مثلى عانى الشدة طول المدة ولم يستطع إلى التلطيف سبيلا ، وماهي بالمدة القصيرة بل خمسة أشهر إلا أياما .

على أن الإنجليز كانوا قد عينوا مفتشين منهم على السجون يمرون علينا مرة فى كل أسبوع ، يسألوننا عن أحوالنا ، وعما عسانا نشكو منه ، فكنا نكتم عنهم حقيقة الحال ، إلا ما يضر بالصحة مخافة أن تقع شكوانا إلى مسامع الخرنوص (توفيق) بواسطة السجانين الذين هم من أعوانه ، فلا يعدم حيلة إلى إيذائنا وماذلك إلا لانقطاع أخبار الخارج عنا ، وجهلنا بما هو عليه من الضعف ، وسقوط المنزلة ، وإلا لكنا تخلصنا من هول تلك الشدة غير مكترثين بما كان يصل إلينا من التهديد والوعيد ، ولكن ماهى حيلة الجاهل الذى ماعرف حلول العيد إلابتوالى إطلاق المدافع أربعة أيام فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وما كان لنا مؤنس فى السجن إلا تعليل النفس بقرب حلول دورنا فى المحاكمة ولا مسامر إلا هواجس الخاطر بما ندافع به عن أنفسنا وقت المرافقة ، فكانت تنسر وتنشرح من هذه الخواطر ، وتمنى ذاتها أمانى عديدة ، من الغلبة وكسب الشرف والفخار فى مقام المحاكمة وطلب عوض مالحقها من الإهانة والضرر والخسارة ، إلى غير ذلك من الأمانى التى كانت كأنها بين أيدينا ثم استيقظنا فلم نجدها ، وذلك أنهم رأوا أن المحاكمة تؤدى إلى إهانة القمهد (توفيق) بوقوفه صغيرا ذليلا أمام المرافعة وإلى إلقاء المسئولية بتمامها على عاتقه ، وهذا يدلى إلى فضيحة الإنجليز بتأييدها ولدأ درقما مثل هذا ، فأحبَّتْ أن تتلافى هذه الفضيحة من وجه والخديوى تواقع وترامى على اللورد دوفرين من وجه آخر فبتت المسألة على وجه سياسى لا وجه قانونى وكانت قد تواطأت مع عرابى ورفاقه على بت المسألة بهذه الطريقة ، فادعى المجلس أن عرابى وستة معه استحقوا القتل ، وأن الخديوى تنازل إلى النفى المؤبد وفوضوا أمر باقى المسجونين إلى رأى الخديوى ، فأطلق من أطلق وجرد من جرد ، ونفى من نفى ، كل ذلك بالاستبداد والهوى ، لا بالتحقيق والإنصاف .

وكنت أنا والشيخ محمد عبده فى ضمن من حكم عليهم بالنفى كل منا ثلاثا خارج القطر المصرى ، بعد أن كان محكوما علىّ بتسع سنين ، وعلى الشيخ محمد بعشر سنين فى طوكر ، وهى بلد بالسودان فوق مصوع ، وسر هذا التخفيف جدال وقع بين سعادة العلامة الفيلسوف على مبارك باشا وبين شريف باشا أما سعادة الأول فكان يحاول نفينا إلى حيث لا نتمتع بالحياة ولا نعود جزاء إحساننا إليه وتصنيفنا له التصانيف التى يتيه بها على العلماء فضلا عن الذوات من غير أن ننال منه على ذلك ثوابا إلا المرتب الذى كنا نأخذه من الحكومة فى نظير عملنا بها ، وكأنه أشفق أن ننم بانتحاله لتلك التصانيف فى يوم ما من الأيام — ولو بعد موته — فيضيع صيته الباطل سدى ، فأراد أن يعجل بفقدنا ، فطلب أن تنفى هذا النفى القاطع للحياة ، وأما سعادة شريف باشا — حفظه الله — فكان يحاول إطلاقنا ، ولاصلة بيننا وبينه البتة ، فلا أدرى ما الذى بعثه على الموافقة عنا — جزاه الله خير الجزاء — فقد كانت مرافعته سببا لتلطيف الحكم ودفع الأذى الذى أراده بنا على مبارك لعنة الله عليه .

وفاتنى أن أذكر لمولاى أنهم ساووا فى السجن بين تلامذته ، ورءوس العصبة ، أى عرابى وباقى السبعة الذين استحقوا القتل ، فأفردوا كلا منا فى سجن على حدته ، وزادوا فى التشديد عليه فوق ما عاملوا به عامة المسجونين ، ولو كان الأمر بيد اليعر (توفيق) لاستفتح بقتلنا قبل كل من كان يود الانتقام منهم ، ولكن الله سلم.

ثم بعد الحكم علينا بالنفى أخذوا يخذفوننا جماعة فجماعة إلى حيث مايريده كل شخص من الجهاد فلما جاء دور الجماعة الذين كنت محذوفا معهم ، ونقلنا إلى سجن اسكندرية ، يتربصون بنا ميقات سيرالوابورات رأيت فى السجن رجلا أعجميا طويل اللحية عليه سيماء المرض أقبل يسلم على سلام الأخصاء مع هشاشة أعرفها ، وبشاشة لى عهد بها ، وإن مازجها تململ المريض ، وتأوه المظلوم ، فتأملت طلعته ، وتفرست هيئته فوجدتنى أعرفه ، فكدت أصيح ، ولكنى دهشت وطشت وذهلت وغبت عن وجودى فإنى وجدته أبا تراب . أو ليس إنى خليق بتلك الدهشة ، كيف لا وهى فرصة لو فاجأت الحجر الصلد لذاب ماء أوطار أنجارا ، ثم بعد ما وقفت منه على ما فصله لمولاى ومولاه حمدت الله على مصيبته قدر حمده على مصيبتى ، إذ كانت مصيبة كل فائدة لصاحبه وأقل مافى ذلك زوال وحشة الانفراد.

هذا موجز ما يتعلق بنا بعد فراق سيدنا ، وقد أضربت عن ذكر حوادث كثيرة جرت فى خلال ذلك ، وكنت قيدتها واحدة واحدة ، فاستوعبت مجلدا لطيف الحجم ، وادخرته على نية أن أرفعه فكاهة إلى سيدنا عندما يسعدنى الاتفاق بلقياه فإنى كنت ولا أزال أمنى النفس برؤيته عاملا على بلوغ هذه الأمنية مادمت حيا ، فإنى وحقه لا أرى الحياة حياة إلا بخدمته.. وهذا المجلد كان قاصرا على ماجرى فى عهد فراق السيد إلى مبدأ الحوادث الأخيرة المسماة عصيانا ، مستفتحا بذكر السيد ومناقبه ، ومافعله بمصر من المواهب وما تركه بها من الآثار ، التى ما خدم بها الإسلام أحد قبله ، والتى لا يقوم بشكره عليها إلا الحقيقة المحمدية ، أما ما جرى من ابتداء الحوادث الأخيرة إلى ليلة القبض على فقد أفردتها بالتقييد ، وعنيت بها عناية المؤرخ الناقد ، على قدر ماوصل إليه حولى حاكيا كل حادثة منها

على ما ظهر واشتهر ، ومردفا بما بطن .

من أمرها واستتر على ما ينبغي من الضبط والدقة ، وما يوجبه النظر فيها من التجريح والتصحيح والتخطئة والتصويب ، فاستوعبت هذه الحوادث أيضا مجلدا أعظم حجما من الأول وادخرته كذلك ليكون لى إذا راق مولاى — أثرا وذكرا ، غير أن الظلم ياسيدى لا يبقى ولا يذر ، فإنهم ليلة أن قبضوا علىّ أقاموا على المنزل غفرا محافظة على ما فيه ، إلى أن يهاجموه ويضبطوا ما يضبطونه منه ، كما فعلوا بمنزل الشيخ محمد عبده من قبل بليلة ، إذ ضبطوا جميع ما به من الأوراق فأوعزت إلى أختي عندما وقفتُ على نيتهم فى ليلة القبض أن توارى سائر ما عندى من الورق إلا ما كان منها مجلدا مطبوعا ، فلم تتمكن من فعل ما أوعزت به إليها فإن العسكر الذين كانوا غفرا على المنزل منعوا خروج كل شيء ، بل منعوا خروج أحد من أهل المنزل ، ودخول أحد إليهم ولهذا لم تجد بدا من طرحه فى المرحاض فذهبت ذكراى فيما لا يذكر :

ها أنا قد بسطت ما أردت بسطه من حكاية حالنا ، فلأعرض على مولاى ما أردته بهذه الألوكة .. قد قضى علي السجن ببيع أمتعة منازلنا حتى الغطاء والوطاء لسد الرمق بأثمانها ، فلم ينقص السجن إلا وقد نفد جميع مالدينا فتخيرنا أن ننفي إلى بلاد دولتنا رجاء أن نجد بها ملجأ ونصادف فيها مخلصا ، فنحصل على ما يقيم أودنا ، إلى أن يقضى الدهر بما هو قاض ، تاركين أمر عيالنا فى مصر إلى الله ، تفعل بهم الصدفة العمياء ما هى فاعلة ، فجئنا بيروت ، فلم يستقر بنا المقام حتى أمرنا بالخروج منها ، وأن لا نطأ أرضاً للدولة العلية مطلقا ، فحرنا فى أمرنا ، وحملنا الاضطرار على استرحام الباب العالى على النحو الذى فصله أبو تراب لسيدى ، فإذا لم يستجب الباب العالى دعاءنا ، فما هى الحيلة ؟ وماذا نصنع ؟ وأين نذهب ؟! .. ولسنا على شيء يؤهلنا إلى قصد أوروبا ، ولا عندنا من الثروة ما يساعدنا على المقام فيها ، وما سألنا سيدنا هذا السؤال طالبين منه الجواب إلا لأنه السبب فى ظهورنا ، وافتتاح بصائرنا ، وقد كنا — أولا — نسبح فى بحار الغفلة ، متلذذين بأوهامها ، متنعمين بخرافاتنا ، نقرأ وردنا ، وننام لا علينا ولا لنا ، فجئت واستنقذتنا من هذه الأوهام ، واستخلصتنا من الخمول ، فأحييت لنا بذلك إحساسا كان فاقدا منا ، وشعورا لم نكن نعهده فينا ، فصرنا نتألم من كل ما

لا يلائم هذا الإحساس ، ونتأذى من كل ما لا يجانس ذلك الشعور ، ولا شيء فى مصر مما لا يلائم هذا أو يجانس ذلك ، فنحن على الدوام فى ألم وتململ ، وأنت أنت السبب فى ذلك (وعجيب أننا لا ننفك نشكرك على ذلك عوضا عن أن نشكوك) فعلى سيدنا أن يهدينا السبيل الذى نسلكه فيما نزل بنا من المصاب ، وأسأل الله أن يهدينا سبيلا يوصلنا إلى الاجتماع بمولانا حفظه الله .

هذا وإنى أختم هذا الحديث بلثم أعتاب مجلسه .

غرس فضلكم

إبراهيم اللقانى

حضرة الشيخ محمد عبده حضر تحرير هذه الألوكة وسألنى أن أرفع فيها إلى سيدنا ما هو واجب عليه من تقبيل أقدام ولثم راحات وغير ذلك مما يكفينى مؤنة ذكر علم المولى بحال تلامذته .

وإذا شاء السيد أن يتفضل على خادمه أبى تراب أو عبده إبراهيم بشيء من الكتابة ، فليكن عنوانه باسم السيد عبد القادر أفندى القبانى مدير جريدة ثمرات الفنون .

نقد وتعليق :

هذا الخطاب الذى أرسله إبراهيم اللقانى أحد تلاميذ جمال الدين الأفغانى وأحد زملاء الشيخ محمد عبده ـــ يتضمن معلومات بالغة الأهمية ، لها دلالات عجيبة ، وهى جديرة بالدراسة والتأمل ، ويمكن أن نستخلص منها مايلى :

أولا : أن جمال الدين الأفغانى كان عظيم التأثير على تلاميذه ومريديه ، ويظهر هذا بوضوح فى الأسلوب الذى خاطب إبراهيم اللقانى به أستاذه جمال الدين الأفغانى ، فهو يخاطبه كما يخاطب الملوك والسلاطين وأمراء المؤمنين ، ويعده مبعوث العناية الإلهية الذى بعثه الله لإنقاذ الأمة الإسلامية ، وأنه يستحق الشكر والثناء من الحضرة المحمدية .

فالخطاب حافل بالملق مسرف فى النفاق بصورة تكشف مدى تأثير جمال الدين فى تلاميذه ، الذين يفخرون بتقبيل قدميه ولثم راحتيه ، برغم ما كان لتلاميذه من شهرة وعلو شأن فى مصر .

ثانيا : أن الخطاب يثبت أن جمال الدين كان شيعيا فقد ذكر خادمه (أباتراب) وهو اسم لا يوجد إلا عند الشيعة كما أن اسمى أبا بكر وعمر لا يوجدان إلا عند أهل السنة مما بيناه فى الجزء الأول من كتابنا(حقيقة جمال الدين الأفغانى) .

ثالثا : أن الخطاب يلقى بعض القتامة على وجه على باشا مبارك ، فيبين — لو صح — أن كتبه التى نسبت إليه ورفعت من شأنه لم تكن من تأليفه وتحقيقه وإنما كان هناك موظفون حكوميون منهم إبراهيم اللقانى ، يتقاضون مرتباتهم من الحكومة ، ويقومون بإعداد هذه الكتب التى نسبت إليه.

كما أنه كان معاديا للحركة الوطنية إلى درجة أن قلبه كان أكثر قساوة على الوطنيين من الإنجليز والخديوى وشريف باشا.

رابعـــا :

يوضح الخطاب ما كان يدبر ضد مصر من مؤامرات بواسطة المستعمرين من الإنجليز ، وبمعاونة عملائهم من المسئولين المصريين وعلى رأسهم الخديوى توفيق ، الذى وصفه إبراهيم اللقانى فى خطابه بأوصاف قبيحة تدل على تفاهة شخصيته ، وكره المصريين له.

خامســـــا :

أن طلب إبراهيم اللقانى من جمال الدين الأفغانى فى نهاية الخطاب أن يحل مشكلتهم ويرشدهم إلى الطريق الذى يسيرون فيه دليل على نفوذ جمال الدين الذى يبدو أنه كان على صلة بالإنجليز تمكنه من الوساطة لديهم ، وإقناعهم بالاستجابة إلى ما يطلب وحل مشكلات من يتوسط لهم.

وقد أثبتنا هذه الصلة فى تعليقنا على خطابات إبراهيم المويلحى ، وفى دراستنا السابقة لجمال الدين ومحاولة الكشف عن حقيقته.

ونعرض الآن خطاب آخر من خطابات إبراهيم اللقانى إلى جمال الدين الأفغانى لنلقى مزيدا من الأضواء الكاشفة لحقيقة جمال الدين ، بتوفيق من رب العالمين.

٢ ــ الخطـاب الثانى :

وهو خطاب كتبه إبراهيم اللقانى إلى جمال الدين الأفغانى من بيروت فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٨٣ ، وكان جمال الدين حينذاك فى باريس ، والخطاب بالعربية ونصه كالتالى :

□ من بيروت فى ٢٧ فبراير سنة ٨٣

هذه إلى فناء سيدنا ومولانا ــ متع الله العالم بطول حياته ــ وقد تقدمها أربع ، إحداها عجالة من خادمه أبى تراب ، أرسلها عن طريق باريس باسم إدارة البصير ، يحيط فيها علم مولانا بحلوله بيروت ، ويعده بتفصيل ما وقع له .

والثانية هو هذا التفصيل ، بعث به عن طريق لوندره ، والثالثة يخطر فيها سيدنا بإرساله هذا التفصيل وأرسلها فى رسالة من عبده إبراهيم وهى الرابعة وقد أرسل بهما إلى باريس رأسا باسم صاحب البصير أيضا .

ولم يزل أبو تراب يتوقع ما يرسم به عليه مولانا ، حيران قلقا لأجله ، ينزع به الإشفاق إلى أن يبعث إلى حضرته بجانب من النقود بواسطة إحدى البنوكه ، ثم يمتنع توجساً من كون ذلك لايحسن لدى سيدنا ، ومخافة أن يكون السيد بارح باريس إذ نقلنا فى الجوائب نقلا عن جرائد باريس أنه على عزم الإيابة إلى لوندره وإن جزمنا بتحريف النقل ، ولكن ذلك الجزم لم يمنع الخوف المذكور ، حتى ترجح لديه ولدى جانب الإمساك عن الإرسال مع ماهو فيه من اشتغال البال واضطراب الخاطر ، اشتغالاً واضطرابا يكادان أن يدفعا به إلى باريس على غير شعور منه ، لولا أنه مقيد بأمر مولانا من أنه لايبرح إلا بأمره.

ثم هو وإن كان لم يزل مراسيم مولانا إلا أنه أشفق أن يكون السيد فى شاغل ، من حيث إباء الدولة العلية عن قبولنا فى ممالكها الشاهانية وتكليفها لنا بالخروج من بيروت ، على ما فصله أبو تراب ، وربما كان ذلك موجبا لتردد مولانا فى إرسال مراسيمه إلى بيروت لاحتمال انجلائنا عنها ، فرأينا أن نُعَجِّلَ بإحاطة علم مولانا بأننا لم نزل ولا نزال فى بيروت غير متعتعين ولا مزحزحين ، وإن لم يصدر من الدولة ما ينسخ أمرها الأول ، وإنما كنا أرسلنا إلى الحضرة العلية ــ بطريق التلغراف ــ نسترحمها ، ونكشف لها أن الموت ولا الخروج من ظلها ، والهلاك

ولا مبارحة بلاد الإسلام وبمثل ذلك راسلنا مسند الصدارة والباب العالى ، وعززنا ذلك بعريضة طويلة رفعناها إلى والى سوريا ثم سكتوا وسكتنا ، فحسبنا هذا السكوت إجابة ورضاء ، وكأن سياستهم فى ذلك — والله أعلم — أن نكون على ريبة مستديمة فى أمرنا ، فنظل بها فى شغل شاغل عن الإفساد الموهوم فينا ، بحيث لو رأوا منا أدنى شىء مما يتوهمون لعاملونا بمقتضى الأمر الأول الذى لم ينسخوه نسخا صريحا ليكون مدخرا لنا كعصا الزاجر تهديدا وإرهابا.

وعلى ذكر ذلك أقصُّ على سيدى أمرا لاشك عندى فى أن يملأه سرورا ، وهو أن أهل بيروت عند صدور الأمر الأول هاجوا وماجوا نفورا منه واشمئزازا ، وغلت رءوسهم غيرة وحمية ، فتجمهر الوجوه منهم ، وساروا إلى دار الولاية متعاونين على نسخ هذا الأمر ، وإنثاء الوالى عما فعل بأفئدتهم وأفئدة عموم المسلمين من التأثير ، وما عساه يفعل بفؤاد كل مسلم فى الكرة الأرضية ، ولم يبرحوا من عنده حتى رأوه على مشربهم ، ووعدهم بأن يبذل جهده فى نسخه ، ولم يمض غير قليل حتى أوعز إلى بعضهم بأن يسكن روعنا ، ولكن لايسند الخبر إليه ، ففهمنا المقصود واطمأننا فانظر ياسيدى هذه الهمة ، وقسها على همة المصريين ، الذين كانت حكومتهم يوم أخرجت مولانا فى غاية الوجل ونهاية الخوف من حصول ثورة تعم القطر ، وتزعزع أركان البلاد ، حتى حملها هذا الخوف على أن بثت قوة فى البلاد للمحافظة على الراحة — فوق العادة — ونشرت الجواسيس فى سائر الأنحاء التى توهمت انتشار الثورة منها ، وهم أى المصريون لم يكونوا يومها فى شىء مما توهمته الحكومة ، بل كانوا على عكس ذلك ، فبلغ الخوف من قلوبهم أن كانوا يتوارون ويتمارضون فى المنازل ، بل منهم من بادر فى حينه إلى السفر وتغيب حتى انقطعت السيرة وجزم بالأمن فضلا عما كانوا يتظاهرون به من بغض السيد والوقيعة فيه درءًا عن أنفسهم الدنيئة ، وليس ذلك بعجيب على أمة مثل المصريين لبثت كذا وكذا أحقابا تحت ضغط الاستعباد ونير الاستبداد ، حتى تحولت حرارتها إلى برودة ، وتأثرت نفوسها تأثراً أودى بملكاتها الغريزية وأحدث فيها أخلاقا من أضدادها ، رسخت بتوالى الدهور ، فصارت ملكات ثابته يتوارثها عقب عن عقب ، وجيل عن جيل ، فأنى لها بمحو هذه ، وإعادة تلك ، إلا بعد أن يمضى عليهم فى التربية والعلاج مثل ما مضى عليهم

فى الاستعباد والاستبداد ، وهيهات هيهات !.. فهم على هذه الأخلاق يعيشون وعليها يموتون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ما أعظم مصابهم وما أسوأ بختهم أن تركتهم فرنسا تحت ظل إنجلترا ، ونسيت أن إنجلترا هى التى أخرجت نابليون من مصر عنوة ، بعد أن روّى أرضها من دم رجاله ، وخسر فيها ما خسر من ماله ، ومن ياترى للمصريين إذا أقعد فرنسا التخوف من بسمارك عن آخذها بالثأر من إنجلترا ، وعن تدارك سوء سياستها حيث تركت إنجلترا تنفرد بالعمل فى مصر ، غير متذكرة خيانتها ، وهل اكتفت بتونس عوضا عن حقوقها فى وادى النيل البهى الخصيب ، أم بينها وبين إنجلترا اتفاق آخر لم يزل وراء حجاب الخفاء ومهما يكن من أمر فقد لعبت سياسة إنجلترا بسياسة فرنسا ، وساعد الأولى ما حدث من الخلل فى داخلية الثانية ، ولقد كان لحدوث هذا الخلل من التأثير فى قلوب المصريين مالا أظن وقوعه فى قلوب الجمهوريين من أهل فرنسا ، فإن المصريين لايرجون خلوصهم من أسر إنجلترا إلا على يد فرنسا ، وهم إذا كان لابد من استيلاء دولة أجنبية عليهم يفضلون استيلاء فرنسا ولو أماتتهم على استيلاء إنجلترا ولو أحيتهم ، ولذلك تراهم يتوقعون قدومها آناء الليل وأطراف النهار ، حتى إن الإنجليز أجروا يوما من الأيام مناورة لإطفاء ثورة داخلية على فرض حصولها ، فظن المصريون أن فرنسا قد دهمت الإنجليز بخيلها ورجلها ، وخرج الكثير منهم لملاقاة رجالها بالفرح والسرور ، وكثرت القالة ، فمنهم من يقول إنها قادمة من طريق الفيوم ، ومنهم من يقول من طريق القصير وهلم جرا حتى اضطر الإنجليز إلى اتخاذ الوسائل لقطع هذه الأراجيف ، ونشرت الحكومة فى جريدتها ما يكذب ذلك أيضا فتكدر المصريون كدرا شديدا لخلف ظنهم.

وبالجملة فالمصريون فى حنق محرق على الإنجليز ، وإن كانوا إذا انقطع أملهم من فرنسا يؤثرون بقاءها على تمحيض السلطة للخديوى ، كما أنهم فى حنق أشد من ذلك على أبى نظارة ، حيث لم تتحقق إلى الآن نبوة من نبواته ، وإن كانوا لايزالون يتفانون فى الحصول عليه عند وروده ليتروحوا بتلاوة ما فيه ميلا مع أمانيهم ، وإن لم يجزموا بتحققها ، فلأبلغ عمى أبا نظارة بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن سائر المصريين أننا ــ بعد السلام عليه ــ كافرون به ، إذ لم يحن الإيمان بمن لم تثبت نبوته ، وإلا فليأتنا بدليل على صدق تحديه ، فقد سئمنا معاشر

المصريين وآذنت نفوسنا أن تفيض هما وغما ، وكدنا نصدق بحدوث ماحدث فينا من الحركة الأخيرة التي سموها عصيانا ، حتى جاءت الدولة الباغية الطاغية ، وأرغمت أنوفنا بحجتها الداحضة ، وعضدتها فرنسا الحرة بسكوتها ، فأضاعتنا وأضاعت حقوقها ، وماضر فرنسا لو تركتنا نأخذ حريتنا مع حفظنا لمصالحها ، كما أخذت حريتها فيما مضى بمثل ذلك كما يقضى عليها ناموس الإنسان والحرية فهل أشفقت منا على مصالحها ، ووثقت من إنجلترا ، أم ماذا ياترى ؟ وهل لم تحسب لغدر إنجلترا بها حسابا أم حسبت وأعدت لذلك استعدادات تكبح بها شرها وطمعها؟!.. وأين هذا ومتى يظهر ؟!.. لعل الربيع موعدنا بذلك.. اللهم حقق.. ندعو دعاء المضطر الطائش مع استبعادنا لحصول ذلك، نظرا لماهو فى فرنسا من الخلل الذى حدث لمجرد موت رجل واحد ، كأن الله لم يخلق فيها سواه ، على كثرة عدد أهلها وعدد العلماء والأحرار فيها.. وأيم الله لو كنت أنا فرنساويا وشاهدت هذا الخلل لموت رجل واحد لأخذتنى الغيرة على شرف فرنسا أنها بنت رجل تموت بموته ، وأجهدت النفس على جهلها ، فى أن تحل فى الناس محل هذا الرجل ، وأحفظ زمام الأمة الجمهورية كما كان حافظا له ، وإلا فما معنى أمة عظيمة كفرنسا تنحل عرى نظامها لانفراط جوهرة واحدة من عقدها ، ولو كانت تلك الواحدة هى الواسطة.. إن هذا لمن العجب بمكان عظيم ، أو لعل الحكومة هى التى تعمدت أن يبلغ الخلل من البلاد هذا المبلغ لتتخذه عذرا فى تقاعدها عن معارضة إنجلترا فى مصر معارضة فعلية ، حتى لا يلحقها عار من هذا التقاعد فى تاريخ مستقبلها ، إذيقال إنها آثرت الاشتغال بداخليتها عن الاشتغال بالخارجية أخذا بالأحرى ، كما كان الخديوى فى أوائل الثورة يراسل حكمدار السودان أن أهمل أمر المهدى ودعه يستفحل ، ليكون ذلك داعيا إلى حشد الجند الموجود فى مصر ، فتتلاشى قوة عرابى وقد كانت عاقبة هذه السياسة السيئة تغلب المهدى على أكثر نواحى السودان بل يمكننا أن نقول إن السودان خرج من يد الحكومة بالمرة ، ولكن ما أظن فرنسا تفعل هذه السياسة.

(نؤجل باق الحديث إلى رسالة أخرى)

عبدكم

إبراهيم

ويوجد الى جانب توقيعه ذكر اسم خادم جمال الدين الأفغانى وهو (أبو تراب عارف الأفغاني) إشارة إلى أن أباتراب ، كان حاضرا فى الوقت الذى حرر فيه إبراهيم اللقانى هذه الرسالة إلى جمال الدين الأفغانى كما كان حاضرا حين تحرير الرسالة الأولى التى أوردناها قبل هذه الرسالة.

نقد وتعليق :

إن ماورد فى هذا الخطاب عجيب حقا ، لأن إبراهيم اللقانى — وهو مصرى — يهاجم المصريين ، ويصفهم بالجبن والاستكانة والرضا بالظلم والاستعمار والاستبداد ، وتفضيل الخضوع للاستعمار الإنجليزى على حكم الخديوى توفيق.

والأعجب من هذا أن إبراهيم اللقانى يستعدى فرنسا على إنجلترا ، ويدعوها للتدخل فى مصر والحلول محلها فى السيطرة على مصر بحجة أن لها حقوقا فى مصر ، وينبغى عليها أن تسترد هذه الحقوق المغتصبة وأن تدافع عن مصالحها ، ويذكرها بإخراج إنجلترا لنابليون من مصر بعد أن أراق على أرضها دماء رجاله وأضاع أمواله ، ويزعم أن المصريين يفضلون الاستعمار الفرنسى على الاستعمار الإنجليزى مع أنه يشير فى الخطاب نفسه إلى الثورة العرابية التى قامت لتحرير مصر من الاستعمار وعملائه ، مما يدل دلالة واضحة على غيرة المصريين على كرامتهم وسعيهم إلى تحرير بلادهم من الاستعمار فى جميع صوره وأشكاله.

وقد ذاقت مصر من قبل قسوة الاستعمار الفرنسى حين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون الذى دخل الأزهر بخيوله ، وانتهك حرمته ، وكان هذا الفعل الشنيع من جانب نابليون بداية لفشل الحملة الفرنسية ، فقد أعلن المصريون سخطهم على صنيع نابليون فى مظاهرة عنيفة ، فكيف يفضل المصريون الاستعمار الفرنسى على الاستعمار الإنجليزى وهم يعلمون أن الاستعمار بجميع صوره وأوصافه عدو الشعوب والسد الذى يعترض سبيل حريتها واستقلالها وتقدمها

إن إبراهيم اللقانى قد كشف بهذا الخطاب حقيقته وأثبت بنفسه أنه ليس وطنيا مخلصا يحب وطنه ويسعى من أجل تحريره ورفعته ، فلن يقول عميل للاستعمار الفرنسى كلاما للدعاية لهذا الاستعمار خيرا من هذا الكلام.

والأكثر عجبا أن إبراهيم اللقانى قال ماقال عن الاستعمار الفرنسى فى رسالته التى كتبها لأستاذه جمال الدين الأفغانى ، وهو يعلم أن أستاذه كان يهادن الإنجليز ، كما أن اللقانى كتب الرسالة فى حضور أبى تراب خادم أستاذه جمال الدين ، فهل يعنى هذا أن اللقانى كان يعلم أن أستاذه جمال الدين لامانع عنده من أن يهاجم أحد تلاميذه إنجلترا كوسيلة للضغط عليها من طريق غير مباشر ؟!..

ويبدو واضحا الآن . أن جمال الدين وزمرته ساخطون على الخديوى الذى أمر بإخراج جمال الدين من مصر لأن جمال الدين وأعوانه من الماسونية وكان ينبغى على إبراهيم اللقانى وأمثاله أن يدرك أن المصريين مسلمون متمسكون بمبادىء دينهم ، فلا يمكن أن يعترضوا على إخراج زعيم الماسونية ـــ جمال الدين ـــ من بلادهم ولو كان الذى أخرجه الخديوى الذى يكرهونه ، لأن الدفاع عن الدين يتقدم كل شىء .

وهكذا تتضح أهمية هذه الخطابات لأنها وثائق لايتطرق إليها شك تزودنا بكثير من المعلومات اللازمة لدراسة جمال الدين الأفغانى ومعرفة حقيقته معرفة يقينية خدمة للعلم ، لأن إدراك الحقيقة العلمية يعد غاية للدارسين .

وننتقل الآن إلى عرض خطاب آخر من خطابات إبراهيم اللقانى التى أرسلها إلى أستاذه جمال الدين الأفغانى رغبة فى إلقاء مزيد من الأضواء على شخصية جمال الدين لتظهر حقيقته واضحة جلية .

٣ ـــ الخطاب الثالث :

وهو خطاب أرسله إبراهيم اللقانى إلى أستاذه جمال الدين الأفغانى الموجود ـــ حينذاك فى باريس ـــ والخطاب مكتوب باللغة العربية ، ومرسل من بيروت فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٣ ونصه فيما يلى :

[من بيروت فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٣

لو أذن لى سيدى وأستاذى، ورب روحى ومعدل مزاجى ، ومقوم خلائقى ، ومحور خلقتى ومحرر فطرتى أن أبث إليه شكايتى منه أو لو يسمح لى الأدب وكان مكانى فى مجلس مولاى رحبا ، فأشفى بعتبته ما صادق به صدرى ، ومن لى لو أذن السيد أو سمح الأدب بلسان لا يتلعثم ، وذهن لا يتزعزع ، وأنا بين هول

المشتكى منه ، وجبروت المشتكى إليه ، وشدة باعث العتاب ، وجلال المعاتب عليه ، أما والله لقد كان لعبارة سيدنا فى كتابه الأخير إلى أبى تراب من التأثير ما كاد يخسف بى الأرض ، ويدكدك على السماء هولا واضطرابا ، ماكادت تسيل به نفسى ، ويجمد دمى فرقا وانزعاجا ، ماأوشك أن يطير بمشاعرى حيرة واندهاشا ، كان لشكه فى وفائنا وخز فى فؤادنا ، لو علم شدة وقعه لرحمنا من أن يخزنا به وخزا وددت لو أنه أسال ماأسال من دمى على قدمى سيدى ، لينظر ماذا يكتب فى إراقته من دلائل الوفاء وبراهين الولاء ، وخزا لا أسأل السيد دية عليه ، فوق أن يأمر أبا تراب بتشريح ذاك الفؤاد عندما يجهز الوخز عليه ، ليطلع على ما ملأه من الولع والشغف بمحبة مربيه ــ حفظه الله ــ فيعلم وهو العليم الحكيم أنى ما كتبت ولا أكتب إلى جنابه الأقدس إلا إملاء فؤاد هذه صفته ، وذلك شأنه ، ولا يأسف على ما عاناه فى تربيتنا وعلاج نفوسنا من المتاعب والأوصاب ، إذ ليس الذى أصابنى من شكه فى وفائى ، إلا كالذى أصابنى مما إحسست بأن قد نزل به من الأسف عند عروض هذا الشك له ، وهيّن لدى أن أذهب قتيل هذا الشك ، دون أن يورث مولاى أدنى أسف أو كدر . وليت شعرى علام هذا كله ، وقد قلبت ظاهرى وباطنى ، وخبرت سرى وعلانيتى ، وفتشت جسمى وروحى ، وبحثت فى غرائزى وملكاتى ، وجربت غيبتى وشهودى ، فلم أجد إلا ولاء ووفاء وشغفا ووجدا ، وطاعة وامتثالا واتباعا وانقيادا وميلا وانجذابا ، وخضوعا وخشوعا ، وسجودا وركوعا ، كل ذلك للسيد وفى السيد وبالسيد وإلى السيد ومن السيد وعلى السيد ، فلم ولماذا هذا الريب بنا ؟ وعلام اعتمد فى شكه فينا ؟!.. أعلى أننا مصريون ؟!.. (واأسفاه على المصريين بين الأمم) نعم نحن مصريون (وإن لم يكن الولد ابن أبيه ظنا) ولكن ألم نصاحب سيدا ؟ ألم يربنا والدنا ؟!.. ألم يعدنا خلقا جديدا ؟!.. بلى والله .. لقد كشف عن بصائرنا ، وجلا صدأ نفوسنا ، وغسل درن أرواحنا ، وطهر دنس طبائعنا ، وأذهب رجس أخلاقنا ، ومهد لنا سبل الفضائل ، وسدّ دوننا أبواب الرذائل ، وأودعنا روحا هى بضعة من أشعة نوره ، ولا انفكاك للشعاع عن مصدره ــ شرق أو غرب فأى طبع للمصريين أو للعفاريت أو المردة أو للشياطين لايتحول بتلك الربية ، أم أى جبله للبهائم أو الأنعام أو للوحوش لا تتغير بذلك العلاج ، أم أى نفس بشرية أو كلبية أو خنزيرية أو قردية تعاود مرارة الخنا بعد أن ذاقت حلاوة التهذيب ،

ولا أرى السيد — تقدس سره — يتمثل هنا احتجاجا علينا بقول القائل :

نفسٌ عن الحب ما حَادَتْ ومَا غَفَلَتْ   بأيِّ ذَنْبٍ وقَاكَ الله قَدْ قُتِلَتْ

فنحن جماليون فى أى زمان وأى مكان ، وعلى أى حال وأى شكل ، وأى وضع وأى هيئة ، وبأى اعتبار وأى حسبان وأى نظر ، وبالجملة فنحن نحن والسلام .

هذا محصل ما كنت أريد أن أجعله موضوع شكايتى ، وهو باعث عتابى ولم أشْكُ ولم أعاتب رهبة وتأدبا ، وحسبى بعدل السيد منصفا لى منه . أستغفر الله بل لأسأله فوق أن يكشف لى عن وجه الشك لأتوب مما رابه منى ، وماهو فيما أظن إلى ما وقع إلى مسامعه الشريفة عن الشيخ محمد عبده ، فأعتقده صدقا ثم جعل سائر المصريين فى ذلك حكما واحدا ، وسرعان ما يصدق وسرعان مايحكم ، فإن صدق ظنى فها أنا عن ذكر السيد اكشف عن كذب تلك السعاية — كما وعدت — فى الحاشية التى وقعّتها على رسالة لأبى تراب حملها البريد إلى السيد منذ خمسة أيام .

وذلك أن الدهر لما تنقل بنا إلى الرفعة والشأن ، على ما بسطته لمولاى قبل هذا ، كان الشيخ محمد عبده قد صادف لدى رياض باشا قبولا وإعزازا خصوصا بعد أن علم أنه ثمرة من ثمار غرس سيدنا ومربينا ، فصار له وثوق به واعتماد عليه ، بل جعل له حظ من أمره ونهيه ، وحله وعقده ، فجد فى القيام بفرائض هذه المنزلة جدا أشغله عن الناس ، واضطره إلى الإقلال من زيارتهم ، فإن أوقات فراغه كان يقضيها مع الباشا فى مصلحة ومنفعة ، فرمى لذلك بالكبر والتيه ، ثم إذ صدق فى خدمته جعله يميل مع الحق كيفما مال ، ولا يفتدى أغراض الناس بحقوق المصلحة فكان إذا مس أحد من ذلك سوء أو مكروه نسبوه إلى تصدى الشيخ محمد عبده وتعمده أذاهم ، وهو برىء مما نسبوه إليه ولأضرب لذلك مثالا وهو أن سليم النقاش أخذ عند إغارة فرنسا على تونس يروج سياستها ترويجا لاتنحو نحوه جريدة فرنساوية قحة ، حتى أحفظ قلوب جميع المسلمين عليه وحتى رد الكثير منهم اشتراكه وهو لايبالى ، بل لم يزده ذلك إلا خبثا وعنادا ، ومع ذلك فالشيخ محمد لم يعامله بمقتضى قانون المطبوعات من أول وهلة ، بل أخذ يكاتبه من عند نفسه مكاتبة ودادية ، يبذل له النصح فيها ، بتلطيف هذا المشرب ،

خشية أن يضطر إلى إجراء حكم القانون عليه ، ويذكره بما هو من خلقنا وما تألفنا عليه من وحدة المشرب ، والذود عن الشرق وبنيه ، فلم يَرْعَوِ ولم يرتدع ، حتى وقف رياض باشا ذات يوم على جريدته ، وهاله ما رأى فيها ، فاستدعى الشيخ محمد عبده ووبخه على إغماضه عليها ، وكلفه بإنذارها على الفور ففعل فظن سليم نقاش بعد تلك النصائح أن هذا الإنذار بتعمد الشيخ محمد وامتلأ منه غيظا ، وشاركه سعيد البستانى فى تغيظه ، غباوة وجهلا ، فأخذ هذان الشخصان يقعان فى حق هذا المسكين ، ويفتريان عليه القبائح والمساوىء كذبا واختلاقا ، وقد كانت غاية سليم النقاش فى مسلكه فى جريدته على ذلك النحو أن يحصل على حماية فرنساوية ، كما صرح لنا بذلك ، وجعله موضوع تنصله لدى الشيخ محمد أثر الإنذار .

وأضف ياسيدى إلى ما ظنه الناس فى الشيخ محمد من التيه ، ومانسبوه إليه من تعمده أذاهم مالحقهم من الحقد والحسد بسبب تقدمه تقدما جعل الصغير والكبير والعظيم والحقير يهابه ويخشاه ، ويتزلف إليه ويتملق له ، وليس الحسد ممن تقدم وتنقل إلى المنازل العالية تدرجا كالحسد ممن طفر إليها دفعة واحدة ، بل هذا أفعل للغيظ ، وأدعى فى إشعال الأفئدة ، فجميع هذه الأسباب لم تدع للشيخ محمد صديقا أو حبيبا ، إلا بعض من كانت تجمعهم حضرة السيد من المسلمين ، على أن تلك الأسباب لم تسؤه أكثر مما ساءته أفعال أصدقائه من المسيحيين الذين ما كانوا يجدون أذنا صاغية إلا حشوها بغيبته ، ولا مجلسا يفسح لهم فى الحديث إلا ملأوه بالطعن فيه ، ولا إنسانا يعلمون عنه الميل إليه إلا سعوه فيه لديه ، ولقد كانت اليد البيضاء فى جميع هذه الخبائث لأديب أفندى وسعيد البستانى ، حتى إن هذا الأخير أظهر من اللؤم والخبث عند سجن الشيخ محمد عبده مادل على حرمانه من معانى الإنسانية بل ما أشعر بانحطاطه عن درجة البهيمية ، فإنه عوضا عن أن يتمنى النجاة للشيخ محمد ، إذا لم نقل كان يجب السعى فيها ، بل عوضا عن أن تأخذه الرأفة والرحمة عليه ، مما يجعل الأعداء ترثى له فضلا عن الأحباب ، فإنه أبان من القسوة والوحشية والرداءة ما لامزيد عليه ، إذ قدم إلى مجلس التحقيق تقاريراً فى حق الشيخ محمد افترى عليه فيها جملة أمور منها أنه كان يغرى الجند بقتل الخديوى ، فانظر ياسيدى وتعجب ، ومايدرينا لو أن أديبا وسليما كانا

يومئذ بمصر ماذا يكون صنعهما أيضا .

ومن سوء الحظ أن أبا تراب عندما نزل بمصر كنا لم نزل مسجونين ولم يجتمع إلا بسعيد وأحزابه ، فملأوا قلبه نفرة ووحشة من الشيخ محمد ، علما منهم بأنه ينقل ما يسمع إلى السيد ، فينحرف خاطره عن تلميذه ، وذلك غاية في إيذائه ولكن فاتهم أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله ، وأن الحق مهما استتر لابد أن يشق نوره يوما ما حجب الخفاء فينجلى ويتبين ، فتبيض وجوه وتسود وجوه .

أنا قد بسطت لمولاى حقيقة الواقع تخلصا من إثم الإنكار عليه ، ووفاء بحقوق الأخوة التى بينى وبين الشيخ محمد ، وهو والله لم يعلم إلى الآن من جميع ذلك شيئا إلا ما وقف عليه فى عبارة السيد من الشك فى وفاء المصريين ، ولا نلبث إن شاء الله أن يأتينا من قبل سيدنا ما يبشرنا بصفاء خاطره ، ولا يضن علينا بما جاد به على غيرنا ، ونحن أولى بموسى منهم بل أنا لا أرضى من سيدى إلا بأن يستسمحنى ويصالحنى ويسترضينا ويستعطفنى ، وإلا فلا أزال غضبان زعلان أسفا ، فماذا يقول السيد ؟ وهل هو فاعل ذلك أولا ؟!..

طول الحديث فى هذا المقام لم يدع لى مكانا أبين فيه لأستاذنا حال بيروت وأخلاق أهلها وما لاقيناه من إكرام المسلمين ، فلأؤجله إلى وقت آخر ، خاتما حديثى مع السيد بلثم راحتيه وقدميه

غرس فضلكم
إبراهيم

وأنا شاهد على ذلك .
أبو تراب عارف

أنا والشيخ محمد عبده وأبو تراب نهدى حضرة صديقنا القديم محمد بك وهبى أجمل تحية وأكمل تسليم ، ومثل ذلك إلى أبى نظارة

نقد وتعليق :

هذا الخطاب كسابقه يدل على أن إبراهيم اللقانى وغيره من تلاميذ جمال الدين الأفغانى كمحمد عبده ، كانوا يعاملون جمال الدين كما يعامل العبيد سيدهم ، فهم يخشون غضبه ، ويتمنون رضاه ، حتى لو أهانهم ، وحقر من شأنهم وشأن

وطنهم ، فقد صرح جمال الدين فى رسالة له إلى خادمه أبى تراب أنه لايثق فى المصريين ، ورغم ما فى هذه الجملة من إهانة للمصريين فقد فزع إبراهيم اللقانى من هذا الاتهام ، وأخذ يخاطب أستاذه جمال الدين كما يخاطب العبد ربه ولا يستحى أن يصفه بأنه عليم حكيم ، ويذكر الركوع والسجود فى مقام طلب العفو والغفران من سيده جمال الدين .

كما ورد فى الخطاب ما يسىء إلى الشيخ محمد عبده وموقفه المتخاذل أمام سليم النقاش الصحفى ، الذى أخذ يمجد فرنسا لاحتلالها تونس فكانت جريدته أكثر ممالأة لفرنسا من الجرائد الفرنسية نفسها ، حتى إن رياض باشا كان أكثر غيرة على العروبة والشرق من الشيخ محمد عبده ، فلما علم بعمالة سليم النقاش لفرنسا طلب من الشيخ محمد عبده أن يوجه إليه إنذارا .

والواقع أن هذا الخطاب ــ مثله مثل سائر الخطابات الموجهة إلى جمال الدين من تلاميذه وأصدقائه من المصريين ــ دليل على مدى قوة شخصية جمال الدين وشدة تأثيره على المتصلين به من المصريين ، وهو تأثير قوى يكفى لتوجيه هؤلاء التلاميذ والأصدقاء الوجهة التى يريدها جمال الدين ، وإقناعهم بالرأى الذى يعلنه وينادى به .

وواضح أن الخديوى توفيق كان مكروها من تلاميذ جمال الدين وأصدقائه ، لأنه أمر بإخراج جمال الدين من مصر ، فسخط عليه جمال الدين مما جعل تلاميذه وأصدقاءه يسخطون عليه ويكرهونه ، ويذكرونه بالسوء .

والعجيب أن إبراهيم اللقانى يعيب على سليم النقاش عمالته لفرنسا ودفاعه عن احتلالها تونس ، بينما هو فى الخطاب السابق يطالب فرنسا بالتدخل فى مصر للدفاع عن حقوقها ومصالحها فيها ، ومن لاغيرة له على وطنه كيف يغار على بلاد غير بلاده ؟!..

ولا شك فى أن هذا الخطاب ــ كغيره من الخطابات ــ يغير نظرة الدارسين إلى كثير من الأمور التى تتعلق بجمال الدين وتلاميذه وأصدقائه ، وتلقى أضواء كاشفة على حقيقة هذه الشخصيات التى اشتهر أصحابها وكان لهم شأن وذكر فى تاريخ مصر الحديث وفى الحركات التحررية التى ظهرت فيها ، وكانت أولاها

الحركة التى قادها عرابى ، ولكنها باءت بالفشل الذريع وأدت إلى تقدم الإنجليز لاحتلال مصر وعملهم الدائب لإخماد كل صوت يطالب بالحرية والاستقلال فى ربوعها.

ونعرض فيما يلى خطابا مرسلا إلى جمال الدين الأفغانى من أديب إسحق حتى تزداد حقيقة جمال الدين وضوحا ، وتزول كل شبهة حول حقيقته.. والله الموفق.

رابعا : خطاب من أديب إسحق :

وهذا خطاب أرسله أديب اسحق إلى جمال الدين فى باريس ، وقد أرسله من بيروت فى ١٥ مارس ١٨٨٣ .. وهو مكتوب بالعربية ونصه كالتالى :

[بيروت فى ١٥ آذار سنة ٨٣

سيدى الأستاذ الأعظم ،

لئن كان لأدوار الزمان قضاء نافذ فى الناس ، فلقد صان الكمال أنفس آحاد الرجال عنه ، فما تنفعل بالحادثات ، ولا تؤثر فيها التقلبات ، بل هى فى مقام التجرد الذى تستوى فيه مظاهر عبث الأيام بأبناء الزمان ، والسيد لازال حجة هذا القول ، ماترك فضيلة ولاقعد عن مكرمة ، ولا ضن بمنفعة ، ولكن قضاء الزمان الذى لم يؤثر فيه ، قد كان نافذا فى مريديه ، فما أطاقوا الخير معروضا من جانبه ، ولا ذادوا الشر طارئا من جانب الأحداث ، وهكذا وقع من بعضهم الإهمال فى مكاتبة من راسلهم عن السيد من أمراء الهند ، فانقطعت أخباره عن سائرهم إلى هذه الأيام ، فعسى أن يعوضهم المستقبل مما أضاعوه خيرا ، فيجد الأستاذ تحت سماء الحرية مستقرا طيبا أمينا ، فلا تحتجب بعد ذلك أنوار أفكاره عن البصائر ، وإن احتجب ضياء وجهه عن الأبصار .

وقد حمل البصير إلينا مفتتح مقالة السيد فى الشرق والشرقيين ، فكانت مقدمتها غذاء للألباب ، وما بها مهمازا للعزائم ، ولا تزال الأنفس مشتاقة إلى البقية اشتياق الظماء إلى بارد الماء ، فالمأمول من كرم السيد أن يرسل إلى ما طبع منها ومن سواها فى البصير وغيرها من جرائد لندره وباريس جملة ، فتلك أمنية للعاجز فيها شركاء كثيرون ممن عرفوا السيد بالخبر أو بالأثر .

ولست أذكر للأستاذ شيئا مما لدىّ من أخبار مصر العمومية فإنها تصل باريس قبل ورودها إلينا ، بل قبل شيوعها فى مصر ، ولكنى أحسبه مشتاقا إلى الأخبار الخصوصية ، عن بعض الأصدقاء فهذه أعرف منها أن عبد السلام بك على أحسن حال من السلامة والعافية ، على أنه منقطع فى منزله اجتنابا للشبهات إلا عن بعض الأخصاء ، وأن سليم أفندى النقاش سار إلى مصر بإذن حكومتها على أن يصرف أموره وأشغاله ثم يعود ، فهو الآن هناك يستمنح رجال تلك الحكومة عوضا ماليا مما لحق به من الخسارة ، بسبب تعطيل مطبعته وجريدته بلا موجب معلوم ، وأن سعيداً البستانى عزل إثر الفتنة ثم أعيد إلى الخدمة بمثل الراتب الذى كان له من قبل ، وهو الآن على حد قول القائل :

وخمول ذكرك فى الحياة سلامة

أما أبو تراب فقد أبلغت إليه وعد السيد باستقدامه إلى باريس عن قريب ، فكاد يطير بذلك سرورا ، وهو مقيم هاهنا على الدعة والراحة ، يترصد معنا الأخبار وبعد الأيام ، ويستبطىء البريد ، فعسى أن تجيئنا كتب السيد بما نتوقع ، ولابأس فى تعليلنا بالأمانى فما الحياة إلا الأمل ، وله فى تحقيقه رأيه العالى المؤيد وأمره الكريم المطاع .. ومنى على حضرته السلام بالإجلال والإعظام .

الخادم المطيع
أديب إسحق

نقد وتعليق :

هذا الخطاب يبين — كالخطابات السابقة — أن جمال الدين شخصية جليلة القدر يخطب الجميع ودها ، فأسلوب الخطاب يفيض بالتعظيم لجمال الدين ، وذكره بأوصاف تظهر علو شأنه ، وشدة تأثيره فى جميع المتصلين به ، حتى خادمه أبو تراب اكتسب مهابة لصلته بسيده جمال الدين ، فذكر فى هذا الخطاب وفى الخطابات السابقة بما يدل على أنه ند لإبراهيم اللقانى ومحمد عبده وأديب إسحق وغيرهم من تلاميذ جمال الدين وأصحابه ، ويبدو أنه كان عين جمال الدين فى مصر على هؤلاء التلاميذ والمريدين ، مما جعله شخصه مهابا يحاول الجميع كسب وده ، حتى لايكتب عنهم شيئا يغير رأى جمال الدين فيهم .

ومهما يكن من الشيء فإن هذه الخطابات من الوثائق الجديرة بالدراسة المتفحصة لأن ما فيها من معلومات تلقى ضوءا كاشفا على شخصية جمال الدين والذين اتصلوا به من التلاميذ والأصدقاء والمريدين مما يساعد على فهم حقيقة جمال الدين فهما صحيحا.

ونعرض الآن خطابا آخر لإسماعيل جودت ، حتى تزداد الرؤية وضوحا بعون من الله الهادى إلى سواء السبيل .

خامسا : خطاب من إسماعيل جودت :

هذا خطاب مرسل من إسماعيل جودت إلى جمال الدين الأفغانى فى باريس ، وهو مكتوب باللغة العربية فى الأستانة فى يوم الاثنين ٢٧ أبريل سنة ١٨٨٥ ونصه كالتالى :

[الأستانه العلية يوم الاثنين ٢٧ أبريل سنة ٨٥

سيدى ومولاى صاحب الهمة العلية .. سليل الحضرة النبوية حضرة السيد جمال الدين أبقاه الله للإسلام

بعد تقبيل أياديكم الشريفة أحيط علمكم الشريف ومقامكم العالى المنيف أنه قد ورد لنا رقيمكم المؤرخ ١٦ الجارى ، وبعد حمد الله على صحتكم توجهنا إلى سراى يلدز يوم السبت الأخير ، وعرضنا الجواب على الحضرة الشاهانية بواسطة سعادتلو الحاج محمود أفندى أمين أسرارها الخصوصية وبعد ساعة رجع إلينا وتداول معنا فى موضوع أفكاركم العالية وما يترتب من المصلحة على اتباعها ، وبعد ساعتين فى محاورة ومداولة كانت نتيجة القول أن أكون أنا الواسطة بينكم فى المكاتبة مع بقائكم فى باريس الآن لحين سنوح الفرصة لحين حضوركم ، لأن مجيئكم الآن يترتب عليه حصول الشبهة السياسية ، وأمرت أن أستفهم من سيادتكم عن بعض جمل من جوابكم منها قولكم :

(إن الرجل فى لندره يضيع كل يوم فرصة لاينالها الطالب ولو بعد قرن وهو يظن أنه يحسن صنعا)

ومن حيث إن جميع ما يجريه بمقتضى تعليمات صادرة إليه من هذا الطرف

فنرجوكم أن توضحوا ما تعلمونه فى ذلك تفصيلا ، فإنه إما أن تكون أعماله مخالفة للتعليمات التى ترد إليه أو أن ذات التعليمات مضيعة للفرصة بنفسها ، لتدارك الأمر ، ومنها قولكم :

(إن وقت العلاقة مع إمارة الأفغان قد حان)

فنحن وإن كنا أثبتنا لهم إمكانكم الحصول على هذه الغاية ، التى لا يمكن لغيركم التوفيق فيها لمناسبات شتى ، منها نسبكم الشريف ، وجنسيتكم وقوة جاه أقاربكم ، وشهرة أعمالكم فى العالم الإسلامى ، وحصولكم على مبادىء الغايات المطلوبة ، إلا أنه يرجى من سيادتكم توضيح الطرق اللازمة للحصول على هذا الأمر ، فإن كلا الخصمين يريد التقرب إلينا ، وسياسة الأفغان يظهر منها التردد بين الطرفين ، فالإقدام على طلب مخالفتها مع الجهل بحقيقة سياستها وميلها إلى أحد الطرفين ليس من باب الحكمة . بناء على هذا نرجو أن ترسلوا لنا أفكاركم فى هذا الخصوص تفصيلا ، وفيما ينبغى إجراؤه فى هذه المسائل وما تعلمونه من حقيقة سياسة الأفغان مع مراعاة أول كل شىء لزوم حيادة الدول حيادة تامة ، وكيفية الطرق المقتضى إجراؤها فى منفعة حال الدولة والإسلام فى الأحوال الحاضرة ، فقد تثبت لهم قوة عزيمتكم فى خدمة الإسلام ، وصداقتكم فى نصيحة الدولة أما مسألة أخينا إبراهيم بك ، فقد قالوا عنها إنه صار العفو عنه لما ظهر لهم من صداقته الباطنية للدولة ، ولا يهمهم الشغل الذى هو فيه ، لأنه يختص بهم ، وهم أدرى به ، فله أن يحضر ، وعند حضوره يستخدمونه فيما يليق له ، إما بأن يطلعهم على بعض ما فيه منفعة واحتراس من دسائس الغير أو ينتفعون بقوة فكره ، وبلاغة إنشائه ، وإن لم يوجد عنده شىء من ذلك ، ولم يكن له احتياج ، فيعيش فى عموم الممالك الإسلامية خير له من الإقامة فى البلاد الإفرنجية ، وعلى كل حال أولى لمن كان مثله فى براعة الإنشاء أن يكون فى معية مولانا أمير المؤمنين ، وقد كتب له ولده حضرة محمد بك بذلك تفصيلا والسلام ،

محسوبكم

إسماعيل جودت

يقبل يديك

محمد

نقد وتعليق :

هذا الخطاب يدل على أن جمال الدين الأفغانى كان يحاول وهو يقيم فى باريس أن يقوم بأعمال تهم الدولة العثمانية ، فحاول عن طريق إسماعيل جودت أحد المتصلين بالسلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين أن ينجز أعمالا فى لندن ، بحكم صلاته الطيبة بالإنجليز وزعماء حزب المحافظين البريطانى التى تحدثنا عنها فيما سبق .

كما حاول أن يقوم بأعمال فى بلاد الأفغان لصالح الدولة العثمانية ، مستعينا فى ذلك بالإنجليز الذين كان لهم نفوذ قوى فى أفغانستان فى ذلك الوقت .

وواضح من الخطاب أن إسماعيل جودت كان يظن أن جمال الدين أفغانى الأصل وأن أسرته معروفة ذات نفوذ فى بلاد الأفغان ، وقد بينا فى الجزء الأول من هذا الكتاب ــ أن جمال الدين لم يذكر اسم واحد من أفراد أسرته فى أفغانستان وأن السلطان العثمانى تأكد فى النهاية من أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، وكان كشف حقيقته للسلطان العثمانى سببا فى وضع نهاية لحياة جمال الدين ــ كما وضحنا فى الجزء الأول ــ فلا عبرة بما ورد فى خطاب إسماعيل جودت عن أصل جمال الدين .

كما ظهر من الخطاب أن جمال الدين له من التقدير فى الدولة العثمانية ما يستطيع أن يتوسط لرجل مثل إبراهيم بك ، الذى ورد ذكره فى الخطاب ، بحيث تُقبل وساطته ويسمح للرجل بالإقامة فى ممتلكات الدولة العثمانية على اتساعها .

سادسا : الجانب العاطفى فى حياة جمال الدين :

وتتضمن الوثائق التى ننشرها فى هذا الجزء ثلاثة خطابات مرسلة من آنا بلانت ، وهى إنجليزية ، ذكرت الوثائق أنها كانت معشوقة جمال الدين .

وقد ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب أن جمال الدين لم يتزوج ، وعلل انصرافه عن الزواج ، بأن انشغاله بدعوته الإصلاحية ــ التى كانت تهدف إلى توحيد صفوف المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى المختلفة ــ لم يترك له وقتاً لإقامة أسرة وممارسة حياة زوجية ، وتحمل عبء أفراد أسرة خاصة به .

ولهذا فإن وجود هذه الرسائل العاطفية إلى جانب صورة المعشوقة من الأمور الطريفة ، لأنها تكشف جانبا عاطفيا من جوانب شخصية جمال الدين المتعددة .

ونحن نوضح هذا الجانب حتى لا يظل جانب من جوانب هذه الشخصية العالمية المشهورة خافيا مجهولا للدارسين .

ومن الطريف كذلك أن هذه الخطابات التى أرسلتها المعشوقة آنا بلانت مكتوبة باللغة العربية التى يبدو أن المعشوقة تعلمتها ، لأن أسلوب الخطابات ركيك مكتوب بلسان أعجمى غير متمكن فى اللغة العربية ونحن ننشر نصها فيما يلى ، مع نشر صور الخطابات بخط كاتبتها مزيدا للفائدة ، وحتى تكون الدراسة مدعمة بالوثائق.. والله الموفق .

١ ــ الخطاب الأول : ونصه كالتالى :

[إلى صديقنا العزيز حضرة السيد جمال الدين الحسينى حفظه الله بعد السلام.. أن أخبركم.. من طرف قريني أن حصل مفاوضة فى معنى ما تكلمنا عنه وبعض تحريرات .. والحكومة لا قبلت الأعراض تقدم لها ولا امتنعت قطعا ..أما فى المكاتبة الأخيرة التى وردت إلينا من طرف مستر غلاد سطون قيل هكذا ــ إنه من الممكن حصول اتفاق على إرسال مُرسَل الذى يعطى له ورقة أمان حتى يذهب إلى الخرطوم ويخبر المهدى بالتعليمات التى أمر بها اللورد ولسلى ، وإنما كما يأتى (يجب على لورد ولسلى يبعث إلى الحكومة فى الحال أيا كان بلغة من المعروضات من طرف المهدى) ــ وأنا على هذا رَدَّيتْ جوابا ــ إننى سأخبر حضرتكم بقولهم ، وإنما حسب رأيى لابد أن يظهر لكم غير كافيا [1]منه ذلك ــ أظن أن الحكومة تريد مفاوضات فى الصلح ، وأنها تريد أيضا أن لايكشف مرادها للناس ــ ولو حصل اتفاق على إرسال مرسل يكون المرسل من أتعينه ، وأردت

---

(١) الصواب كافٍ والرسالة ــ كما قلت ــ ركيكة الأسلوب واضحة الدلالة على أن كاتبتها أعجمية وقد أثبتها كما هى مع ذكر الأخطاء النحوية فحسب .

أسأل أفكاركم على من أحسن هل إبراهيم أوعبده[1] أو غيرهم ودمتم فى حفظه تعالى

والســلام ختــام

المحبة المخلصة

عانا بلونت

٢ ـ الخطاب الثانى : ونصه كالتالى :

Crabbet Park
Threebri dges
Sussex

إلى صديقنا العزيز السيد جمال الدين الحسينى حفظه الله بعد السلام .. وصل جواب من صديقكم ملكوم خان ويقول فيه إنه جدا فرحان على ملاقاتكم .. وأن تفضلوا وتوجهوا إلى بيته غدا يوم السبت ساعة ١١ .. وبيته 80 Holland park

ونحن نسافر من هنا مع القطر فى الساعة ٨ غدا ووصولنا فى 10 James sc فى الساعة (نحو) ١٠

والســـلام .

المحبة المخلصة

عانا بلونت

١٥ أوغست ١٨٨٥

٣ ـ الخطاب الثالث : ونصه كالتالى :

إلى حضرة صديقنا العزيز المحترم الفاضل الأمير جمال الدين الحسينى حفظه الله

بعد السلام هذه ترجمة جواب الوزراء.

(مضمون) أنهم لايقبلون امتياز[2]بين مسألة مصر ومسألة السودان ، فأن حسب ظنهم تدل وحدة المسألة على أن يتعاسر عليهم المكاتبة مع مستر بلونت.

ومع ذلك أشاروا على عدم ورود التماس إليهم أو طلبة ورقة أمان من طرف أحد من وكلاء المهدى للمرور إليه بين عساكر الإنجليزى بقصد تسليم إليه

(١) لعلها تقصد بإبراهيم إبراهيم اللقانى ، وبعبده الشيخ محمد عبده وهما من تلاميذ جمال الدين المقربين

(٢) خطأ والصواب امتيازا والمقصود تفضيل مسألة على الأخرى .

رسالة ــ هذا وقيل أيضا أنهم (الوزراء) لا يقولون وعسى أنهم لا يعرفون أى جواب يردون لو بلغهم الطلبة المذكورة آنفا.

ويا صديقنا العزيز ماذا ينبغى أن يُفعَل فى الأمر ومنى ومن قرينى ألف سلام.

المحبة المخلصة

عانا بلونت

٢٢ أبريل ١٨٨٥

نقد وتعليق :

هذه الخطابات الثلاثة تكشف بوضوح أن جمال الدين كان يقوم بدور سياسى فى أثناء وجوده فى لندن وأنه كان يستعين بسيدة إنجليزية هى آنا بلانت وكانت زوجة أحد المسئولين الإنجليز لإبلاغ ما يريده إلى الحكومة الإنجليزية وتلقى الرد ، وكانت هذه السيدة ترسل الرد فى صورة خطاب موجه منها إلى جمال الدين وتوقع فى نهايته بالمحبة والمخلصة آنا بلانت.

ولعلها تقصد بالمحبة الصديقة لأنه واضح من خطاباتها أنها ليست متمكنه فى اللغة العربية فمن المستبعد أن تكون هناك علاقة بين جمال الدين وبين السيدة المذكورة ، اللهم إلا علاقة العمل التى تجعلهما يتعاونان فى حل بعض المشاكل السياسية التى تهم الحكومة الإنجليزية كمشكلة السودان ، والاستعانة بجمال الدين الأفغانى فى حل هذه المشكلة ، لأن جمال الدين كان يستطيع بصورته التى يظهر بها كداعية إسلامى وبصِلَتِه الطيبة بالإنجليز أن يقوم بدور الوساطة بمهارة.

وفى الخطاب الثانى إشارة إلى ملكوم خان وهو رجل أرمني إيرانى الجنسية كان يتولى الوزارة فى إيران فى ذلك الوقت ، وكان على علاقة طيبة بالإنجليز ولهذا أظهر سروره بلقائه بجمال الدين ، لأن له نفس الاتجاه فى علاقته مع الإنجليز.

ونحن نرجح أن جمال الدين لم تكن له علاقة عاطفية مع السيدة آنا بلانت وأن علاقته بها كانت علاقة عمل ، غير أن خطاباتها أكدت صلة جمال الدين بالإنجليز حتى لو فُسِّر هذه الصلة بأنها من أجل مصلحة المسلمين فى مصر أو السودان أو الدول الإسلامية المختلفة.

وهناك خطاب بعد الخطابات المذكورة ، ذكر من نشر هذه الوثائق ــ وهو أستاذ إيرانى متعاطف مع جمال الدين ــ أنه مرسل إليه من معشوقته الفرنسية ولكنه لم يذكر اسم المعشوقة الفرنسية ، وإن كان قد نشر صورتين لها .

والخطاب باللغة الفرنسية وهو غير واضح ، ونحن ننشر صورة له مع صورتين لكاتبته .

ومهما يكن ما تضمنه هذا الخطاب فإنه دليل على أن جمال الدين كانت له علاقات عاطفية فى أثناء إقامته فى أوربا ، ولعلها كانت نوعا من التعويض له عن عدم زواجه ، وعن حياة الوحدة التى كان يحياها مشغولا بالفكر السياسى .

ومهما يكن من أمر هذه العلاقات العاطفية فإنها ــ على كل حال ــ لاتليق برجل مثل جمال الدين كان يرتدى ثوب العالم الديني والداعية الإسلامى العامل على توحيد جهاد شعوب الدول الإسلامية والأخذ بأيدى المسلمين ، وإرشادهم إلى طريق التحرر والوحدة والرق والازدهار .

ولهذا فإننا نأخذ عليه هذه العلاقات أيا كان نوعها ، ومهما تكن حقيقتها

سابعاً : خطاب من طائفة البابية :

وتضم الوثائق خطابا من عباس البابى داعية طائفة البابية الذى كان مقيما فى عكا بفلسطين فى ذلك الوقت والخطاب مكتوب باللغة العربية ونصه كالتالى :

[إلى حضرة الفاضل المحترم الجهبز الفهام الشهير جمال الملة والدين أيد الله برنامجه

لقد تلوت مقالتكم الروية الغراء فى جريدة مصر النوراء على بعض الجرائد الإنكليزية ، فوجدت أجوبتكم مطابقة للحق الواقع ، وبيانكم مؤيد [1] بالبرهان الساطع ، ثم وقعت فى يدى رسالة من تأليف مدحت باشا ، مضامينها مؤيدة

---

(١) الصواب مؤيدا .

ومصدقة لتلك المقالة الصحيحة العظمى.

لذا أحببت تقديمها لجنابكم

والله مؤيد كل حق بالحجج والبرهان

الداعى البابى

المسجون فى عكا

عباس

نقد وتعليق :

هذا الخطاب ــ على إيجازه ــ كاف للدلالة على أن جمال الدين كان شخصيا معروفة مشهورة حتى إن الداعى البابى المقيم فى عكا راسله ، مع ماهو معروف عن البابية ــ فى ذلك الوقت ــ من علاقات سيئة مع العالم الإسلامى ، لأن زعيمهم محمد على الشيرازى الملقب بالباب كان قد أعدم رميا بالرصاص فى إيران بعد انكشاف أمره وافتضاح حقيقته ، وثبوت كذبه عند الشيعة فى إيران ، مما أدى إلى القبض عليه وسجنه ثم محاكمته والحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص ، وتنفيذ الحكم فيه.

وبعد موته تفرق أتباعه ، وتفرعت البهائية من البابية ، واتخذت مدينة عكا مقرا لها وفى هذه المدينة قبر بهاء الله الذى تنسب إليه البهائية [1].

فتفكير الداعى البابى فى عكا فى مراسلة جمال الدين وتزويده برسالة لمدحت باشا تتفق مع أفكاره من الأمور التى تثبت أن نشاط جمال الدين كان واضحا ، يتابعه الناس فى أنحاء العالم المختلفة من المسلمين والمنتسبين إلى الإسلام وغير المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض .

وكل هذه أدلة على أن شهرة جمال الدين المعروف بالأفغانى كانت قد طبقت الآفاق فى ذلك الوقت.

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب إيران ماضيها وحاضرها لعبد النعيم حسنين للحصول على تفصيلات كافية عن هذا الموضوع .

ثامناً : خطابات الشيخ محمد عبده :

وتضم الوثائق التى ننشرها فى هذا الجزء الثانى من كتاب « حقيقة جمال الدين الأفغانى » خطابين مرسلين من الشيخ محمد عبده إلى جمال الدين الأفغانى الذى كان أستاذه.

وكان الشيخ محمد عبده من المريدين المحبين المخلصين لجمال الدين.

وسنعرض هذين الخطابين مع صورتيهما ثم نعلق على ما جاء فيهما، حتى تظهر الحقيقة واضحة لا لبس فيها ولا غموض بتوفيق من الله الحكيم الخبير.

١ ـ الخطاب الأول : ونصه كالتالى :

(مولاى المعظم حفظه الله وأيد مقاصده ليتنى كنت أعلم ما أكتب إليك، وأنت تعلم ما فى نفسى كما تعلم ما نفسك، صنعتنا بيديك، وأفضت على فؤادنا صورها الكمالية، وأنشأتها فى أحسن تقويم، فبك عرفنا أنفسنا، وبك عرفناك وبك عرفنا العالم أجمعين، فعلمك بنا ـ كما لايخفاك ـ أعلم من طريق الموجب، وهو علمك بذاتك وثقتك بقدرتك وإرادتك فعنك صدرنا وإليك إليك المآب.

أوتيتُ من لدُنك حكمة أقلب بها القلوب وأعقل العقول، وأتصرف بها فى خواطر النفوس، ومنحت منك عزمة أتتبع بها الثوابت، وأذل بها شوامخ الصعاب، وأصدع بها صم المشاكل، وأثبت بها فى الحق للحق، حتى يرضى الحق، وكنت أظن قدرتى بقدرتك غير محدودة، ومكنتى لا مبتوتة ولا مقدودة، فإذا أنا من الأيام كل يوم فى شأن جديد.. تناولت القلم لأقدم لك من روحى ما أنت به أعلم، فلم أجد فى نفسى سوى الأفكل والقلب الأشل، واليد المرتعشة، والفرائص المرتعدة، والفكر الذاهب، والعقل الغائب، كأنك يامولاى منحتنى نوع القدرة، وللدلالة على قوة سلطانك حصرته فى الأفراد. فاستثنيت منه ما يتعلق بالخطاب معك، والتقدم إلى مقامك الجليل هذا، مع أننى منك فى ثلاث أرواح، لو حلت إحداها فى العالم بأسره وكان جمادا لحال إنسانا كاملا، فصورتك الظاهرة تجلت فى قوتى الخيالية، وامتد سلطانها على حسنى المشترك، وهى رسم الشهامة، وشبح الحكمة، وهيكل الكمال، فإليها ردت جميع محسوساتى، وفيها فنيت مجامع مشهوداتى، وروح حكمتك التى أحييت بها

مواتنا ، وأنرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التي بطنت بها فينا فظهرت في أشخاصنا ، فكنا أعدادك وأنت الواحد ، وغيبك وأنت الشاهد ، ورسمك الفوتوغرافي الذي أقمته في قبلة صلاتي رقيبا على ما أقدم من أعمالي ، ومسيطر على في أحوالي ، وما تحركت حركة ولا تكلمت كلمة ، ولا مضيت إلى غاية ولا انثنيت عن نهاية حتى تطابق في عملي أحكام أرواحك ، وهي ثلاثة ، فمضيت على حكمها سعيا في الخير ، وإعلاء لكلمة الحق ، وتأييدا لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة ولست في ذلك إلا آلة لتنفيذ الرأى المثلث ، ومالى من ذاتى إرادة حتى ينقلب مربعا .

غير أن قواى الغالية تخلت عنى في مكاتبتي إليك وخلت بيني وبين نفسى التزاما لحكم أن المعلول لا يعول على علته بالتأثير ، على أن ما يكون إلى المولى من رقائم عبده ليس إلا نوعا من التفرع والابتهال ، لا أحسب فيه ما يكشف خفاء ، أو يزيد جاها به ، ومع ذلك فإني لأتوسل إليك في العفو عما تجد من قلق العبارة ، وماترى مما يخالف مني البلاغة ، بشفيع أقوى من رحمتك بالضعفاء ، وحنوك نفلوك في حياء ، إني لأحدثك يامولاى عن شيء مما أصابنا بعد فراقك ، فقد تكفل به أخى في حبكم إبراهيم أفندى اللقانى سوى ما تركه في كتابه من انقلاب بعض القلوب من خاصتك ، وتحول أحوالهم بعد نزول ما نزل بك ، فقد تغلب أعوان الشر وأنصار السوء عقب جلائك بقوة جاههم وشدة بأسهم ، فأرغموا العقول على الاعتقاد بالمحال ، وألجأوها للتصديق بما لايقال ، حتى إنهم غيروا قلب دولتو[1] رياض باشا عليك وعلى تلامذتك الصادقين أياما معدودة ، ركن فيها إلى العمل بالشدة ، والأخذ ببادرة الحدة ، ولم يلبث أن وصلتُ إليه بعد ما كانوا حجروا علىّ في بلدى ، وحظروا على الدخول في المدن نحو أربعة أشهر ، ففى أول اتصالى برياض باشا ، جلوت عليه الأمر وكشفت له من الحقيقة ما خفى ، حتى زال مالبَّسَ المبطلون ، وبطل كيدهم وما كانوا يعملون ، ونزلت عنده منزلة حسدنى عليها الكافة من العلماء والأمراء ورجال الحكومة ، بل وكثير ممن كان يدعى الانتماء إلى حضرة مولانا المعظم ، وقعدت من كل أمير مَصْعَد النفس ، فلا بنطق إلا بما تريد حكمتك ولا يعمل إلا بما تشاء إرادتك فكأنك وحقك كنت

(١) لقب تركى الأصل معناه صاحب الدولة .

وأنت فى الهند بين أظهر المصريين ، ساعيا فيهم إلى مقاصدك العالية ، طالبا بهم أمن السعادة ، وذروة المجد والفخار .

وهكذا ضممتُ إلى كل من كان ينتسب إليك صادقا فى الانتساب أو كاذبا تحسينا للظن وإيثاراً لجانب العفو والكرم لهذا الثانى ، لم أتأخر عن مساعدة الأدنياء أديب إسحق وسليم النقاش وسعيد البوستانى والهلباوى ومشاكلهم من اللئام ، فأصلحت لهم القلوب ، وفسحت لهم من الصدور ، وفتحت عليهم أبواب التقدم إلى المنافع العزيزة (لكنهم لم يرعوا عهدا ولم يحفظوا ودا ، ولا حاجة لى الآن إلى إيضاح ما صدر منهم خيانة ولؤما فإن مولاى أعلم بمسيحيي الشوام وجميعهم مع بعض المصريين من اصطبل واحد)

وألَفْتُ لحبك ممن حرم الشرف بلقائك قبيلا ليس بالقليل ، يجلون قدرك ،ويعرفون لك فضلك ، وكنا وإخواننا من المكانة فى قلوب الناس ، كما شرح لك إبراهيم أفندى ولكن هذا لم يلهنى عن طلب الانتقام لك ، والأخذ بثأرك من الوغد اللئيم ، والفدم اللطيم وكدت أصل إلى البغية مما قصدت من طريق مألوف ومذهب معروف وغير معروف لولا غَلَبَنا على الأمر قطاع الخير اللابسين ثياب الأنبياء ، السالكين مناهج الجبارين ، اللافظين لُفَاظات العلماء ، المتبطنين طباع الجاهلين ، انتحلوا طريقتنا فى الدعوة إلى الحرية وتمكنوا بقوة السيف وضعف الحكومة من إقناع العامة بكونهم دعاة الحق ، وحماة القانون وهم رسل الفوضى وجرذان النظام ، وكانوا فى أول أمرهم ، أشد الناس تعصبا عليك وعلى تلامذتك ، واشتد معهم فى التعصب أولئك الأنذال الذين قدمنا ذكرهم ، عندما رأوا بعض رجال الحكومة يميل إلى أهوائهم ، ويمدهم فى بعض غيِّهم ، غير أن مدتهم فى العناد كانت قصيرة ، ولم يمض إلا القليل حتى فحصنا من قلوبهم ، وجلونا من بصائرهم فكادوا يشمون ضياء الحق ، لولا أن أحاطت بهم ظلمات الغرور والغى ، ومع هذا فكنا نستعملهم لما تريد ونديرهم كالآلات لغاية ما نحب بقدر الإمكان والاستطاعة ، إلى أن غلبت عناصر الفساد ، وعم الاختلال ،فطلبنا بأولئك الثائرين أن تخلص البلاد من الشقاء ، ويُنْقَذ العباد من طول العناء ، ورجونا تأييدهم على ذلك من سكان الأرض والسماء ، وكنا ندرك به خلاصا حسنا وانتقاما شريفا لكن سوء البخت كان أحمد عرابى على ما وصف الصابى أبا

تغلب بن حمدان ، عندما قاتله عز الدولة ابن معز الدولة وهزمه ، حيث قال فيه إنه لم يلق لقاء الباطع بالطاعة ، المعتذر من سالف التفريط والإضاعة ، ولا لقاء المصدق فى دعواه فى الاستقلال بالمقارعة ، المتحف لزعمه فى الثبات للمدافعة ، ولا كان فى هذين الأمرين بالبر التقى ولا الفاجر القوى ، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره ، وفضيحة جبنه وخوره ، قد ذهب عنه الرشاد وضربت وبينه الأسداد) ا ـــ هـ .

وأزيد على ذلك مع توفر الأسباب ، وتفتح الأبواب ، وظهور الأمر للعيان ، وانجلائه لأذهان الصبيان ، واجتماع جميع القلوب عليه ، ونزوع الأهواء على اختلافها إليه ، فكان ما كان من العاقبة السوآى ، ولسير خادمكم فى تلك الحوادث نبأ طويل ، إذا أردت يا مولاى أن أقدم لك به تاريخا مختصرا ربما يكون مفيدا ، فأنا رهين الإشارة.

ونحن الآن فى مدينة بيروت ، نقضي بها مدة ثلاث سنوات ، على ما حكم به الشقى الغبى ، لا لذنب جنيناه ولا جرم اقترفناه ، فقد قضت حكمتك القائمة مقام الإلهام فى قلوب الصديقين أن ننال الحق ولنا الحجة الباهرة ، ونصيب الغرض ولنا البراءة الظاهرة والذمة الطاهرة ، وإنما ذلك أثر الحقد القديم ، ونتيجة الداء العقيم ، ووالله يا مولاى لو فصّلنا له من جلودنا ثيابا ، وصنعنا له من لحومنا كباباً ، وصببنا له من دمنا شرابا ، لما كان لنا مفر من غدرته عند قدرته ـــ قاتله الله ـــ فها نحن فى سننك وعلى سننك ، وكنا كذلك ولانزال إلى انقضاء الآجال ، ولولا أطفال رضع ، ونساء لنا طوع أبينالهم الذل ، وأنفنا لهم الضيم ، فأتينا بهم معنا إلى حيث أقمنا ، لكنت أول من نلقاك فى مدينة باريس لأسعد بالإقامة فى خدمتك ، وأفخر بذلك على العالمين.

وما أعلمه من نفسى ، وماأتيقنه من يقينك ، وماأيدته أعمالى وأعمالك ، وأقوالى وأقوالك ، لا أتكدر مما أشرت إليه فى كتابك إلى أبى تراب حيث طعنت فى ثقتك بالمصريين ، وبالغت حتى سحبت الطعن إلى خادمك كاتب الأحرف وإبراهيم أفندى وزدت فى المبالغة فأنفذت طعنتك بالداهية الزرقاء والبلية حمراء ، أما اختلال ثقتك بالدواهى والبلايا فقد صار فى محله ، فقد نقضت عهدك ، وحالفت عدوك فاستبقته فى الوجود وأنت موجود أرغم الله أنفها وجعلها طوع

يدك ترمى بها من تشاء من أعدائك ، أما ما يتعلق بنا ، فإنى على بينة من أمر مولاى وإن كان فى قوة بيانه ما يشكك الملائكة فى معبودهم والأنبياء فى وحيهم ولكن ليس فى استطاعته أن يشكك نفسه فى نفسه ، ولا أن يقنع عقله الأعلى بالمحالات وإن كان فى طوعه أن يقنع بها من أراد من الشرقيين والغربيين ، وما حكم به سيدى من سلب الوفاء عن المصريين ربما تضافرت عليه الأدلة ، وتشهد لنا وله عليه الحوادث ، غير أننا لسنا أولئك ، فقد أخرجنا المولى عن طباعنا ، وأنبتنا نباتا حسنًا غريبا لايغتذى بغذاء تلك الأرض ولا ينمو بهوائها ، وإنما ينضر حيث يتيح له القدر من مثل عناصره ما يقوى به قوامه ويزهر زهره ، ويحلو ثمره وإلا ذبل ومات ، واستؤصلت جذوره ورمى به إلى خارج البلاد ، وإنى أعلم أن كلامى لا يزيد فى يقين مولاى شيئا ، وسكوتى لا ينقص منه ، فَلْنَعُدْ عن هذا ونستمنح من كرمه الواسع أن يمن علينا بأمرين ، أحدهما إرسال رسمه الفوتوغراف الجديد ، فإن هذا الخادم كان عنده نسختان من الفوتوغرافية الأولى ، إحداهما أخذها أعوان الضبطية من بيتى عندما أودعت السجن ، كما أخذوا كتاب الماسون بخط مولاى المعظم ، والثانية كان استجدانيها سعد أفندى زغلول ، وهو من خواص محسوبيكم ولشفقتى عليه تركتها له أياما ليعيش أعواما .

والثانى أن يتابع إرسال ما ينشره من فصوله السياسية والأدبية فى الجرائد أيا كانت ، فقد أعددنا دفاتر متعددة لنقل ما يوجد منها فى أى جريدة ، وكتبنا مانشر فى جريدة النحلة ، وأول ما أدرج فى البصير ، وإلى الآن نبحث عن مقالة الشرق والشرقيين ولا نجدها ، وأضفنا إلى ذلك ، ما كان نشر فى جريدة مصر فى الأيام السابقة من جميع الجمل التى جاء بها فكر سيادتكم ، ثم إنا نخبر سيادتكم خبرا تسرون له ، وهو أن أعيان المسلمين من أهالى بيروت وأمرائهم لم يألوا جهدا فى إكرامنا والاحتفاء بنا ، ونخص بالذكر منهم السيد عبد القادر أفندى القبانى وأعضاء عائلته ، وهم من ذوى البيوت الأصيلة ــ رغما عن أنف صاحب الجوائب ــ والحاج محيى الدين أفندى حمادة رئيس مجلس البلدية ، وحسن أفندى بيهم ، وهم من أنبه الشبان وأعلمهم وأكتبهم وأشدهم ميلا إلى الحرية ، وقد آلى على نفسه ألا يموت حتى يراكم مالم يفاجأ .

وأما الأمير الشهير عبد القادر الجزائرلى فقد أمر ولده أن يزور خادمكم هذا ،

وأتى لزيارتى وما كل هذا إلا من آثار فضلكم فلكم الشكر على كل نعمة وصلت أو تصل إلينا وإلى أعقابنا من بعدنا ، ونرجو من سعة كرمكم أن تحنوا على خادمكم بأسطر من خطكم الشريف ، يحفظها حيث يحفظ سرك ، ويودعها فى مستودع حبك .

والله يحفظك ويتم مقاصدك والسلام

خادمكم

محمد عبده

٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م)

وكنت أود أن أعلق على هذا الخطاب العجيب الذى جاوز النفاق فيه كل حد ، حين خاطب محمد عبده جمال الدين بما يخاطب به رب العالمين — والعياذ بالله — ولكنى آثرت أن أعلق بعد عرض الخطاب الثانى حتى تزيد الرؤية وضوحا .

٢ — الخطاب الثانى : وفيما يلى نصه :

[مولاى المعظم أيده الله

اليوم عرفت نفسى وكنت بها سيىء الظن ، أرى ما سيق إلىّ أو يساق من الكرامة بين الناس إنما هو من أحكام البخت والاتفاق وغرور من السذج بنسبتى إلى خدمة المولى الجليل وكنت أتيه على العالمين بتلك النسبة ، وهى عنوان الفضل والكمال مكتفيا برسوخها فى نفسى ، ومقررها فى الأذهان وأقول دعوا الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض ، أما الآن وقد حسبنى الجناب العالى نتيجة لأعماله ، فإنى أصدع بأفكارى قواعد الملكوت وأزعزع بهمتى أركان سطوة الجبروت ، وأدعو إلى الحق دعوة الحكيم ، وأذهب بأهل الرحمة مذهب الأب الرحيم ، خدمة لمقاصد مولاى ، وإن يوم السعادة عندى أن يظهر لهذه الخدمة أثر ، وينشر عنها خبر ، أما نهى السيد لعبده عن العقوق فى الحقوق التى أوجبتها القرائح الزكية ، فمن حيث صدوره عنه أدب ، تتفجر منه ينابيع الخير والبركة ولكن من حيث توجيهه إلى الخادم الأمين فهو من قبيل نهى الحق عن أن يكون باطلا والنور عن أن يكون ظلاما ، والكمال عن أن يكون نقصا ، بل نهى الإنسان عن أن يكون حمارا ، سبحان الله ، ما أسهل أن نمتثله ، وأيسر أن ندين به

حتى يبلغ الكتاب أجله ، بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم مانشر فى [الربا] من دفاعكم عن الدين الإسلامى (ياها من مدافعة) ردا على مسيو رنان ، فظنناها من المداعبات الدينية تحل عند المؤمنين محل القبول فحثثنا بعض الدينيين على ترجمتها ، لكن حمدنا الله تعالى إذ لم يتيسر له وجود أعداد (الربا) ، حتى ورد كتابكم واطلعنا على العددين ترجمهما لنا حضرة الفاضل حسن أفندى بيهم ، فصرفنا ذهن صاحبنا الأول عن ترجمتهما ، وتوسلنا فى ذلك بأن وعدناه أن الأصل العربى سيحضر ، فإذا حضر نشر ولا لزوم للترجمة ، فاندفع المكروه والحمد لله نحن الآن على سنتك القويمة ، لانقطع رأس الدين إلا بسيف الدين ، ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهادا عبادا ركعا سجدا لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون .. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل .. أسفت وتكدَّرت مما رأيته فى كتابكم إلىّ وإلى أبى تراب من اللوم الشديد على إبراهيم أفندى وعلمت أن ذلك من سوء تبليغ أبى تراب ، على أن إبراهيم أفندى ليس موضعا للتهمة بما يشير إليه المولى فى كتابيه ، وإنى أحلف بحرمة سيدى أنه لم يصدر منه أدنى أمر يشينه أو يخل بحقوق مولاه ، فإن انتقاله من البيت الذى كان فيه ، لم يكن إلا بعد أن ظهر أثر الرطوبة فى عينيه وخشى عليهما من الرمد ، ونصحه الطبيب بالانتقال ، فأشار علىّ فاستحسنت ذلك على شريطة أن ينتقل معه أبو تراب ، فاستدعى أبا تراب للانتقال فأبى متعللا بأن أهل البيت يخدمونه ، وليس فى البيت الجديد من يخدمه ، فسهل عليه الأمر فأبى وصمم على البقاء ، ولم يكن تعلله صحيحا فى الحقيقة وإنما العلة الحقيقية هو ما تعهدونه فيه من الإحساسات الصبيانية ، أما السيد إبراهيم فقد قام بخدمة أبى تراب أحسن قيام ، كان يرافقه فى شدة البرد وكثرة الأوحال إلى منازل الحكماء ومعاهد الأطباء مرارا عديدة قبل حضور مصطفى بك ، وكان يصحبه كأخ صديق ، ينظر إليه ويعامله معاملة المتساويين من جميع الوجوه ، ولم يصرف عند الحكماء إلا ريالين فقط ، وبعض دراهم قليلة فى أدوية ومراهم ، وبعد حضور مصطفى بك كان العلاج مجانا بدون أجرة ، ومضى عليه زمن المرض ونحن جميعا نتعهده فى أغلب الأوقات وإبراهيم أفندى — بعد انتقاله — كان يأتى إليه من قبل شروق الشمس إلى الساعة الرابعة من الليل ، ولا يتركه إلا وقت النوم وكانت ثياب إبراهيم وكتبه وجميع لوازمه فى أودة أبى تراب ، ولم يكن فى أودته الأخرى إلا فرش النوم

لاغير ، ثم إن أبا تراب معنا فى جميع الأوقات ، إلا ما قل ، وإنا نعده كواحد منا ، منزلته منزلتنا ، إن مسه أحد بكلمة حسبناها فى أعراضنا ، أما ما ذكرته فى شأن أديب أفندى ، وأمرك أبا تراب بالتردد عليه ، فلعل فيه حكمة تخفى عن عقولنا ، ورأيكم أعلى وأرفع ، على أنى أرى فى الإبقاء عليه لضرراً لنفس أبى تراب من حيث تغلب شهوته الحيوانية على قوته العقلية ، فالأولى به أن يكون بعيدا عن مثار الشهوات .

وزادنى كدرا أن أبا تراب لما ذهب ليبلغ أديب سلامكم أطلعه على المكتوب فقرأ منه ماذكرتم فى شأن إبراهيم أفندى ، وكان كدر إبراهيم على هذا أشد من كدره على سوء ما بلغه عنه . و أبو تراب عجول فى أخباره لم يخل من طيش الشرقيين ، فالأمل أن لا تثقوا بما كتب إليكم فيما يتعلق بشأن أتباعكم ، فقد يغضبه مالا يغضب ويرضيه ما لا يرضى ، وليس بين غضبه ورضاه إلا كما بين ضحكه وبكاه وهو ما بين لمحات البصر ، أليس عجيبا أن ما نقله إليكم عنى وأنا فى حبس الحكومة المصرية قبل أن يرانى كان متلقيا له من محسن الجزار ، مع أنى ما رأيته من نحو ثلاث سنين ، ثم بعد أن كتب إليكم ما كتب جاء لزيارتى فى الحبس ولم يسألنى عن شىء يتعلق بسيادتكم وأظن أن حالة أبى تراب فى الأخبار التى تكون من هذا القبيل لا تخفى على حضرتكم ، فالرجا أن لا تعتمدوا عليها ، ولا تعجلوا بتصديقها ، فليس سهلا على الصادقين فى الانتماء إليكم أن يشعروا بأن شيئا كدر خاطركم من جهتهم ، وإن كان غير منطبق على الواقع .

ونلتمس من واسع كرمكم أن لا تقطعوا عنا ما نطمئن به على صحتكم والله يحفظكم

محمد عبده

٨ شعبان ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م)

يهدى سيادتكم مزيد السلام ويقبل أيديكم إبراهيم أفندى على اللقانى والشيخ أمين أبو يوسف من مصر ، وهو منفى فى الحوادث المصرية ، والشيخ أحمد القبانى من أفاضل بيروت والشيخ أحمد عباس من نبهائها وأرباب الأفكار الحُرَّة ، وحسن

أفندى بيهم ، وكل آمن له ميل إلى الحرية
ودمتم فى حفظ الله

محمد

٨ شعبان سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م)

نقد وتعليق :

والواقع أن الخطابين اللذين أثبتنا نصهما — فيما سبق — يشبهان إلى حد كبير ما جاء فى كتابات إبراهيم اللقانى إلى جمال الدين ، من نفاق مسرف ، وأسلوب يشبه أسلوب الكافرين .

فهذان الخطابان من كتابات الشيخ محمد عبده العالم الدينى المعروف الذى فسر القرآن الكريم ، وكان له شأن عظيم فى مصر والعالم الإسلامى ، ومازال يذكر بالخير حتى يومنا هذا ، فكان عجيبا — حقا — أن يخاطب محمد عبده جمال الدين الأفغانى — مهما كانت صفته — بالأسلوب الذى يخاطب العبد به ربه جل جلاله ، بل يتجاوز كل حد فيزعم بأن جمال الدين يستطيع بمنطقه أن يشكك الملائكة وأن يجعل الأنبياء يشكون فيما يجىء إليهم من وحى .

على أن الخطابين برغم أسلوبهما الكافر الفاجر يفيدان فى كشف حقيقة جمال الدين الأفغانى ومن اجتمع حوله من التلاميذ والأصدقاء ، ويمكن أن نستخلص منهما مايلى :

أولاً : أن جمال الدين ، كان عظيم التأثير على المتصلين به إلى درجة تجعل شخصياتهم تذوب فى شخصيته ، بحيث يتحولون إلى دمى يحركها جمال الدين كيف يشاء ، ويصيرون أبواقا تردد كل مايقوله سيدهم .

ثانياً : أن الشيخ محمد عبده كان ماسونيا كأستاذه جمال الدين ، فقد اعترف فى خطابه الأول بأن كتاب الماسونية كان فى بيته حين فتشته الشرطة فأخذته ، كما أخذت صورة جمال الدين التى كان يحتفظ بها مع كتاب الماسونية ، مما يطعن فى عقيدة محمد عبده ، فكيف يؤمن بمبادىء الماسونية ، وهو عالم من علماء المسلمين ومفسر لكتاب الله الكريم ؟!..

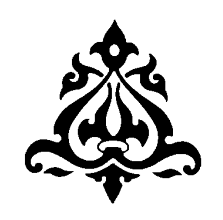
ثالثاً : أن سعد زغلول كان من مريدى جمال الدين منذ شبابه الباكر ، وكان حريصا على الاحتفاظ بصورة لجمال الدين .

رابعًا : أن جمال الدين كان يتأثر بما يقوله خادمه أبو تراب فى تحديد علاقاته بأصدقائه وتلاميذه ، فيمكن أن يغير رأيه فيهم إذا قرأ كلام أبى تراب عنهم ، حتى ولو كان كاذبا ، مما يثير علامات استفهام حول علاقة جمال الدين بأبى تراب .

خامسًا : يبدو من وصف الشيخ محمد لأبى تراب أنه كان شخصا سيء الخلق ، منحرف السلوك فيه صبيانية ، فكيف يطمئن شخص داعية كبير كجمال الدين الأفغانى إلى وجود شخص كأبى تراب بجواره إلا إذا كانت هناك أسباب تدفع جمال الدين إلى هذا ؟!...

سادسًا : إن الخطابين يدلان على أن الشيخ محمد عبده كإبراهيم اللقانى ، لم يدافع عن كرامة وطنه حين أعلن جمال الدين أنه لايثق فى المصريين ، بل سلّم محمد عبده بسوء مصر وقال إنه وتلاميذ جمال الدين من المصريين لم يرضعوا من لبان مصر بل صنعهم جمال الدين على عينه ، مما يجعلنا نغير رأينا فى محمد عبده ونعيد تقويمنا لشخصيته .

ونختم هذا الكتاب بعرض القسم الأخير من الوثائق وهو يتضمن أحاديث صحفية ورسائل خطية تلقى أضواء على حقيقة جمال الدين .. والله هو الهادى إلى صراطه المستقيم .



القسم الثالث

رسائل ووثائق تتعلق بجمال الدين

تمهيد :

توجد فى القسم الثالث من مجموعة الوثائق التى تضمنها الجزء الثانى من كتاب «حقيقة جمال الدين الأفغانى» رسائل ووثائق تتعلق بجمال الدين ، لانرى داعيا لعرضها كلها واحدة فى إثر الأخرى ، لأن الكثير منها ليس فيه معلومات تفيد فى كشف حقيقة جمال الدين ، أو تظهر أفكاره وخططه التى كان يسير على هداها فى تحقيق أهدافه ، والعمل على إيقاظ همم الشعوب الإسلامية ، وتوحيد صفوفها ، حتى تسيز فى طريق التحرر من سيطرة الدول الاستعمارية ، ليتحقق لها التقدم والرفاهية .

ولهذا سنكتفى بعرض الوثائق التى تهم الدارسين والراغبين فى معرفة حقيقة جمال الدين ، وهى الوثائق التى تخدم تاريخ جمال الدين ، وتبين معالم شخصيته دون لبس أو غموض ، كما تخدم تاريخ شعوب الدول الإسلامية التى زارها جمال الدين وارتبطت دعوته الإصلاحية بها ، فعرض هذه الوثائق ـ فى رأينا ـ أجدى للدراسة ، وهو الذى يفيد الراغبين فى الوقوف على حقيقة جمال الدين .

أما الرسائل التى لاتتضمن أخبارا ذات أهمية فلا طائل تحتها ، ولا جدوى من عرضها ، وحشرها بين صفحات كتاب هدفه كشف حقيقة جمال الدين الأفغانى ، خدمة للعلم والتاريخ .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل وأن يعصمنا من الخطأ والزلل ...

أولا : مكاتبات بين جمال الدين ومحمد حسن ، أمين الضرب :

١ ــ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب لتأجير بيت يسكن فيه فى مدينة إصفهان .

والخطاب باللغة الفارسية وترجمته كالتالى :

« جناب نزيه النفس، طاهر السريرة ، أمين الضرب السلطانى ، لتكن دائما فى عون الحق.. كما كان مقررا من قبل ، المرجو من جنابكم أن تتحملوا مشقة تأجير منزل لى أسكن فيه بالقرب منكم فى جواركم ، ولا أعلم حتى الآن هل تم إيجاد هذا المنزل أم لا؟!.. فإذا كنتم قد أجرتم منزلا لى ، فأين يقع هذا المنزل؟ .

وأنا الآن أقيم فى محلة شاهزاده عبد العظيم أنتظر الجواب .

لازلت قائمًا بقضاء حاجات العباد .

والسلام .

المحب

جمال الدين الحسينى

٢ ــ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب يلومه على عدم الرد على خطابه له ويعيب عليه كذبه .

والخطاب باللغة الفارسية وترجمته كالتالى :

«سالك مسلك الحق والصدق جناب الحاج محمد حسن ، أمين الضرب ، لازال محفوظا عن سوء القضاء .

كنت أخبرتنى فى برقية أن الجواب أرسل فى خطاب ، والبريد لايخطىء ولا أريد أن أظن بك ظنا آخر غير الصدق فى القول .. إن الخطاب لم يصل ، فعلى أى وجه أفسر تصرفك مع ميرزا نعمة الله ، لقد كان بعيدا جدا عن طريق العدل والإنصاف ، فإذا كنت تسىء الظن به أو كنت على يقين مما بلغك عنه ، فإنه ينبغى عليك أن لاتحيد عن السنة الإلهية بحال من الأحوال .

بإذن الله تعالى مع علمه الأزلى المحيط بكل شىء يضع الميزان أمام الملائكة والأنبياء ، ويبسط الحساب ، ويقيم الشهود من الجوارح والأعضاء ، ولا يعذب نفسا إلا بعد إقامة الحجة عليها ، وليس من السنة الإلهية الحكم بغير دليل ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وأنت لست معصوما من الخطأ ، فافعل مع الخلق مايعصمك من غضب الله ، وإذا كان هدفك أن تصل المنفعة إليك وحدك ،

ولاتصل إلى شخص غيرك ، فإن هذا السلوك يتنافى مع المروءة لأنك لاتراعى حقوق شخص خدمك سنوات طويلة ، ولاتهتم إلا بمصالح ومنافع أقربائك ، ولابد أن تعرف أنه فوق قدراتنا الضعيفة ، قدرة الله التى لاحدود لها ، فمن الممكن ــ إذن ــ أن تدمر قدرة الله كل مابنيته ظلما طوال سنوات عديدة ، لأنك كسرت قلب شخص بدون ذنب .

وإذا كان هدفك أن لاينتفع شخص غيرك ، فماذا أقول لك ؟ ولكن يجب أن تعلم ـحينذاكـ أنك تعرض نفسك لسهم غضب الله (أستجير بالله) ومخرج النفس الطماعة ـدائماـ فى قبضة قدرة الله فإذا كنت تحسد شخصا تابعا لك (أستعيذ بالله) فينبغى أن تعالج نفسك قبل أن تصير موضعا للسخط ، وأنا أخشى عليك أن يصيبك ماذكرت .

وعلى كل حال أنت أعطيتنى وعدا فى مدينة موسكو ، ولكنك نقضت الوعد والميثاق ، ولم أكن أتوقع منك هذا الغدر ، وقد تكدرت كثيرا من تصرفك ، فإذا لم تعدل عن تصرفك ، فسيصيبك ندم على الدوام .

نعم... حاسب... أظهر الغش والاختلاس...ثم افعل بعد ذلك ماتريد... وحينذاك ستصير برىء الذمة أمام الله والناس ، وإلا فلن تنجو من قسوة الحساب فى الآخرة ، ولن تسلم من لوم الناس فى الدنيا .

قابلت كاثكوف ، وقد سر كثيرا ، وكلفنى أن أتوجه لمقابلة القيصر بعد بضعة أيام ، وقد نشرت جرائد موسكو وبطرسبرج تعريفا لى ، ونشرت جرائد باريس أيضا نفس الشىء عنى .

والســلام ،،،

صديقكم الحقيقى

جمال الدين الحسينى

سلامى إلى الفاضل الطاهر الأمير جعفر وللأمير جواد

٣ ـ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب ، له صلة بالخطاب السابق ، وهو مكتوب بالفارسية وترجمته كالتالى :

«طيب السريرة حسن السيرة ، جناب الحاج محمد حسن أمين ، لازال محفوظا بعون الله عن غدر كل لئيم ، ومكر كل رجيم ـــ آمين ـــ

وصلتني رسالتك وأسأل الله أن يصونك من شر الأخِسَّاء ذوى النفس الخسيسة الذين يأكلون ، ويسرقون ، ويدمرون ، ولايتركون شيئا بعدهم .

لقد قلت كلاما من شدة تأثرى ، فإذا لم يكن يصدر منكم غير تمزيق القميص ، وإذا كان الغريب عنكم عاجزا ، فإننى شخصيا لاأستطيع أن أقول إنك على حق ، لأنه من غير الممكن أن تتساوى قوة الضعيف بقوة القوى عند الحكم والموازنة ، ولايمكن أن يتحقق العدل بهذه الصورة ، اللهم إلا إذا نزل القوى إلى مستوى الضعيف ، فالأمر يدعو للأسف .

وإذا كان هناك قوى متسلط يفعل هذا ـــ غيركم ـــ فأنا مستعد أن أحطم قوته بقوة الله حيثما كان وحيثما كنت .

ولن أنسى حقوقى فى هذه المدة القصيرة ، وإذا كانت هناك عقدة فبينها

وقد وضح من خطابك أنك ظننت أن مير نعمة الله قد دفعنى إلى كتابة خطاب شديد اللهجة لكم ، ويبدو أنك صرت ضعيف الذاكرة ، فإننى قد كتبت كل ماكتبت فى غياب مير نعمة الله ، وقلت لك شفويا فى غيابه أيضا ، وقلت لك هذا لمصلحتك .

قرأت كتاب فاضل ، المكتوب باللغة العربية ، وسررت منه كثيرا ، وأسأل الله أن يرفع درجاته ، وقد كتبت له ردا منذ عشرة أيام ، وأتمنى أن يظل الصديق مير جعفر مسرورا دائما ، تحت رعايتك ، وأبلغ إليه سلام الأصدقاء .

وسأتوجه غدا إلى بطرسبرج ... والسلام .

صديقك

جمال الدين الحسينى

يوم الأحد ٢٤ من ذى القعدة ١٣١٦هـ (١٨٩٨)

أنا اليوم ضيف فى منزل محمد جواد وسأسافر غدا

٤ ـــ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب له صلة بما سبق : وهو مكتوب باللغة الفارسية وترجمته كالتالى :

« بطرسبرج ... ٩ فبراير ..

الجناب الموقر الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية ، أسأل الله أن يكون دائما فى كمال الاعتدال نفسيا وبدنيا ...

خير إن شاء الله . ماذا دهاك حتى وضعت درع الإسلام أمام وجهك وسحبت سيف الإيمان من غمده .. أسأل الله أن لا يكون ذلك فى وجه الحق .. إن قوة الخيال وإن كانت تعمل — تحت ظل العقل — على تربية الأجساد وتوجيهها ، ولكنها قوة شديدة ، تكون — فى أغلب النفوس البشرية — فى حرب مع العقل ، وتتغلب عليه ، وجميع ضلالات العالم الإنسانى تنشأ منه وهى التى تشوه الحق بصورة الباطل وتظهر هذا الباطل ، وتغلبه وتزينه للعالم ، وهى التى تشوش على الخير المطلق بوساوسها ، وتحيطه بالشرور ، فيبدو أمام الأبصار مهزوزا ، وهى التى تزين الشر وتجعله جذابا ، وترغب النفوس فيه ، وقد سمى العلماء قوة الخيال شيطان العقل ، ولكن هناك فرقا بعيدا بين الاثنين ، لأن الشيطان المسكين ولو أنه يمنع الإنسان من سلوك سبل الحق والحقيقة ، ولكنه يساعده على التمتع باللذات الدنيوية والشهوات البدنية ، أما قوة الخيال فإنها تحرم الإنسان من سعادة الدنيا والآخرة معا ، فهى تخوف الأغنياء فى حالة الغنى من الفقر ، وفى حالة السرور تفتح أبواب الأحزان الماضية والأكدار المقبلة ، وتثير الشبهات حول الأعوان والأصدقاء ، والأهل والعيال ، والخدم والحشم ، حتى تكدر الحياة الإنسانية ، وحتى يظل الإنسان معذبا دائما ، فيجب التخلص من شر هذا العدو الداخلى المجنون ، ولو أن التخلص منه نهائيا أمر صعب للغاية ، ومع وجود أمل التخلص من قوة الخيال ، فإنه ليس عندى أمل فى أن تتغلب عليك قوة الخيال ، فقد مدحتك بالهمة والغيرة والجسارة والإقدام ، وهذه الأوصاف هى التى يباهى بالاتصاف بها الأنبياء والأولياء ، مع مالهم من المقامات العالية والمزايا الروحية ، ولا يستنكفون من مدح أعدائهم ، فما اتصفوا بهذه الصفات الكريمة ، ولا تسيطر قوة الخيال إلا على الذين يتصفون بصفات العجزة ، الذين يلجأون إلى الكذب .

هذه واحدة ، أما الثانية فهى أنك ظننت أننى أتحدث إليك وإلى غيركم بالكناية والتلميح دون التصريح ، وأقول : لماذا أتحدث إليكم وإلى غيركم بالكناية ؟ ولماذا أنسب إليكم الكذب ؟!.. هذا عجيب — سبحان الله — نعم إن العقائد التى أوحت

إليك بهذا يجب أن تزول .. أليس للمخطرات القلبية والهامة أى اعتبار ؟!.. لقد عددت سفركم إلى بلاد الإفرنجة ونيتكم الخيرة من آثار همتكم وجسارتكم ، فأصلح قلبك ، لماذا يجعلك الخيال تضمر هذه الخيالات الفاسدة ، لقد كتبت لى أننى أسعى فى بطرسبرج للحصول على إذن ، فأرسلت رسولًا بالخبر ، فأجابوا فكتبت لك ، إذن فماذا تتوهمون أننى كتبت لك بالكناية ؟!..

ياجناب الحاج..أصلح قلبك..إننى أوضح لك بأسلوب صريح كل ماأريده ، لو أن السماوات تتغير ، فإننى كذلك أتغير .

أما بخصوص ميرزا نعمة فإننى لست محالفاً لمير نعمة الله ، لقد كنت أريد أن تكون جميع أفعالكم على نهج الحكمة ، ولهذا قلت لكم شفاها وكتابة ، فيجب أولا أن تقدر الأمور ، فتأمل الآن جيدا ... إنك لم تقدر أولا ماإذا كان الحق بجانبكم أم لا ، ولم تستطع أن تثبت بأية وسيلة ماإذا كانوا سيرفعون أيديهم عن الأمر ، لقد قلت إنه أراد أن يظلم ولكنه عجز ولم يستطع أن ينسحب ، وإذا طالبته وسحبته إلى طهران ، سيقولون إنهم يريدون أن يدمروا نعمة الله المسكين ظلما وعدوانا ، وهذه نتيجة أنكم ـمنذ البدايةـ لم تتبعوا نصيحتى ، لقد رأيت ميرزا نعمة الله فى منزلكم ، ومعاشرتى لكم أكثر بدرجات عديدة من معاشرتى لنعمة الله ، ومع كل هذا فإن خيالاتك جعلتك تقول إننى أعدك أكثر كمالا من أكثر الإيرانيين ، فلا تتخيل خيالا فاسدا ، أنت لست خارجا عنهم .. ولنتجاوز عن هذا ، أما فاضل فأمره عجيب جدا ، لماذا لايرسل خطابا كل أسبوع ، هل سيطر عليه الوهم ــ لاقدر الله ــ فى مرحلة الشباب ؟! .. يجب أن يكتب خطابا كل حين أحيانا بالعربية وأحيانا بالفارسية ، ولايكتفى بالدعاء والسلام فحسب ، بل يكتب بعض التفصيلات ، حتى تزيد قوة كتابته وإنشائه ، ويتسع فكره ، ولاينتظر حتى أرسل أنا جواب كل خطاب ، وأنا ـمن غير شكـ سأرسل بين حين وآخر جوابا لتشجيعه ، ولكن فى الوقت الذى يكون مضمون خطابه رفيعا .

أبلغ جميع الأحباب والأصدقاء لى ولكم السلام ، وأقول لكم مرة أخرى :

أصلح قلبك ، ولا تجعل الخيال يسيطر عليك ، وأسأل الله أن يعينك على فعل الأعمال الخيرة .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٥ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو خطاب مكتوب بالفارسية فى بطرسبرج فى ٣٠ أبريل (شعبان) وترجمته كالتالى :

«جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب أسأل الله أن يصونه من المصائب غير المنتظرة ...

السطر الذى كتبته فى حاشية خطابكم السابق يخيل إلى أنه انمحى من الخاطر ، لأن الشخص حين يكون شابا يكون دائما مقهوراً لحواسه الطبيعية ، فلا يكون للعقل حكم عليه فى الفرح والحزن والغضب ، ولا للدين ، لأن كمال العقل والتدين الحقيقى يتحققان للإنسان فى سن الشيخوخة ، فينبغى عليه أن يتحرر من سطوة طبيعته ، وأن يجعل حواسه الطبيعية تضعف حتى يكون الفرح والغم والغضب جميعها فى دائرة العقل والدين ، وعن هذا الطريق أستطيع أن أقول إنه لا يليق بك أن تحزن أكثر من هذا على موت الوالدة والكريمة ، بل يجب عليك بعد هذا العمر وبعد كل هذه التجارب ، المعاشرة لجميع أصناف العالم من الصالح والطالح ، أن يكون حزنك على ارتكاب الرذيلة أو اجتناب الفضيلة ، وأن يكون فرحك بإصلاح ذات نفسك وحليتها بالصفات الحسنة والأخلاق الكريمة التى يفخر بها أعاظم أفراد البشر ، لا بغير ذلك ، وإصلاح ذات نفسك ـ مثل التجارة ـ يتوقف على السعى والاجتهاد ـ بعد عطاء الله ـ ويحتاج إلى التفكر ليل نهار ، وإلى المحاسبة ، وأن تكون دائما فى خوف ووجل من أن تخطىء فى الحساب ، والأفكار العقلية والأخلاق النفسية مثل بضاعة التجارة تنبغى تجربتها ، وعرضها على أهل الخبرة ، والاستفسار عنها ، والبحث والتفتيش فيها ، ومما لا شك فيه أن اهتمام الإنسان بتقويم ذاته أشرف من سعيه بعيدا عن ذاته .

ولايعنى هذا أن يسحب الإنسان يده من شئون الدنيا .. لا .. لا ، بل يجب أن يسير الإنسان فى شئون الدنيا على نهج الحق والعدل ، ومراقبة الله ، وأن يفعل مايريده الله ، والله تعالى يريد أن يرى فى العوالم السفلية ــ مثل العوالم العلية ــ جميع الكمالات والحسن والزينة ، وأن يسود الخير فى كل مكان ، وأن تظهر آثار صنعه وبدائع قدرته فى العقل البشرى ، وأن يكون الإنسان فى جميع حالاته مظهرا لكمال الحق بحيث يكون شاهدا على كمالات الحق غير المتناهية ، وبهذه الصورة يعبد الإنسان الله ويسبح بحمده ، لاباللسان الذى يكثر من القيل والقال ، ولايفعل غير السوء.

أسأل الله أن يساعدك وأن يجعل فطرتك طاهرة نقية ومظهراً للكمال والجمال .

أما ميرزا نعمة الله ، فقد عرض عليكم فى خطابه ثلاثة أمور ، ومما لاشك فيه أنك مستقبل واحدا من تلك الثلاثة على نهج الحق والعدل ، وآمل أن لاتقبلوا ولاترضوا بحال من الأحوال صفة التعدى والإجحاف لأنها صفة الجبارين .

وقد أرسلت خطاب جناب أمين السلطان فى داخل خطابكم بعنوانكم إلى طهران ، وإذا سأل عنى صديق فأبلغوه السلام ،،،

وأسأل الله أن تكون أنت وأهل منزلكم وجميع المحيطين بك فى سلامة .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٦ ــ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب : .

وهو مكتوب بالفارسية فى مدينة بطرسبورج فى شهر يوليه وترجمته كالتالى :

« بطرسبورج .... يوليه

جناب المبجل المحترم الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية ـ أسأل الله أن يكون مظهراً للعنايات الإلهية الخاصة ــ .

منذ بضعة أسابيع وأنا أريد كتابة جواب خطابكم ، ولكن منعتنى بعض الخطرات ، وهى من ناحية أن الجود الإلهى المطلق يظهر فى كل طبيعة ، وماهية بصورة من الصور ، فالماء الزلال العذب يظهر فى كل بذرة على حسب أصلها بطعم آخر فى المذاق ، وكل إنسان فى عالم الإفاضة والاستفاضة بمنزلة كفتى ميزان ،

ومعاملة الحق للإنسان على حسب معاملته للخلق ، فينبغي أن تجعل نصب عينيك عنايات الحق غير المتناهية ، وقصورك الذى لاحد له ، فتعامل مع الخلق بهذه الطريقة حتى تكون على الدوام موضع استحقاق النعم العظيمة ، والخيرات العميمة ، أما أن تطلب الغفران من الله للذنوب الكبيرة والصغيرة ، وأنت تعامل الخلق بخلقك هذا ، وتطردهم من على مائدة نعمتك ، وتعاقبهم عقابا شديدا على الزلات البسيطة ، فهذا أمر يدعو إلى العجب حقاً ، لأن الإنسان ينبغى أن يقول دائماً : ياإلهى إننى أرحم من تحت يدى مع عجزى وضعفى هذا ، فليس عجيبا أن ترحمنى مع مالك من قدرة مطلقة ، ورحمة غير متناهية... وأنا عاجز فتب على واغفر ذنوبى ، واجعلنى موضع عناياتك الخاصة...هذا هو العدل والله تعالى هو عين العدل ، فلا ينبغى حبس العاجز الفقير من أجل مائة تومان أو أكثر أو أقل من ذلك وأنت قادر غنى..

فيجب على الإنسان الطالب للكمال أن يسعى هو لإظهار الصفات الكمالية للحق ، والإنسان طالب الرشاد لا ينبغى أن يخسر نفسه ، فإذا كانت الزلة فى طبيعته غير قابلة للغفران ، فكيف يطلب الغفران من ربه ؟! ..

وإذا عبد شخص الإحسان الصرف مكروها ، ولم يعط دانقا لشخص بدون عمل سابق ، ثم طلب من الله تعالى أنواع الإحسان الصورية والمعنوية ، فإنه ولا شك يعبث بنفسه أو يتهاون فى حق ربه ، وهذا هو عين النقص ، وهو الأمر الذى يدعو إلى السخرية ، إن ميرزا نعمة الله لم يخرج عن طاعتك ، فينبغى عليك أن لاتفعل شيئاً يؤدى إلى تدميره ، أما إذا كان ميرزا محمد مجذوبا أو مجنونا ، فهو على كل حال مرتبط بك ، فلا ينبغى التشدد ، فإذا كان الله تعالى قد أعطاك قوة من قوته فى مملكة إيران ، فينبغى أن تَجْهَد فى قضاء حاجات عباده ، فإن هذا دليل على شكر النعمة ، افعل مع خلق الله ماتريد أن يفعله الله معك .

ماذا حدث لميرزا فاضل.. ماشاء الله.. إنه لايكتب أى خطاب..

أبلغ السلام إلى الحاج محمد إبراهيم وسائر الخاصة المحيطين بك .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٧ ـ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى بطرسبورج فى ٥ سبتمبر ، وترجمته العربية فيما يلى :

« بطرسبورج ٥ سبتمبر

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب ، أسأل الله أن يكون لابسا دائما لباس الإسلام فى هذا الزمان ـ وهو آخر الزمان ـ فهو زمان الفساد والخراب ... كما أسأله تعالى أن تكون مظهرا لعجائب قدرة الحق .. لن أكتب فى هذا الخطاب إلا بضع كلمات .. إذا لم يكن قلبك قد تغير ، وفكرك قد تبدل ، أرجو أن ترسل فى أسرع وقت ممكن مبلغ الخمسة آلاف من الذى كنت قد حولته قبل ذلك لميرزا على ليوصله إلىّ ، وأنا لم أقبل فى ذلك الوقت فحول الآن بدله مبلغ خمسة آلاف إلى محمد جواد ليعطيها لى فى بطرسبورج ، وأنا سأرد لك هذا المبلغ لامحالة ، وأقول لك إذا كان لديك قلق أو اضطراب من تحويل المبلغ ، أو ظننت أن هذا ينقص من قدرك ، فلا تحوله ، فمقصودى أن تحوله وأنت فى غاية السرور وانشراح الصدر

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٨ ـ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى مدينة بطرسبورج الروسية فى فندق جراند هوتل فى ٣ نوفمبر وترجمته العربية فيما يلى :

« بطرسبورج جراند هوتل ٣ نوفمبر

جناب الصديق الصميم الغيور ، والمقدام الجسور ، الحاج محمد حسن أمين الضرب .. جعله الله فى سلامة ...

وصلت خطاباتك كلها ، وسررت كثيراً من سير وسلوك عقلك الفطرى ، فى عالم الآفاق والأنفس ، ومن ملاحظاتك الدقيقة فى تطورات الوجود ..

ومما لاشك فيه أنه لاينبغى على إنسان يوصف بالإنسانية أن يعيش فى هذا العالم

مثل الحيوان غافلاً عن كل شيء ، وأن لايقرأ أية كلمة من كتاب الله الذى هو العالم ، أما ماكتبته عن ميرزا نعمة الله فإننى كنت أقبله لو أنك ـمنذ البدايةـ سمعت قولى وحاسبته أولا بأول ، أما الآن فلن أقبل منك أى شيء فى حقه ، أما بخصوص الأشياء الخاصة بالسكك الحديدية ، فإن السفير الموجود فى بطرسبورج يقول إن الحاج أمين الضرب لم يشتر شيئا خاصا بالسكك الحديدية .

وقد حقق وزير داخلية روسيا فى هذا الأمر ، وتأكد من صحته من بلجيكا ، ولهذا فإننى أتعجب كثيرا !...

أرجو أن يبلغ سلامى إلى فاضل كثيرا كثيرا ، وكذلك إلى الحاج محمد إبراهيم ، وسائر المحيطين .

والسـلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٩ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى أول شهر يناير ، فى مدينة بطرسبورج ، وترجمته العربية فيما يلى :

«جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب .. أسأل الله أن يكون دائماً مظهراً لعنايات الحق الخاصة ، وأن يكون سعيدا ...

إن أى شخص لايستطيع أن يدّعى فى أى أمر من الأمور أنه يستطيع القيام به ، على الوجه الأكمل ، اللهم إلا إذا ظن أن الاعتراف بالتقصير سيعرضه لضرر لاحق ، أو يضيع عليه مجهودا سابقا... هذه هى فطرة الإنسان ، فالشيء الذى لاثمن له ـحتى ولو كان ماء الحياةـ لاقيمة له .

والشخص الأمين ـمهما كان متديناـ لن يهتم كثيرا بصيانة الأمانة كما يهتم بصيانة ماله ، ولن يحزن على فقد مال الغير كما يحزن على فقد ماله ، هذه طبيعة البشر... والخادم ـمهما كان صادقاـ لايحفظ مال سيده كما يحفظه السيد نفسه... نعم... اللهم إلا إذا كان فى عدم الرعاية الكافية ضررا يصيبه.. هذه هى

فطرة بنى آدم.. فإذا أراد شخص أن يبرىء نفسه من نقائص الإهمال والتفريط فى حقوق البشر وينزهها ، وأن يجبر الطبيعة على القيام بهذه الواجبات ، وأن يلزم النفس بالتسابق والمسارعة إلى أدائها ، ويجب أن يقدم الدليل على ذلك.. لهذا ينبغى عليك أن لاتقصر فى تمهيد سبل الحق ، وأن لاتتساهل فى تهيئة الأسباب لأداء هذه الواجبات ، لقد قدمت لى خمسة آلاف من فى صورة رهن ، والحاصل أننى أخذت كذلك مبلغ ألفين من محمد جواد ، فالشكر لكم والجزاء لكم من الله ، فهذا دين فى ذمتى وسيؤدى لكم .

وقد كتبت فى موضوع ميرزا نعمة الله فى خطابى السابق ، ولاشك فى أنه وصلك .

مبروك أقولها لفاضل ، لأنه أرسل خطابا ، فقولوا له كلمة مبروك وأتمنى أن يكون هذا خيرا وبركة له .

وأبلغوا السلام للحاج محمد إبراهيم

والسلام ،

صديقك

جمال الدين الحسينى

كان جناب السيد أمين السلطان قد كتب أنه فى أى وقت يأتى إليه ميرزا أبو تراب الساوجى ، فإنه سينظر إليه بنظر العناية ، وقد كتبت له خطابا يخيل إلى أنه وصله ، فلو طلبت من أحد خدامك أن يذهب إلى ابن المرحوم الحاج سيد صادق ويستفسر عنه ، ويخبره بما ذكرت ، أكون ممنونا جدا وشاكرا جدا .

١٠ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى ٣ مارس وترجمته العربية فيما يلى :

« ـــــ ٣ مارس

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية

جعله الله ـ دائما ـ سعيدا مسرورا .

وصل خطابكم الذى كنت قد التمست فيه حصول فرصة للعتاب .. ياجناب

الحاج إن كل ماقلته وأقوله وفعلته وأفعله ، جميعه ، خالص وصادق من أجل خدمة الأمة المحمدية وخيرها ، وليست لأنانيتي صلة به ولا دخل فيه ، وإذا كان المنافقون فى إيران عند العمي والصم الذين لم يسمعوا شيئا ، ولم يروا شيئا قد أنكروا على ذلك ، فالأمل أنك بينك وبين نفسك تعترف بأننى صادق فيما أقول ، وحيث إن الله تعالى كان مطلعا على حقيقة فعلي وسلوكي ، لهذا فإن الدولة العثمانية بعد ستة أشهر من المخالفة والصراع معي ، قطعت أذنها وأنفها ، وكسرت ظهرها -أى استسلمت- وبعد أن مزقت ملك خديوى مصر قطعة قطعة ؟ وضعت قدم الإنجليز على حلقه ، وعما قريب ينقطع نفسه ، وشردت شير على خان وعائلته.. والآن أقول إن إيران لو أصرت على ذنبها ، ولم تتب ، فإن الله تعالى- وإن كان قد قطع أذنها وأنفها بسبب ذنوبها السابقة- سيقطع رأسها الآن ويجعل لحمها طعاما للنسور والعقبان ، ولن يمر زمن طويل حتى يحدث هذا ، فالله تعالى مستاء من هذه الأعمال الجاهلية ، ومن هذه الرسوم الوحشية التى تضع على رأسها عمامة الإسلام والدين ، لهذا فأنا أقول جهارا وسيرى العالم -أيضا- عن قريب صدق ماأقول .

وقد كتبتم أنه بعد وصولى إلى طهران سيكون الخير جاهزا وحاضرا ، أيها الحاج العزيز.. أى شيء سيكون حاضرا ؟ وأى خير سيكون جاهزا ؟!... أنا لاأريد أن أصير صدرا أعظم.. أنا لاأريد أن أصير وزيرا... أنا لاأريد أن أصير من أركان الدولة... أنا لاأريد مرتبا ومخصصات ، أنا لاأريد وظيفة.. أنا لازوجة لى ولا أولاد.. أنا لاأملاك لى ولاأريد أن تكون لى أملاك.. إذن فأى شيء يكون حاضرا وجاهزا ؟!...

ياجناب الحاج .. إن كثيرا من الأشخاص قد وصلوا — بواسطتى — إلى رتبة البكوية والباشوية ، وكثيرا من الأشخاص -بواسطتى- قد وصلوا إلى مرتبات ومخصصات هائلة ، ولكنى بقيت فى وضع واحد ، وسأبقى فى هذا الوضع ، فليس لي هدف غير النصيحة والإصلاح ، وإن الشيء الذى غير قلب الشاه إذا لم يكن الدرويش الإصفهانى فإنه الدرويش الطهرانى.. إنه ذلك الزنيم الذى حاول إرضاء الشاه ، وذلك العتل الذى أهمل فى أداء واجبه ، والله تعالى يعلم أكثر من أى شخص.. إن الإنسان قد لايستطيع كشف الحقائق وهو حى ، ولكن جزاء

جميع الأفعال في الدنيا وفي الآخرة في يد الحق..

وقد كتبت أن جنابك الأجل الأفخم قد وصل إلى أعلى سلطة يمكن بواسطتها نفع الخلق.. إن هذا أمر يبعث مسرتنا وسعادتنا ، فإذا كان غضبي من أجل خير العباد عموما ، فإنه من غير شك خير وبركة ، لأن يدى إذا لم تتحرك من أجل إسعاد الخلق فخير لها أن تشل ، ورجلى إذا لم تتقدم لإنقاذ الأمة المحمدية فلتكسر ، هذا مذهبى وهذا مشربى ، وآمل أن يتحرك جنابكم الأجل بكل ماأوتى من قوة واقتدار ، ويجتهد في إنقاذ الإيرانيين المساكين البائسين وتحقيق الخير لهم .

أما ميرزا نعمة الله فقد أرسل لى صورة الخطاب الذى كنت قد أرسلته لكم ، وهو لن يقبل –قطعا– أى عرض من العروض الثلاثة التى كنتم قد عرضتموها عليه ، وأعتقد أنكم لن تحيدوا عن جادة العدل والإنصاف

لم تكتبوا شيئا عن فاضل .

أبلغ سلامى إلى جميع أهل منزلكم والمحيطين بكم والحاج محمد إبراهيم ، وأسأل الله أن يجعل النار المحرقة في برزخ هذه الدنيا بردا وسلاما عليكم بعناية الله القيوم .

بلغ سلاما خاصا إلى جناب ميرزا خليل ، وكيف حال عبد الغفور ؟

والسلام

جمال الدين الحسينى

١١ – خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب باللغة الفارسية في بطرسبورج في يوم ١٠ مايو ، وترجمته العربية فيما يلى :

«بطرسبورج ١٠ مايو

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية... جعله الله دائما سعيدا مصونا محفوظا من المصائب والآلام الفجائية.. إذا كنت تعدنى صديقا فإنه يخيل إليك أننى لم أخطىء خطأ عظيما ، (والإنسان ليس خاليا من الخطأ)

وللمحبة لوازم كثيرة ، وحقيقة إن الشخص الذى لايعد صديقه مثل نفسه ، ولا يجتهد فى مراعاة حقوقه ، فإنه لايعد صديقا ، بل إن هذا النوع من الأشخاص يسمى معرفة ، لأن الصديق يكون قرينا للصديق ، لهذا أقول إن جناب ميرزا جعفر خان قنصل (مكاريه) صديقى ، وفضلاً عن رفعته فإن قلبه مطهر وأخلاقه مستقيمة ، وأنت تعلم أن مثل هذا الشخص فى هذا الزمان ـ الذى هو آخر الزمان ـ نادر ، وهو فى هذه الأيام مسافر إلى طهران ، ولابد أنكم ستحترمونه بمجرد وصوله إلى طهران ، وأرجو أن ترسلوا خطاب جناب الأجل الأفخم أمين السلطان إليه ، وهو موضوع فى المظروف مع خطابكم ، وسيكتب فاضل خطاباً مفصلاً

والسلام عليك وعلى أهل بيتك ، وجميع أتباعك الخالصين .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

١٢ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى بطرسبورج فى يوم ٣ يولية وترجمته العربية فيما يلى

«بطرسبورج ...٣ يولية

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسين أمين الضرب .. ظل دائماً موضع العنايات الإلهية الخاصة ، ومظهر الفيوضات الربانية ، ودام مسرورا... آمين .

بعد أن كتبت لك خطابا ، وصلت ورقة منكم ولم يكن الفرق بين إرسال الخطاب ووصول الورقة أكثر من خمس ساعات .

إن خيرات هذه البلاد ـ على اختلاف أنواعها ـ تباع بالبخس ، غير أن هذه البلاد تلوث عقل الإنسان وروحه ونفسه الناطقة ، لأن هؤلاء المساكين يحتاجون إلى الكذب بسبب تضارب الآراء الفاسدة ، وتلاطم أطماع الكاسدة ، وهيجان الأخلاق الرديئة للأبالسة ، ويستعملون التدليس والتزوير والمكر والخديعة ، وينحرفون عن الطريق المستقيم ، ويعملون ماهو ضد فطرتهم الطاهرة ، وجناب الحاج لو نظر فى نفسه لوجد نفس هذه الأشياء له مع أنك طالب للصلاح والفلاح ، وفى أصل

الفطرة أفضل من جميع الإيرانيين فى نظرى ، ولكن (لا توجد وسيلة ، فماذا ينبغى عمله) .

ولكن من الممكن أن حقيقة الحال تلتبس على الإنسان قليلا قليلا ، فيعد القبيح حسنا (نعوذ بالله) .

وكنت قد كتبت أن أذهب إلى مشهد وأعلم الناس العلم (حسن جدا) ولكن فى المملكة التى يروجون فيها الكذب ، ويعدون الكذب إخلاصاً وغنيمةً ، ويباهون بهذه الصفات الشيطانية فى المحافل والمجامع ، ويمتدحون أنفسهم بالذكاء والمهارة .

صعب جداً قول الحق وتعلم حقيقة العلم ، خصوصاً وأنت تلبس لباس العلماء ، وأنت أعمى تظن نفسك بصيرا .

ومع كل هذا أعتقد أنك فى بضعة الأشهر التى كنا فيها معاً ليلا ونهارا ، وفى كل ساعة قد عرفتنى بفطنتك الفطرية ، وبنور الإيمان ، وعلمت أننى حيثما أكون فى هذا العالم فى الغرب أو فى الشرق ، لاهدف لى غير السعى لإصلاح دنيا المسلمين وآخرتهم ، وأقصى آمالى أن يراق دمى فى هذا الطريق مثل شهداء الصالحين ، ولكننى مجبور فى حركاتى ، ولا أستطيع أن أبتعد عن طريق الإرادة الإلهية .

ولنترك هذه المسألة

(فى وقت وصول الموكب السلطانى المبارك) أرسلت إلى أحد الأصدقاء بطاقة على طريق الفرنجة ، وقابلت أمين الدولة ، وفخر الدولة ، واعتماد الدولة كما تعلمون ، فلما حددوا لى وقتا كتبت ورقة لأمين السلطان ورجوته أن يعين وقتا لمقابلته ، وبينت فى الورقة أننى أريد فى هذه الفرصة أن أكشف كذب الكذابين بالبرهان الواضح فقال لرافع الورقة إن الرد بعد ثلاث ساعات ، وكان كلما خرج من حجرته – كل نصف ساعة – يقول لرافع الورقة : سأعطيك ردى الآن كتابة (وفى النهاية يئس رافع الورقة فرجع) .

إن السبب كثرة الأعمال أو الوساوس الشيطانية ، ومهما يكن من شيء فلك أن تتصور السبب (ويد الله فوق أيديهم) .

وقد كتبت أننى طفت بالعالم من الغرب إلى الشرق ، ومن الشرق إلى الغرب ، ولكن بعض رجال دولة روسيا طلبوا منى أن أقيم بعض الوقت فيها ، حتى تظهر

نتيجة الزيارة الملكية المباركة للندن ، ولهذا بقيت هنا ، وسأبقى فى هذه المدينة بعض الوقت ، ولو كتبت جواب الخطاب وأرسلته إلى هنا (يعنى بطرسبورج) فسوف يصل إلىَّ .

على كل حال أرجو أن تكون سعيدا مسرورا .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

كتب الحاج سياح خطابا موجزا جدا ، ولا أعلم ماذا فعل معك ، وماذا قال لك ؟!... ويبدو يقينا أنه كتب خطابه فى صورة سؤال وجواب ، حتى يستطيع أن يستخلص مايريد من المضامين ، ولكن الإنسان مهما عاش فى هذه الدنيا ، حتى ولو عاش ألف عام أو أكثر من ذلك ، فإنه لايستطيع أن يأخذ من الدنيا أكثر من نصيبه ، وأرجو أن تكون حياتك أفضل من حياتى ، وأن تتذكر دائما أن الله جل وعلا جعل تمنى الموت من علامات صدق الإيمان .

١٣ ـ خطاب من جمال الدين إلى الحاج أمين الضرب :

وهو خطاب باللغة الفارسية ، مكتوب فى مدينة كرمانشاه الإيرانية ، وترجمته العربية كالتالى :

«كرمانشاه ...

جناب نير الفؤاد الحاج محمد حسن أمين الضرب ، ثبت الله قلبه على الحق والسلام ...

لقد كانت هذه الواقعة المهولة من أجل أن يعلم المسلمون فى إيران إلى أى حد أنا ثابت ومصمم على إصلاح حالتهم من الناحيتين الصوريّة والمعنويّة (وإن شاء الله الرحمن سأظل ثابتا حتى أصل إلى الهدف المقصود ، وحتى يشاهد ضعيفو الإيمان العدل الإلهى فى الظالمين فيما بعد ، ويبصروا بأعينهم جزاء الظالمين فى المستقبل ، فمن الجائز أن يقوى إيمانهم ، ويرجعوا إلى الحق .

وسأكتب فيما بعد تفصيلاً للحادثة ، وأنواع الظلم التى ارتكبها سلالة أشقياء

الكوفة والشام فيما بعد ، والشيء الآخر أن جناب حسام الملك والى كرمانشان أظهر قدرا كبيرا من الود والرعاية ، مع أنه لم يكن يعرف اسمى بحيث أستطيع أن أقول إننى رأيت فى إيران شخصا مثلكم طاهر الفطرة .

أبلغ ملك التجار سلامى ، ولاتنس إبلاغ سلامى إلى فاضل ، والآن نكتفى بهذا القدر .

والسلام

جمال الدين الحسينى

الحق الحق أن ملا على منذ يوم وصولى وهو فى خدمتى ، أسأل الله أن يوفقه ، وأرجو أن تكرموه .

١٤ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب باللغة الفارسية فى مدينة كرمانشاه فى ١٣ جمادى الثانية ، وترجمته بالعربية كالتالى :

«كرمانشاه ... ١٣ جمادى الثانية

جناب نير الفؤاد الحاج محمد حسن أمين الضرب ، لازال ثابتا على سبيل الرشاد والسلام...

فى يوم الخميس فى محلة حضرة عبد العظيم[١] هجم عشرون شخصاً من الجلادين من فراشى عمُر سعد (مختارخان) وكنت من المرض غير قادر على الحركة ، وكنت فى منزل معين التجار ، فسحبونى بعنف وأصابنى غضب وهياج شديد من هذا الأسلوب الذى يعكس حقد وضغينة جند ابن زياد[٢] ، وحينما تصورت أن يكون فى قلب أهل محلة عبد العظيم بقية من إسلام تدفعهم إلى حمايتى بفضل غيرتهم الدينية ، كظمت غيظى (بينما هذا التصور باطل ، وهذا الفكر

(١) قرية بالقرب من طهران اسمها الرى فيها قبر أحد أبناء آل البيت واسمه عبد العظيم .

(٢) يشير إلى ابن زياد قائد الجيش الأموى الذى قتل الحسين فى كربلاء وهذه الإشارة تثبت أن جمال الدين شيعى ، فهذا أسلوب الشيعة عند ذكر ابن زياد .

محال ، لأن الإسلام والدين ، والغيرة والحمية ، قد زالت جميعها منذ مدة طويلة كما سبق أن قلت) .

وقد حملونى بسرعة وسحبونى بشدة ، حتى إن زراير قبائى وقميصى قد ضغطوا عليها حتى كاد نفسى ينقطع ، فسقطت على الأرض ، وبعد ذلك لم أشعر بأية صورة حملونى إلى دار الإمارة عند عمر سعد ، وبقيت مدة أربع ساعات لا أعرف أين أكون ، فلما رجعت إلى وعي ، رأيت عمر سعد أمامى وهو عميد من الفرسان كان يراقب المنزل وشهرته حسن خان القزوينى ، وظللت مدة ثلاث ساعات بلا عمامة ولا رداء ، وكنت أشرب الماء باستمرار ، لأن الحرارة اشتعلت فى جوفى بشدة بعد حبس نفسى ، وقد ظلت هذه الحالة عندى حتى وصلت كرمانشاه فكنت أشرب الماء أربعين مرة فى اليوم الواحد ، وطلب منه أن أغادر كرمانشاه ، ولم يكن قد بقى على الغروب أكثر من ساعتين ، وكان يجب على أن أركب وأرحل ، وفى تلك الأثناء قلت لمختار خان أحضروا لى حقيبتى التى بها قليل من المال فثار وذهب ولم يعطوا لى حقيبتى التى بها بعض المال وبعض الكتب والأوراق ، ومهما قلت لجنوده أخبروه ليسلم لى الحقيبة لم يخبروه ، وقالوا فى آخر الأمر : اذهب ونحن نرسل لك الحقيبة إلى قم ، ثم أحضروا لى ربطة فيها ملابسى وأقلامى وأدوات الغليون ولكن أخذوا قلما وبعض أدوات الغليون وعصا أمام عينى فنهبوا هذه الأشياء التافهة فى حضورى ، كما سرقوا بعض أمتعتى ثم أركبونى وسار معى ثلاثون فارسا لمدة نصف ساعة ، ثم سلمونى إلى خمسة فرسان يرأسهم سنان بن عنس وهو عقيد يلقب حميد خان وكنت فى حالة شديدة من المرض وضيق النفس وارتفاع درجة الحرارة . وفى وسط الطريق نمت بدون غطاء ولا سروال بينما كان الجو شديد البرودة كثير الثلوج مع خشونة أخلاق الحراس وعدم إيمانهم وكنت أنام على لوح من الخشب ملىء بالقذارة والروائح الكريهة ، ولكم أن تتصوروا ما حدث لى نتيجة لهذا كله .

ومن العجائب أن جند ابن سعد سلبوا من جيبى ريالات قليلة كانت فيه ، ومن محلة حضرة عبد العظيم حتى كرمانشاه لم أذق طعم اللحم إلا مرة واحدة ، وكانت هذه المرة فى محلة دستكرد فقد كان من المصادفات العجيبة أننى قابلت الحاج ناصر صدفة ، والحق أنه أظهر كمال الصفات ، وكان عنده حصان فأراد أن

يعطيني إياه بنية خالصة ، ولكنى لم أقبل - أسأل الله أن يكون فى عونه - وأنا أكتب هذا لتعلموا المصائب التى أصابتنى وحطت على بدنى ، ولكن روحى كانت سعيدة - برغم كل هذا - وستظل سعيدة ، ومن غير شك فإن بعض الإيرانيين العقلاء يعلمون أننى ما جئت إلا لإصلاح أحوالهم الصورية والمعنوية ، وسأتحمل وأثبت إلى أقصى درجة ممكنة ، وأنا أقول هذا لا لكسب الوقت ولكنى أسأل الله أن يجعل هذه الحادثة المهولة من أسباب فوزى ، وأن يحقق أهدافى العالية وأن يضىء القلوب الطاهرة بنور الإيمان .... آمـــين .

وقد قرأت الخطاب الذى كنت قد أرسلته إلى محمد علي ، ولم أشك وقتا ما فى صفاء روحك ، وفى نقاء نفسك ، وفى علو سجاياك منذ أول يوم قابلتكم فيه ، وجزاء شكركم وثوابكم من الله . أبلغ محمد على أنه مادام ملا على - دائما - جاهزا للخدمة فإن كل شىء يلزم سيؤخذ منه .

ومازال جناب حسام الملك حتى الآن مجاملا ، والحق أن هذا عجيب أيضا .. وأنا الآن مريض ولذلك لم يتحدث عن رحيلى ، وأدعو الله أن لا يصيبكم نقص فى عزمكم أو فى إيمانكم ، بل يجب أن تحدث مثل هذه الواقعة المهولة بعد ذلك مرة أخرى لأن عجائب القدرة الإلهية تشاهد على الدوام من أعداء الدين والدولة وهى تزيد فى درجات إيمانى وتجعلنى أشاهد عدل الله بعين التحقيق .

جاءنى وكيل الدولة وقال : إن كل ما تريده من الخيل والنقود أنا على استعداد لتقديمه .. فشكرته .. .

أخبر (محمد على) أنه كان يقول إن أمين الدولة كتب إلى مدير البريد أن يجهز لي كل ما يلزمنى ولكن كتابك لم يصلنى حتى الآن .

أبلغ الحاج ملك وفاضل سلامى .

والســـلام ....

جمال الدين الحسينى

١٥ - خطاب من جمال الدين إلى الحاج أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى يوم ٢٠ رجب وترجمته العربية فيما يلى :

« ٢٠ رجب
إلى نير الفؤاد جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب .. جعله الله ظهيرا للحق حيث ظهر ، وأنى برز .

متى رحم ابن زياد آل الرسول ؟! .. إن الذى يقطع رأس إنسان هل ينشغل بدفنه بالكفن ؟! .. إن الشخص الذى يقطع سلالة على — عليه السلام — وينصر مجنونا يعطى زادا وراحلة لذريته ؟! .. ﴿ ألا لعنة الله على الكاذبين ﴾ نعم .. إن وقائع الماضى تشبه أحداث الحاضر ، لأن الأشرار جميعا — ولو جاءوا إلى الدنيا فى أزمنة مختلفة — يخرجون من شجرة خبيثة ، وأعمالهم وأقوالهم تكون متشابهة متماثلة دائما ، والسنة الإلهية فى عالم الخلق تكون على نهج واحد دائما ، وستظل هكذا إلى الأبد .

والآن ينبغى أن ننتظر عجائب قدرة الله .. لقد قمت بأداء حق النصيحة الدينية ، وطرحت الخوف والجزع فى سلوك طريق الحق ولم أجعل لهما طريقا إلى نفسى ، ولم أتوقف عن إبداء النصح وقد فعل الأشقياء كل مايقدرون عليه ، يجب أن نرى ماذا سيفعل الله ، ومما لا شك فيه أن كل إنسان تكون نفسه ضعيفة وإيمانه واهنا يستطيع أن يتخيل أى نوع من الخيال ، ويستطيع أن يقول أى لون من الكلام ، ويستطيع أن يعطى أى نوع من التفسير كما فعل السابقون ، وكما قالوا وكما أعطوا ، ولكن واجب على رب العالم أن يزيل الباطل ويثبت الحق ويظهره ويعلنه بحجته القاطعة . . .

نعم إن الفتن والامتحانات كانت على الدوام بهذه الطرق ، وإلا كيف يكون تمييز الخبيث من الطيب ، وقد كانت المصاعب والمخاطر والمهلكات دائما فى سبيل تقويم البشر وتعديلهم ، وإلا فأى فضل للمعدلين ؟! ومما لا شك فيه أن الأشخاص الذين يقنعون من الإيمان بالألفاظ وقلبهم لا علم له بحقيقته ، ولا شغل لهم إلا بظاهر الحياة الدنيا ولذائذها يعدون هذا النوع من الأعمال جنونا ، ولكن إذا توهج نور العقل يوما ونوّر الإيمان الحقيقى الجوهرى منزل قلبهم فسوف يعلمون أن ذلك الخيال لم يكن سوى خطوات فى طريق أبى لهب وأبى جهل إلى حين موت هذا النوع من الخيال وأرجو أن يتحقق اللقاء .

سلامى إلى ملك التجار وسائر المتصلين بك .. والسلام .
جمال الدين الحسينى

أنا الآن فى بغداد فى باب الله أغا (عقد الصفافير) فى خان الحاج عبدالصمد الإصفهانى .

١٦ - خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى شهر شوال وترجمته العربية فيما يلى :

« شوال ....

نيرّ الفؤاد الجناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب
نجاه الله من شرك الأوهام .... آمين

كما أن كل إنسان يستعمل حذقه فى مصالحه الدنيوية الخاصة ولا يتوانى فى التفكر فى دراسة أطراف الأمور وجوانبها ، ويجعل نفسه هدفا لجلب المنافع ودفع المضار وأصناف المصائب والبلايا ، ويتحمل أنواع الإهانات وألوان التحقير حتى يصل إلى هدفه المقصود أولا يصل ، فإن الإنسان ينبغى عليه كذلك أن يتذوق حلاوة الإيمان وأن يكون عنده يقين بحق الحقيقة ، وألا يقصر فى أداء الفروض الإلهية والواجبات الدينية حتى يدفع الآلام والأسقام عن نفسه ويبادر بتأدية كلمة الحق والقيام بأداء الأوامر الإلهية ، وأن لا يفكر فيما قد يصيبه من النكبات ومن كوارث الدهر ، فإذا آمن بالتفويض فى البداية وأحال الأمر إلى القضاء والقدر بعد ذلك نجا ، وإذا تواكل فإنه ينحرف عن صراط الله المستقيم ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ فإذا نظر الإنسان بنور البصيرة ، فإن الخسارة على رقعة الشطرنج هى عين الكسب والهزيمة مثل النصر (درع الأنبياء الأعلام الابتلاء والألم) وإن شاء الله الرحمن سوف تستفيد من كلمات العظماء أكثر من السابق .

وأحب أن أقول لك بعد ذلك إن أشقياء إيران لم يدعونى أعيش فى بغداد ، فأنا الآن فى البصرة ، وطريق نجد ومكة والمدينة مفتوح أمامى ، وعربان نجد يدعوننى إلى أن أذهب إلى نجد ويتحدثون عن طاعتهم لى ، ولكن المشورة لازمة ، وأرجو أن تكتبوا لى رأيكم وأن تكون كلماتكم من القلب ، وأنا على العموم مسرور وسعيد .

وإذا كنت قد أصلحت شأن معين التجار ونظرت إلىّ بعين العناية فأرجو أن تخبرنى بذلك فى ردك على خطابى ، حتى أسر بذلك .

بلغ سلامى لملك التجار والذين حوله ، واكتب لى آراءك وأفكارك وإذا كان أحد فى طهران له رأى فاكتبه لى ، وأنا لا أنسى (فاضل) ، جميع الطرق مفتوحة والبعض يرجون أن أذهب إلى الغرب .

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

بعد هذه الخطابات العديدة التى كتبها جمال الدين للحاج محمد حسن أمين الضرب ، والتى بلغت ستة عشر خطابا — كما وردت فى هذه الوثائق — اتضحت حقيقة جمال الدين اتضاحا جليا ، فلم يعد هناك لبس أو غموض يحيط بشخصيته أو بجنسيته أو بمذهبه الدينى .

فكما بينا – فى الجزء الأول من هذا الكتاب – كان أمين الضرب أحد كبار الموظفين الإيرانيين فى وزارة الخزانة ، وكان وثيق الصلة بناصر الدين شاه ملك إيران فى ذلك الوقت ، كما كان على صلة بجمال الدين إلى درجة أن جمال الدين كان ينزل ضيفا عليه .

ويستطيع الدارس لهذه الخطابات أن يستخلص منها مايلى :

أولا : أن جمال الدين إيرانى ما فى ذلك من شك – فقد ذكر فى أحد خطاباته أنه لا يطمع فى أن يكون صدرا أعظم أو وزيرا أو من أصحاب السلطان فى إيران ، أو أن يكون له مرتب ضخم ومخصصات كثيرة وإنما هدفه الإصلاح فقط وتحسين أحوال أفراد الشعب .

ومما لا شك فيه أن إنسانا لا يستطيع أن يتحدث بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب إلا فى وطنه ، فلا يعقل أن يقول شخص غير إيرانى مثل هذا الكلام أو أن يتحدث بمثل هذا الأسلوب .

ثانيا : أن جمال الدين شيعى ، لأنه يذكر حادثة كربلاء واستشهاد الحسين بنفس الأسلوب الذى يتحدث به الشيعة ، فالحسين سيد الشهداء ، والاعتداء

على آل علي اعتداء على الدين ، ويقول بعد ذكر الحسين أو عليّ عليه السلام كما يقول الشيعة .

كما يذكر يزيد بن معاوية وقواده باللعنة ، ويصفهم بأقبح الصفات كما يفعل الشيعة سواء بسواء ، وقد تحدث جمال الدين بهذا الأسلوب فى أكثر من خطاب مما يثبت أنه شيعى ، وأن توقيعه بجمال الدين الحسينى نابع من هذا الاعتقاد .

ثالثا : أن جمال الدين لم يكن على وفاق دائم مع محمد حسن أمين الضرب ، أو مع غيره من المسئولين الإيرانيين ، فقد انتقد جمال الدين فى كثير من خطاباته تصرف أمين الضرب مع ميرزا نعمة الله ، وطالبه بأن يحكم فى أمره بالحق والعدل ، وأن يراعى الله فى حكمه ، وأن يراقب الله فى كل أعماله ويخشى عقابه ويرجو ثوابه .

وواضح من لهجة جمال الدين فى خطاباته أن شخصيته قوية ، وأنه يستطيع أن يجهر برأيه فى الأمور التى تجرى فى داخل وطنه ، حتى ولو كان بعيدا عن الوطن .

رابعا : أن جمال الدين كان يتعرض للاضطهاد والإيذاء كلما زار إيران ، لأن بعض المنافسين له الحاقدين عليه كانوا يدسون له عند الشاه ، فيتغير رأيه فيه ويأمر بإخراجه من إيران ، وهذا - أيضا - يبين أنه إيرانى لأنه من غير المعقول أن يخشى المسئولون فى إيران رجلا أجنبيا ، ثم يسمحوا له بدخول إيران أكثر من مرة ثم يكشفوا حقيقته للسلطان العثمانى بعد ذلك ، كما اتهم بالاشتراك فى مؤامرة قتل ناصر الدين شاه - كما ذكرنا ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

خامسا : أن جمال الدين كان يقترض من أمين الضرب أحيانا ويعده بسداد ما اقترض ، وهذا دليل على أنه إيرانى ، لأنه لا يعقل ولا يتفق مع المنطق أن يطلب إنسان قرضا من موظف كبير فى بلد ما إلا إذا كان من أهل البلد نفسه ، ولا يعقل ولا يتفق مع المنطق السليم - كذلك - أن يرسل مسئول إيرانى مبلغا من المال إلى رجل أجنبى إلا إذا كان عميلا له ، ولا يبدو من أسلوب الخطابات أن جمال الدين كان عميلا ، لأن العميل الذى يقبض ثمن عمالته لا ينتقد ولا يوجه ، وينصح ولا يعترض على تصرفات المسئولين ، وإنما يتلقى الأوامر والتعليمات وينفذها .

ولهذا لا يمكن أن يكون جمال الدين عميلا يعمل لحساب أمين الضرب ويقبض أجر عمالته ، بل من الثابت أنه إيرانى ، لأن خطاباته إلى أمين الضرب تثبت أنه أكبر حجما وأقوى شخصية من أمين الضرب . ولهذا كان أسلوبه فى الخطابات - التى عرضناها - أسلوب رجل أعلى يخاطب رجلا أدنى .

سادسا : أن جمال الدين كان يقوم باتصالات فى روسيا القيصرية ، ويقابل المسئولين فيها ويتباحث معهم فى الأمور السياسية ، ولا يعقل أن يقوم بهذه الأعمال من تلقاء نفسه أو بدون أن تكون له صفة مايتعامل بها ، ولابد أنه كان مكلفا بالقيام بهذا النشاط السياسى .

ومن المرجح أن المسئولين فى إيران كانوا يحاولون الاستفادة من شخصية جمال الدين العالمية ، بأن يكلفوه بالتوسط لدى الروس أحيانا ولدى الإنجليز أحيانا أخرى ، لحل بعض الأمور المعقدة التى تهم إيران .

ونعرض الآن رسائل جمال الدين إلى شخصيات أخرى حتى تزداد الحقيقة وضوحا وجلاء والله ولى التوفيق .

ثانيا : خطابات جمال الدين إلى محمد جواد :

١ - **الخطاب الأول** : وهو مكتوب باللغة العربية فى ٣٠ أبريل - الموافق شهر شعبان - ونصه كالتالى :

«حبيبى الفاضل ....

جاءنى منك كتاب سلكت فيه المسلك القديم ، كأنك أخذت على نفسك أن لا تغير عادة ولا تبدل مشربا ، فما كان عليك أن تبث فيه خطرات قلبك ، وتنوعات حالات نفسك ، وتحولات قوى عقلك ، حتى يكون كتابك مرآة تحاكى ما تمثلت به فى طى قناطر الحوادث التى طرأت عليك فى مدارج السن ، أفما كان عليك أن تبسط ما ترى عليه عالم دهرك بعد رشدك ، هلا تغير نظرك ؟!.. هلا رأيت من الناس ماكان مخفياً عليك من قبل ؟! وكيف ذهلت عن

بيان أفكار ساكنيك فى موطنك ؟! .. وكيف صمت عن ذكر وقائع الدهر وحوادث الزمان .. وأنا كنت أعلمك طرز تحرير الوقائع ليوم كهذا ، تبين فيه ماأنت عليه ، وما عليه عالم دهرك وتسلم على والدتك المحترمة .

والســـلام

جمال الدين الحسينى

٢ - **الخطاب الثانى** :وهو مكتوب باللغة الفارسية فى فندق جراند هوتل فى مدينة بطر سبرج الروسية ، وترجمته العربية فيمايلى :

« بطرسبورج .... جراند هوتل

حبيبى اللبيب جناب السيد محمد جواد ... دام سالما

وصلت بحمد الله إلى مدينة بطرسبورج وبعد أن مكثت يومين فى فندق يورب انتقلت إلى فندق جراند هوتل ، وقد قابلت « بابادانوف » وزير الدين والأمور الخاصة بالقيصر ومحل أسراره .

أبلغ سلامى الكثير إلى الحاج محمد مهدى وكذلك إلى الحاج نصر الله وإلى ميرزا حسين والحاج أبى طالب .

والســـلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٣ - **الخطاب الثالث** : وهو مكتوب بالفارسية فى ٢ أكتوبر ١٨٨٨ م الموافق ٢٦ المحرم ١٣٠٦ هـ وترجمته العربية فيما يلى :

« ٢ أكتوبر ١٨٨٨ م

حبيبى .. لتكن دائما مسرورا سعيدا ...

وصلنى خطابك .. ولكن الخطاب الذى أعطيتك لترسله إلى جناب الحاج أمين الضرب لم يصلنى رده حتى الآن . وعلى كل حال فقد سعدت بأن مسألة السكك الحديدية قد سويت بصورة ما - الحمد لله رب العالمين - لأنه بدون هذا

كانت الأعمال تتعقد كثيرا .

أبلغ سلامى إلى الحاج ، وقل له إننى أقضى أيامى فى غاية السرور والسعادة ، وجميع أمورى بحول الله ميسرة وستسمع نتائج هذا فى طهران ، لأننى ليس لى صديق كما تعلمون حتى أثنى على نفسى أمامه وأقول إننى فعلت كذا وسأفعل كذا ، ولن أكتب خطابا .

أبلغ سلامى إلى جميع الإيرانيين فى موسكو واحدا واحدا .

والســـلام

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

واضح من خطابات جمال الدين إلى محمد جواد الإصفهانى - وهو ابن خال الحاج محمد حسن أمين الضرب - أن جمال الدين كان يكلف بالقيام ببعض المهام ، فقد قابل أحد وزراء الروس المقربين إلى القيصر ، كما أظهر السرور بتسوية مسألة السكك الحديدية ، وقال إنه بدون هذه التسوية تتعقد الأمور كثيرا ، ثم قال إنه لايفتخر بأنه فعل كذا وسيفعل كذا وكذا حتى يظهر أهميته لأمين الضرب .

وهذا كله يدل على صلة جمال الدين بالمسئولين فى إيران واهتمامه بأمور وطنه الأصلى ، وحرصه على تسوية الأمور وحل المشاكل المعلقة بين وطنه إيران وروسيا القيصرية ، أو بين إيران وتركيا ، أو بين إيران وانجلترا ، كما لاحظنا فى خطاباته الكثيرة السابقة التى عرفناها من قبل .

وليس معقولا أن يهتم رجل مثل هذا الاهتمام بقضايا بلد غير بلده ، أو أن يتحمل الأذى والاضطهاد ليخدم بلدا غريبا عن بلده ، ولايمنعه الأذى عن مواصلة الاهتمام والاشتغال بقضايا هذا البلد .

ونعرض فيما يلى خطابات جمال الدين إلى شخصيات أخرى ، فلعل فيها مايزيد حقيقته وضوحا وثبوتا والله الهادى إلى طريق الرشاد .

خطابات جمال الدين إلى ملا محمد علي :

١ - **الخطاب الأول** : وهو مكتوب بالفارسية فى بغداد فى ٢٠ رجب ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) وترجمته العربية فيما يلي :

« ٢٠ رجب ....

إلى المحب ملك أهل الذوق والشهود جناب السيد محمد على - دام سالما -

لا تظن أننى لا أعرفك ، ولا أعلم خلوص قلبك وصفائه لا .. ليس الأمر هكذا .. فأنا بيقين أحبك ، وأستحسن استقامتك فى الأعمال ، وكم يتمنى قلبى أن يكون كثير مثلك من أصحاب القلوب الصافية فى دائرة جناب الحاج الذى هو فى الواقع الخادم الحقيقى للشعب والأمة .

والآن جواب خطاب الحاج لم أرسله إليك ، لأن الحاج نفسه كان قد كتب لى بأن أسلم على ملا على ، فأردت أن أرسل خطابا مستقلا إلى جناب الحاج وأن أرسله إليه وأن أبين فيه خدماتك الحسنة بالتفصيل ، ولكن نظرا لأننى كتبت خطابات كثيرة ، فلم تكن لى طاقة على كتابة المزيد ، فالتمس العذر ، وإن شاء الله الرحمن سأكتب فى البريد القادم ، وسأرسله إليك بأخبارى ولتعش سالما .

والسـلام

بغداد درب باب الأغا سوق الصفافيرى - وأنا أقيم فى خان الحاج عبدالصمد الإصفهانى .

جمال الدين الحسينى

٢ - **الخطاب الثانى** : وهو مكتوب بالفارسية فى ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) وترجمته الفارسية فيما يلى:

« ذو الحجـة ...

جناب المبجل المكرم الصديق ملا على صاحب دام فى سلامة .. .

وصل خطابك فسبب اضطراب خاطرى كثيرا .. إنك لم تكتب سبب قتل

ميرزا محمد رضا .. وقد سمعت فى هذا المكان أيضا أنهم قتلوا الحاج سياح .. وأنهم وجهوا التهمة إلى الحاج .. وأنهم وضعوا الكثيرين غيره فى السجن أرجو أن تكتب بسرعة تفصيل هذه الوقائع وأن تشرحها جيدا ، وماذا وقع فى دار الخلافة .

ولا شك فى أنك ستكتب - قطعا - تفصيل هذه الأحداث بسرعة .

والســـلام

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

واضح أن ملا محمد على الذى كتب له جمال الدين الخطابين المذكورين كان أحد رجال الحاج محمد حسن أمين الضرب المقربين ، مما جعل جمال الدين يوثق صلته به ، ويحاول أن يعرف منه تفاصيل بعض الأحداث .

وقد هزت جمال الدين أحداث القتل التى وقعت فى بلاده وعلى رأسها قتل الشاه ناصر الدين القاجارى ، فأراد أن يعرف تفاصيل هذه الأحداث ، خاصة وأن شائعات راجت بأن جمال الدين هو المدبر لاغتيال الشاه ناصر الدين .

وكان جمال الدين - كما يبدو من الخطاب الثانى - يريد أن يعرف وقع هذه الأحداث فى دار الخلافة حيث يوجد السلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين فى ذلك الوقت .

وقد وضحنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب أن جمال الدين انكشف أمره لدى السلطان العثمانى الذى عرف يقينا أنه إيرانى الأصل شيعى المذهب ، فكان هذا إيذانا بنهاية جمال الدين .

خطاب من الشاه إلى أمين السلطان :

تضم الوثائق التى نعرضها فى هذا الجزء من كتاب « حقيقة جمال الدين الأفغانى » خطابا من الشاه ناصر الدين القاجارى إلى أمين السلطان ، وهو خاص بجمال الدين .

والخطاب مكتوب بالفارسية بخط الشاه وترجمته العربية كالتالى :

« تحريرا فى ٢٣ من ذى القعدة الحرام سنة ١٣٠٧ هـ

جناب أمين السلطان

تقرر أن ترسلوا جمال الدين إلى الحاج محمد حسن فى قم ليقيم هناك ، فإذا كان لايزال موجودا فى طهران حتى الآن فاكتبوا ورقة إلى الحاج محمد حسن حتى يرسله إلى قم فورا . » .

نقد وتعليق :

هذا الخطاب الموجز الذى أرسله الشاه ناصر الدين إلى أحد رجاله لإبعاد جمال الدين إلى قم بعد أن خاف الشاه من وجوده فى العاصمة ، دليل على قوة نفوذ جمال الدين فى وطنه ، إذ من المستبعد أن يكون لشخص غريب فى دولة ما نفوذ وقوة يخشاهما رئيس هذه الدولة ، كما أن إرساله إلى قم بالذات دليل على أن جمال الدين شيعى ، لأن هذه المدينة تعد العاصمة الدينية لإيران ، حيث يقيم فيها الزعيم الدينى ، الذى يعد شيخ الإسلام فى إيران ، ومازال الزعيم الدينى للشيعة فى إيران يقيم فى قم إلى الآن بدليل أن آية الله الخمينى الزعيم الدينى فى الوقت الحاضر يقيم فى هذه المدينة

بقى أن نذكر أن الوثائق تتضمن فى الصفحات الأخيرة منها رسائل متبادلة بين رجال الشاه ناصر الدين القاجارى فيها إشارات إلى جمال الدين تدل على أنه كان شخصية لها وزن كبير فى إيران ، مما جعله هدفا للحساد والواشين الذين يخشون من وجوده ، فدسوا له عند الشاه ناصر الدين ، حتى اقنعوا هذا الملك بأن وجود جمال الدين فى طهران خطر على ملكه ، لأن جمال الدين قريب إلى قلوب أفراد الشعب الإيرانى ، مما يجعله شديد التأثير فيهم ، ولهذا فإن جمال الدين كان كلما زار إيران لا يستقر فيها طويلا ، ثم يخرج منها مطرودا بأمر الشاه ، وظل الأمر على هذا المنوال حتى قتل ناصر الدين ، فاتهم جمال الدين بالاشتراك فى مؤامرة قتل الشاه ، وكان هذا الاتهام كافيا لوضع نهاية لحياة جمال الدين ، فقد كشفت حكومة إيران حقيقة جمال الدين أمام السلطان العثمانى وأقنعته بأنه شيعى إيرانى يتخفى فى زى سنى أفغانى ، فدس رجال السلطان لجمال الدين السم فى الطعام وتخلصوا منه كما وضحنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

خاتمـــــــة :

لعلنا وفقنا فى نشر هذه الوثائق الخاصة بجمال الدين الأفغانى ، وعرضها على المهتمين بدراسة هذا الرجل ، الذى لمع نجمه فى سماء كثير من الدول العربية والإسلامية ، وذاع صيته فى الشرق والغرب ، وقام بأدوار سياسية برغم أنه كان يبدو فى زى عالم من علماء المسلمين ، وداعية من كبار الداعين إلى الوحدة الإسلامية من أجل دفع الشعوب الإسلامية إلى التقدم فى طريق الحرية والرقى والازدهار .

وقد حرصنا على عرض الوثائق كما هى فى أصلها بخط صاحبها ، ثم عرض ترجمتها العربية ، حتى يستطيع أى دارس أن يستفيد منها ، كما أتبعنا الوثائق بالنقد والتعليق حتى تتضح معالمها ، ويتنبه الدارسون إلى مافيها ، ويشترك المهتمون بمعرفة حقيقة هذا الرجل فى دراسة الوثائق بتعمق ووعى للوصول إلى الحقيقة العلمية التى يمكن الاطمئنان إليها .

ونستطيع بعد كل ما قمنا به من عرض للوثائق ودراسة لها – ثم نقدها والتعليق عليها – أن نقول إن هذا كله جعلنا نصل إلى النتائج التالية :

أولا :أن جمال الدين كان إيرانى الأصل ، وأنه عبر عن هذا بوضوح فى أكثر من وثيقة واعترف بأن إيران وطنه ، وكان اهتمامه بمتابعة سير الأمور فى هذه البلاد ، وحرصه على الاتصال بكبار الرجال المحيطين بالشاه من أوضح الدلائل على أنه إيرانى ، لا ينسى بلده مهما اضطرته الظروف إلى تغيير شكله الظاهرى .

ثانيا : أن جمال الدين كان شيعيا إماميا ، وقد وضح مذهبه فى عدد من هذه الوثائق عند إشارته إلى مقتل الحسين بن على – رضى الله عنهما – وكذلك عند ذكره للأمويين ، مما جعله يحرص على أن يكون توقيعه : « جمال الدين الحسينى » .

وقد حاول جمال الدين أن يخفى هذه الحقيقة ولكن أمره افتضح فى النهاية .

ثالثا : أن أسلوب كتابة جمال الدين واللهجة التى استعملها من الأمور الدالة على أنه إيرانى ، لأن كل بلد لها لهجة تستعملها فى لغة الحديث ، ولها أسلوب

تستعمله فى لغة الكتاب ، وقد استعمل جمال الدين بعض عبارات وأمثلة عامية فى خطاباته تدل على أنه إيرانى .

رابعا : أن حياة جمال الدين كانت حافلة بالأسرار ، مما جعل علامات الاستفهام تظهر فى كثير من مراحل حياته ، وقد ساعدت هذه الوثائق على معرفة هذه الأسرار والإجابة على الأسئلة التى كانت تثار فى أثناء مراحل حياة جمال الدين المختلفة .

والأمثلة على ماذكرناه كثيرة : منها عدم مهاجمته للإنجليز برغم أنهم كانوا أكثر المستعمرين خطرا على الدول العربية والإسلامية ، ومنها صداقته للمسئولين الإنجليز وبخاصة من حزب المحافظين ، ومنها عدم تعاطفه مع الزعيم المصرى أحمد عرابى ، ومنها القيام بمهمات معينة فى الهند وبلاد الأفغان بتكليف من المسئولين الإنجليز أحيانا ولولا الوثائق التى عرضناها ما اتضحت هذه الأمور جميعا .

خامسا : أن جمال الدين كان ماسونيا ، وكان حريصا على الالتحاق بطائفة الماسونية ، وكان عنده استعداد للتقدم تحت مظلة الماسونية حتى أصبح رئيسا لهذه الطائفة فى مصر ، مما يرجح أنه اتخذ الماسونية وسيلة لتحقيق مآربه والتوجه إلى الدول الأوربية ، وممارسة ألوان من النشاط السياسى فى هذه الدول .

ومن المعروف أن الماسونية من المذاهب الهدامة التى صدرها المستعمرون إلى بلاد المسلمين لبلبلة أفكارهم ، أى أنها كانت نوعا من الغزو الفكرى الذى أصاب بلاد المسلمين .

ولا شك أن فى انضمام جمال الدين إلى الماسونية ووصوله إلى أعلى المناصب فى هذه الجماعة يدل دلالة واضحة على أن جمال الدين كان له دور سياسى يفوق دوره الدينى فى ميدان الدعوة إلى توحيد صفوف المسلمين .

سادسا : دلت الوثائق كذلك على أن جمال الدين كان قوى الشخصية شديد التأثير على الذين يتصلون به من الأصدقاء والتلاميذ ، حتى إن المتصلين به كانوا يخطبون وده دائما ، وينافقونه ، ويرتاعون إذا غضب جمال الدين عليهم .

وقد استطاع جمال الدين بهذه الوسيلة أن يحقق نجاحا كبيرا فى نشر مبادئه وأفكاره وإقناع الناس بها .

سابعاً : كشفت الوثائق حقيقة بعض الشخصيات التى كانت لها صلة وثيقة بجمال الدين فى مصر مثل إبراهيم اللقانى والشيخ محمد عبده ورفاعة الطهطاوى .

فقد كان إبراهيم اللقانى والشيخ محمد عبده يشاركان جمال الدين أفكاره ، وانتسابه إلى الماسونية . ويخاطبان جمال الدين كما يخاطب العبد ربه ، بأسلوب كله نفاق ومداهنة لا تليق بهما ، فلا يتورعان عن الذم فى وطنهما مصر ، إذا تغير رأى جمال الدين فيها أو خرج منها مطروداً ، لافتضاح أمره بين طائفة الماسونية ، أما رفاعة الطهطاوى فقد أثبتت الوثائق أنه كان يستعمل الموظفين فى تأليف كتب أو تحقيقها ثم ينسب هذا العمل إلى نفسه ، وينشر الكتب على أنها من تأليفه وتحقيقه ، مما يعيب رفاعة الطهطاوى الذى مازال يتمتع بشهرة وسمعة طيبة بين المصريين على أنه من رواد النهضة العلمية الحديثة فى مصر .

ثامنا : كشفت الوثائق أن الأجانب الذين كانوا يعملون فى مصر فى أثناء وجود جمال الدين فيها لم يكونوا مخلصين لمصر ، فسواء أكانوا صحفيين أم تجارا أم يمارسون وظائف حساسة فى الدولة فإنهم كانوا ممالئين للخديوى إلى جانب كونهم عملاء للمستعمرين أى أنهم كانوا يراعون مصالحهم الشخصية ، ويفضلونها على مصلحة الدولة التى يعيشون فى كنفها ، ويكتسبون جنسيتها .

وصفوة القول أن الوثائق التى وفقنا إلى عرضها على المهتمين بدراسة جمال الدين المعروف بالأفغانى ، والراغبين فى معرفة حقيقته معرفة يقينية ، قد كشفت أمورا عديدة ، وألقت الأضواء على أحداث فترة من فترات تاريخ الشرق الإسلامى الحديث كانت زاخرة بالأحداث العالمية ، لأنها شهدت تنافسا واضحا بين انجلترا وفرنسا أكبر دولتين استعماريتين فى ذلك الوقت ، إلى جانب محاولات مستمرة من روسيا القيصرية للسيطرة على أفغانستان وإيران والوصول إلى المياه الدافئة .

ومازال الصراع قائما بين الدول الطامعة فى بلاد المسلمين إلى يومنا هذا ، مما يحتاج إلى يقظة إسلامية واعية تنقذ بلاد المسلمين من كيد الطامعين ، مع تأييد من رب العالمين .

ونرجو أن نكون قد وفقنا ــ بعد عرض هذه الوثائق ــ فى كشف حقيقة جمال الدين الأفغانى .

ونحن نرحب بكل نقد بناء يزيد الحقيقة وضوحا وجلاء ، حتى نصل جميعا إلى الهدف المنشود .

والله ولى التوفيق

وسلام على المرسلين

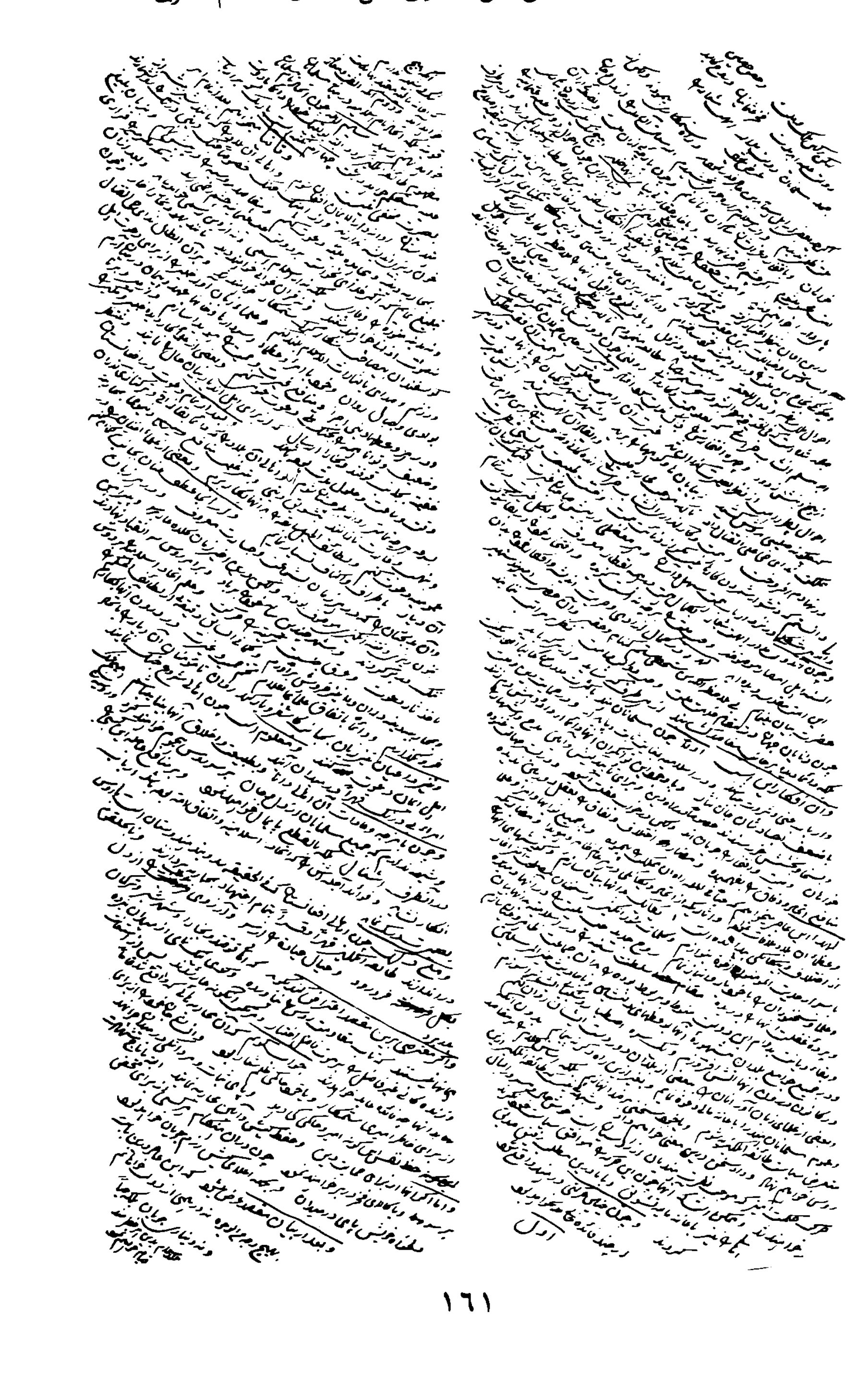
والحمد لله رب العالمين

ملحق
مجموعة الصور والوثائق
المترجمة بالكتاب

(أ) ترجمة هذا الخطاب من ص ١٤ إلى ص ١٩ فى القسم العربى



(أ) ترجمة هذا الخطاب من ص ١٤ إلى ص ١٩ فى القسم العربى



بعد از تحصیل الفاظ عالیه و معنی بلیغ

در مند سلیع این ز برای اسمو امرای افناع

که خیلی سال کان محو نیم کرد امرای خطر بلا داد ان دولت

و بلوم و در کمال این که او قبیل و فضول سعی و عمل مقبول اثر مقبول

و لکن از الکهاب از قبیل فضول لغایت است زبان مجرب و اول ... آنکه ابد

و بعد ... چون آن بلا در این علیه ... نماید ... وزیر طلب اتفاق ...

و دیگر ... و احوال ... عقل ... بدون ... عالم

[illegible]

(ب) ترجمة هذا الخطاب من ص ٢٢ إلى ص ٢٧ من القسم العربي وهو يضم التصاوير من ٢٨ إلى ٣١

[illegible] در اسلامبول و مادام (انگلف) که از خواهش [illegible] انگلیس [illegible] در میانه روس و انگلیس [illegible]

با خود متفق کردم

و در طرف [illegible] ([illegible]) و با مستشار [illegible] (دو) و ([illegible])

ملاقات کردم و پیش [illegible] که در مقصد جناب (وزیر) شرح تمام [illegible] نمودم که [illegible] و [illegible] سیاسیه [illegible]

که صلاح دولت روس [illegible] آنست که [illegible] با دولت ایران [illegible] مسالمت [illegible] برادر [illegible]

و در [illegible] ترکمانیه [illegible] دیگر خاطر [illegible]

چون دیدم که این مطلب اصلی [illegible] و مقبول کردید [illegible] دوری داد و آتش غضب [illegible] در آن وقت مقصد

جناب (وزیر) [illegible] که وزیر اعظم [illegible] (ما [illegible]) [illegible] که [illegible] تبلیغ [illegible] که [illegible] حاضر [illegible]

که [illegible] جنگ [illegible] دولت روس [illegible] و انگلیس در مملکت

ایران [illegible] دوباره برقرار کنند ([illegible] این مطلب [illegible] جناب (وزیر) [illegible] دولت

[illegible] چنانچه [illegible] این مطلب [illegible] از ([illegible]) [illegible]

[illegible] (انگلیس) [illegible] پس [illegible] جناب (وزیر) برسید [illegible] گفتند باید [illegible]

[illegible] مشورت کنیم [illegible] بعد از [illegible]

[illegible] جواب [illegible] جناب (وزیر) برسانید [illegible] این [illegible]

[illegible] دولت ایران [illegible]

پس [illegible] مشورت [illegible]

دیگر که از جانب وزیر اعظم [illegible] پس گفتند که اگر جناب (وزیر) [illegible] در جواب رسالهٔ این

دو مسئله [illegible] از طرف ما تبلیغ کنی و چون [illegible] مسئله [illegible]

[illegible] کرده

این عاجز [illegible] که بقوت الهیه [illegible] پس از اطلاع تام از جمیع مسائل رسالهٔ [illegible] روس در مشرق [illegible] بدولت [illegible]

تام و وزیر اعظم [illegible]

چون بطهران رسیدم [illegible] جناب (وزیر) [illegible] محمد حسن [illegible]

[illegible] و این عاجز [illegible] تمام [illegible]

حضور [illegible]

و این [illegible] وزیر اعظم [illegible] این عاجز سؤال کرده که در (وطن [illegible]) چه اتفاق شده و جواب آن مسئله [illegible]

[illegible] چه شد [illegible] بعضی از [illegible] برای احوال [illegible]

[illegible]

چون [illegible] در جواب گفتم که [illegible] از طرف وزیر اعظم استعفا [illegible]

[illegible] که احوال جناب (وزیر) [illegible] معلوم کرده با همه [illegible]

در (وطن [illegible]) [illegible]

[illegible] (که [illegible] وزیر اعظم [illegible]

[illegible] از این [illegible] روس در طهران و یا با سفارت ایران در [illegible]

[illegible] که [illegible] بعضی [illegible] اگر [illegible] از این [illegible] طرف [illegible] معقول است — [illegible]

[illegible] اولی [illegible] عقده [illegible] محکم کردن — اعلیحضرت [illegible] نتایج این گونه [illegible]

[illegible] خداوند [illegible]

جناب وزیر اعظم چون از مضمون آن [illegible] مطلع شد [illegible] بخلاف عادة سیاسی جهان [illegible] تأسف نماید که چرا [illegible]

روس [illegible] (امیر صاحب) که [illegible]

که [illegible] (انا لله و انا الیه راجعون) [illegible]

[illegible] با این [illegible]

[illegible] خداوند [illegible]

[illegible]

[illegible] وزیر اعظم از [illegible]

[illegible]

(جـ) نص الخطابات العربية المكتوبة بخط جمال الدين وهى موجودة بالقسم العربى من ص ٣١ : ٤٥

مولاي

أنت الحق وأنت ابن الحق إذا كان لا تحيد عن الرشد ولا تميد عن

السداد ولا تتهاون في فريضة العدل ولا تقصر في واجبات كمال النفس

وطهارتها وتصدع بالصدق وتقول الحق لا تأخذك فيه لومة لائم

ولا يلويك عنه جبنة ظالم ولا يصدك خشية غاشم ولا تكتم الشهادة

خوفاً من الجائرين واسترضاء للخائنين — وأنت كنت أعلم

حقيقة مجالسنا وأسباب وسبب وقوع الفساد فيه ما كان

يخفى عليك شيء وكنت عارفاً [illegible] بواقع أمري مطلعاً

على سريرتي وسري — فكيف صبرت مع كونك مجبولاً على الحق

مقسوراً على حمايته أن ينسب [illegible] إلى عثمان باشا الصالح

ما نسب من الأكاذيب والافتعالات وقال افتراءً وكذباً

إني كنت رئيساً على مجمع قد وضع أساسه على فساد الدين والدنيا

حتى ادعى المحذور [illegible] إلى قوله فأمر بنفيي ما شئت صورة

— أمثلك يهاب أن يقول الحق ويخشى أن يصدع بالصدق

— أمثلك يكتم الشهادة — أمثلك [illegible] يرى الظلم

ويتهاون في دفعه ويتقاصر دفعه — حاشاك حاشاك

ما هكذا الظن بك ولكن... — ثم يا مولاي أرسلت (العارف) إلى صاحب الدولة رياض باشا

لقبض أموالي وكتبي التي بقيت في مصر فأرجو رجاء من يعتقد أنك

أهل لكل أن تجعلني تنظر إليه بنظر عنايتك كما هو سجيتك

وعادتك — وأنا الآن في القنال أذهب إلى لندن ومنها

إلى باريس مسلماً عليكم سلام المشتاق إليك

مولاي ... ما اخذ ذا اليوم في القتال وذهب الى لندن ومنها الى باريس ... عليكم ويمجد اياكم ... يكون اداء طوله [illegible]

وكفاة لعلو شانكم ويعادل عظم ... حبكم في نزاهة النفس ... من حقائق الصفات وكرائم الاخلاق ...

التي ... مدارج ... بالعقل المطبوع ... وبما فطرتم عليه من جبلة تأبى ان اقف في الطعن

دون ان انطق ... ان تكتفي ... الآن ... لا اشك انكم ان المصيبة العظمى التي ... الكبرى التي ... اصابتني قد احطتم بها علماً وانكشف لكم باطنها ... خفيتها

... حقيقتها وعلمتم انها كانت حيفاً على بريء ... الآن تحت ...

محجوبة عن بصير تلكم ... في اطباق ... المظلمة ... العمى — لان عقلاء

محضاً ... مثلكم لا ... الظواهر ولا يصغي الى نعق ناعق ولا ... سمعه قول ... ولا ... التقولات ...

... بل لا يمشي في الحوادث ... والانقياد في الوقائع الا ... او ... السبيل الى ... — لانه يعلم ان

من يأخذ بالظاهر يعتر ويغتر والذي يتبع كل ناعق ... وكم ... الحق بلباس الباطل وكم ظهر الباطل

... الحق ... العدل ... بعلامة الجور — ... ان يكون من الذين عقولهم في آذانهم

... في حاشيتهم ... يعتقدون

ما يقولون ويقولون ما يسمعون ثم يجلسون على منصة ... لا عقل ... ولا ...

من سوء ... ولا ارتاب انكم بما جبلتم عليه من الفطرة ... والطينة ... قد ... المزية

التي ... اللتي معكتني ... فان من لا ... مصيبة ...

... ان ... ولا يبالي ان يكون ... ولسوء ... معرة ولا كبيرة فان ... العقل وقسوة القلب

واذا اجتمعت ... في رجل فقد ... العدل حقاً والنصف ...

... هذا ... بل انا موقن انكم ... عقلاء ... قد ... حقيقة هذه المصيبة وسببها

... سحب ... التلبيس ... الزور على ... عقول ... فقد استبعد

هذا الجور واستهجنتم من هذا ... الذي ... يد الجهل والقسوة ... المظلوم البريء ...

... ان ... قلوب الذين لا يعقلون

ان ... على المظلومين ... بمقدار العدالة وحب النصفة و ... العدوان وكراهة الجور

وانت تعالى ... القدم الاعلى في العدالة والقدح المعلى في النصفة —— ومع هذا ... وذا لك

اريد ان اخبركم بحقيقة هذه ... حتى يكون سمعها كعيانها ... ما ... اقول ان الخديو

كان يحبني قبل ان ينال الملك محبة صادقة ... وانا ... لم ... من ... ولا ازال ... حتى ان ... الشيخ ... باشا ...

حتى ... هذا ... — وان جماعة من الافرنج المسونيين ... من ... العامة

ونفالة ... الماضية وبقايا ... المنتصرة الذين كانوا تحت رئاسة عبد الحليم باشا ... في جلس المسون

في القاهرة ... سعوا لعبد الحليم باشا وانا ... الخديو ... بالعداوة ... الحضرة ... مجلسهم

... كان ... معزول ... الخديو و ... رياسة ... و ... القاهرة ... حليم ...

وكانوا ... واجدادهم ... ويعظمون ... هذا ... الخديو — حتى ان المسونيين من الافرنج واذنابهم

وبعضها الى (انبرتو) قنصل الفرنسا وبلغوه ان ضغط المصريين مع عبد الحليم باشا وخلعهم [illegible] معه ويخوفونه من وقوع الفتنة ان عدل عنه الى غيره

[illegible] — ولما بلغني هذا استهجنت انا والمعتزلين تحت الخديوي [illegible] الى القنصل فكذبت ما افتروه واخبرته حقيقة الامر وكشفت القناع

عن ضمائره — وقد اعلن كل هذا في الجرائد الوطنية [illegible] وليس للخديو ان ينكر ما فعله [illegible] هذه المساعي [illegible] الان [illegible] على [illegible]

ويكفي انا الارادة [illegible] — ولما ايس احزاب المسيو [illegible] الرجوع [illegible] والاتفاق معه [illegible] تصلبني على هذا الرأي

الفاضل وثباتي على هذا العزم الباطل [illegible] من عزم عبد الحليم باشا [illegible] في [illegible] افتعلوا [illegible] وخلقوا [illegible]

فبهتوني واتهموني ونسبوا الى الخلعة [illegible] منه والى السوسياليست اخرى واشاعوا كذبا وبهتانا اني عازم على قتل الخديو والقناصل

جميعا — بالعقل والعاقل من يرى في الخدوش التي تقوم بهذه الامور الصعاب وانا رجل غريب في مصر وما كنت الا ضعيفا [illegible] ان يوجد في هذا

ادم شخص يعير سمعه الى هذه الاباطيل والزور ان [illegible] ولكن قد وجد — وبعدما قال الخديو [illegible] مثلا المسيو [illegible]

احزاب عبد الحليم باشا [illegible] الى الخديو والقول [illegible] تشفيا لغيظهم — [illegible] وما رفضت [illegible] مع حلمي

بكثرتهم وقوتهم الا [illegible] على وثقة به — وما كنت ادري ان الخوف من حيث الثقة — وقد كتب [illegible] في جميع الجرائد

المصرية العربية والافرنجية [illegible] واظهرت للحكومة انها [illegible] وسعت [illegible]

[illegible] قد اتاني اكثرها — وقد اعان المسيويان احزاب عبد الحليم باشا على اختلافاتهم وساعدوهم [illegible] الشخص

المنكوس [illegible] والرجل المعيوب عثمان باشا المغلوب الذي كان ضابط البلاد فذاك [illegible] لضغينة تقدت في احشائها

وهي ان [illegible] كتبت جريدة من الجرائد في ضمن مقالة ما معناه ان عثمان باشا ضابط البلد مثلا ليس معصوما [illegible] ويصيب

[illegible] ذاك المركوس [illegible] واخذ الاستاذ بذنب التلميذ وزاد على الخديو احزاب عبد الحليم [illegible]

[illegible] — وسمع ان ذاك الشريف باشا [illegible] واغلظ وزجره ونهره [illegible]

فلما [illegible] الشريف باشا قام ذاك اللئيم مترقدا ملتهبا اخذا منه اشارة اليه [illegible]

الى [illegible] ان الشريف باشا زجره وعاتبه [illegible] في ليلة [illegible] الان في قبضتي

ان شئت احرقتك بالنار وان شئت [illegible] فان الشريف باشا زجره في مجلسك وتوعدني في العزل [illegible]

[illegible] — وبالجملة ان ذاك اللئيم [illegible] بهذه العلل الواهية وباغراء احزاب عبد الحليم كان يلفق كل يوم

الاكاذيب ويختلق [illegible] ويبلغها الى مسامع الخديو [illegible]

[illegible] وانا لثقتي [illegible] واعتمادي عليه [illegible] بهذه [illegible]

هذه الاكاذيب في حق رجل قد جاء ببلاده [illegible] في وقت [illegible] — ولكن [illegible] خلاف [illegible]

ما كنت اعتقد [illegible] — ونسي الخديو [illegible]

[illegible] عن تدبر [illegible] واريد الغدر به [illegible] عن الديار المصرية ظلما وجورا [illegible]

عن ذلك [illegible] الا اشتغال الضابط الى [illegible] من الليلة السادسة [illegible] رمضان لدى العتمة

[illegible] من بيت [illegible] باب العطار فاخذوا [illegible] بكل عنف واضطرب الى [illegible] جالس

على منصة الحكم فيما سألته عن سبب هذه الفظاعة وعلة هذه الفعلة الشنيعة [illegible] فمرة قال

ان العلماء [illegible] في مصر ومرة قال ان قناصل الدول في وجل منك ومرة قال ان افندينا

ما ذاق النوم ثلث ليال بايامها من خوفك وبعد هذا الخبط والخلط ما صبر حتى كشف عن مكنون سريرته

وجاء بما [illegible] من ضغينته واظهر [illegible] من عتاب شريف باشا قائلا انك [illegible] تجاوزت عن [illegible] ولكن

يجب عليك ان تذهب الى [illegible] اما من طريق بلاد العجم واما من بلاد الهند — ولما طلبت

[illegible] الى الاستانة او الى باريس او الى [illegible] الحجاز [illegible] — طلبت الا ذلك

اللئام ان يمهلني [illegible] يومين [illegible] حتى [illegible] واحل [illegible]

... [illegible] يا مولاي [illegible] ان تعيرني سمعك حتى اقص عليك بجلاء من

تفصيل ما نزل بي في الهند من البلايا التي هي نتائج البلية المصرية لانك وعدك [illegible] شكواي فاقول اني من اليوم [illegible] يوم وصولي الى بندر الاراج ... [illegible]

ثلاثة يوم من بلوغ خبر قتل (كرلو ماري) قنصل الانكليز في كابل كنت تحت الحفظ كل ساعة في مترقبا لاستماع سؤال [illegible]

جواب وكل يوم [illegible] من عند حكام الحكم اكثر لتجدد التفحص والتجسس وكل شهر منتظرا للانتقال من بلد الى بلد لاستنطاق

جديد واستماع خطاب [illegible] الناس من [illegible] وتخوفوني من القائهم والنزر [illegible] ولا اخوذ المنزل والبلوة من [illegible]

المكثر [illegible] للحكومة الخديوية [illegible] ايوب خان الى [illegible] الانكليز من [illegible] وشركوني في تقبيل الظهر [illegible]

العظم من الصداع والضيق والقلق والاضطراب [illegible] من الهند [illegible]

[illegible]

[illegible] العربية [illegible]

[illegible] الفتنة في الهند واعتقدت [illegible]

[illegible] الحكومة الانكليزية [illegible]

[illegible]

[illegible] السؤال والجواب [illegible] الحكومة الانكليزية

[illegible] الرحمة [illegible] صوت العرابية [illegible]

[illegible] القول المجازف [illegible] الهند [illegible]

[illegible]

[illegible]

حكام الهند [illegible] الجواب [illegible] الحكومة في الخطاب والعتاب الى ان [illegible] الفتنة [illegible]

[illegible] ليلا ونهارا — [illegible] المصائب كل يوم [illegible] البلايا [illegible] كل ساعة [illegible]

في الرزايا التي [illegible] اعرى [illegible] بلدي [illegible]

[illegible] من اهل [illegible] على [illegible]

[illegible] واحده وخلق [illegible] في الطبيعة

[illegible]

[illegible] الى بلاد [illegible]

[illegible]

[illegible] البلايا [illegible] الهموم التي

[illegible] الدنيا [illegible] عقل [illegible]

الى بلاد الافرنج — وقد ارسلت يا مولاي الى [illegible] جنابكم خادمي (العارف) [illegible] مصر [illegible]

[illegible] الظالمة [illegible] بعد [illegible]

[illegible] والشفقة منكم [illegible] والرحمة [illegible] وارجو من [illegible] كرمكم وسماحة اخلاقكم

ان [illegible] العارف [illegible] رحمتكم [illegible] الى ان [illegible] المولى [illegible] في [illegible]

— ثم [illegible] الى [illegible]

[illegible] الشيخ محمد عبده والسيد ابراهيم اللقاني [illegible] في هذه الفتنة الشوما [illegible]

رحمتك [illegible] انت [illegible] الكريم والبر الرحيم

— [illegible] الشريف باشا [illegible] عبد الله باشا فكري [illegible] الشهادة [illegible]

(د) نص هذا الخطاب فى ص ٤٦ من القسم العربى

يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي

الذي مضى من عمره سبعة وثلثون سنة بأني أرجو من اخوان الصفا

واستدعي من خلان الوفا أعني ارباب المجمع المقدس الماسون

الذي هو عن الخلل والزلل مصون أن يمنوا علي ويتفضلوا الى

بقبولي في ذلك المجمع المطهر وبادخالي في سلك المنخرطين

في ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل

تحريرا في ٢٢ ربيع الثاني سنه ١٢٩٢

جمال الدين الكابلي

(هـ) نص هذا الخطاب فى ص ٤٨ من القسم العربى.

في القاهره بمصر في ٧ حنايو ١٨٧٨ / ٥٨٧٨

الى الاخ جمال الدين محترم

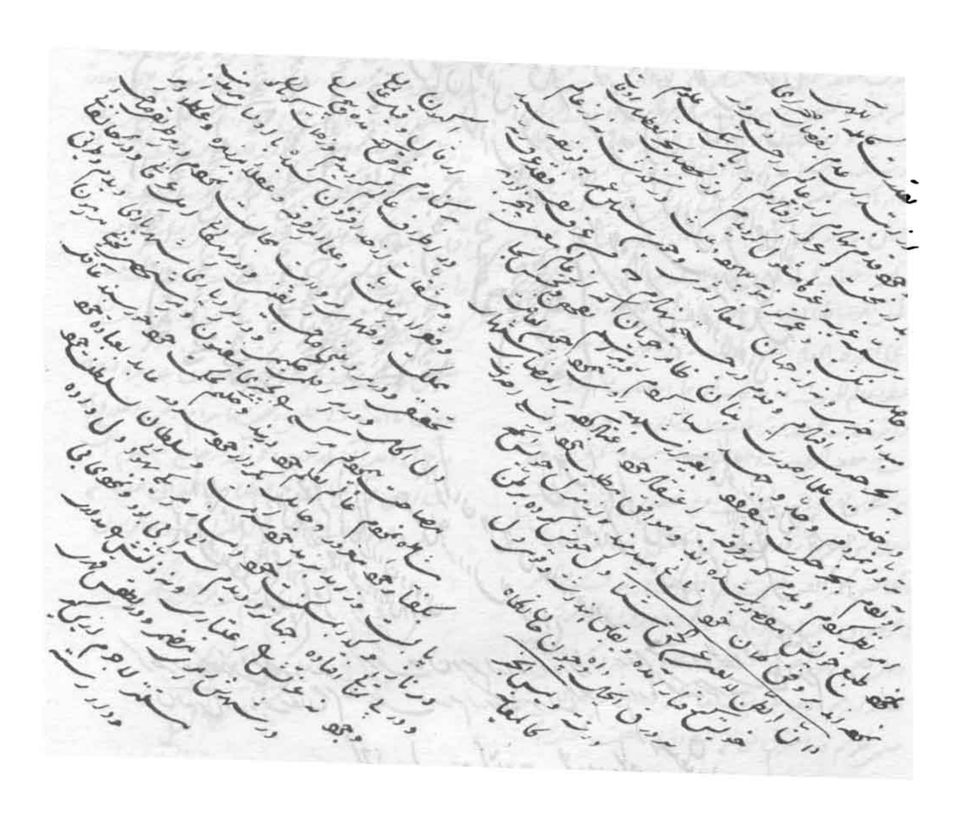
انه معلوم لديكم بان في جلسة ٢٨ الماضي وباغلبية الاراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام ولذا قد نهنيكم ونهني ذواتنا على هذا الحظ العظيم وعن امر الرئيس محترم الحالي ادعو حضرتكم للحضور يوم الجمعه القادم ١١ الجاري الساعه ٢ عربي بعد الغروب الى محل هذا اللوج لاجل اشتغالكم القادوم بعد اتمام ما يجب من التقرير الاعتيادي تم تعيين يوم الخميس ١٠ الجاري الساعه ٦ افرنجي فتقرير رئيس محترم لوج كونكورديه فالرجا حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الاشغال وفي الحالتين فلابسكم تكون سودا ورباط الرقبه والكفوف بيضا واقبلوا منا العناق الاخوي .:.

كاتب سر

نقولا

شروح

(٢ : ١) ترجمة هذه المذكرة فى الصفحات من ٥١ إلى ٥٤ من القسم العربى



[illegible]

ورشته تعلقات گسسته باشد سمت سلطان [illegible]

[illegible]

۲ شهر جمادی الاول [illegible] ۱۳۲۸

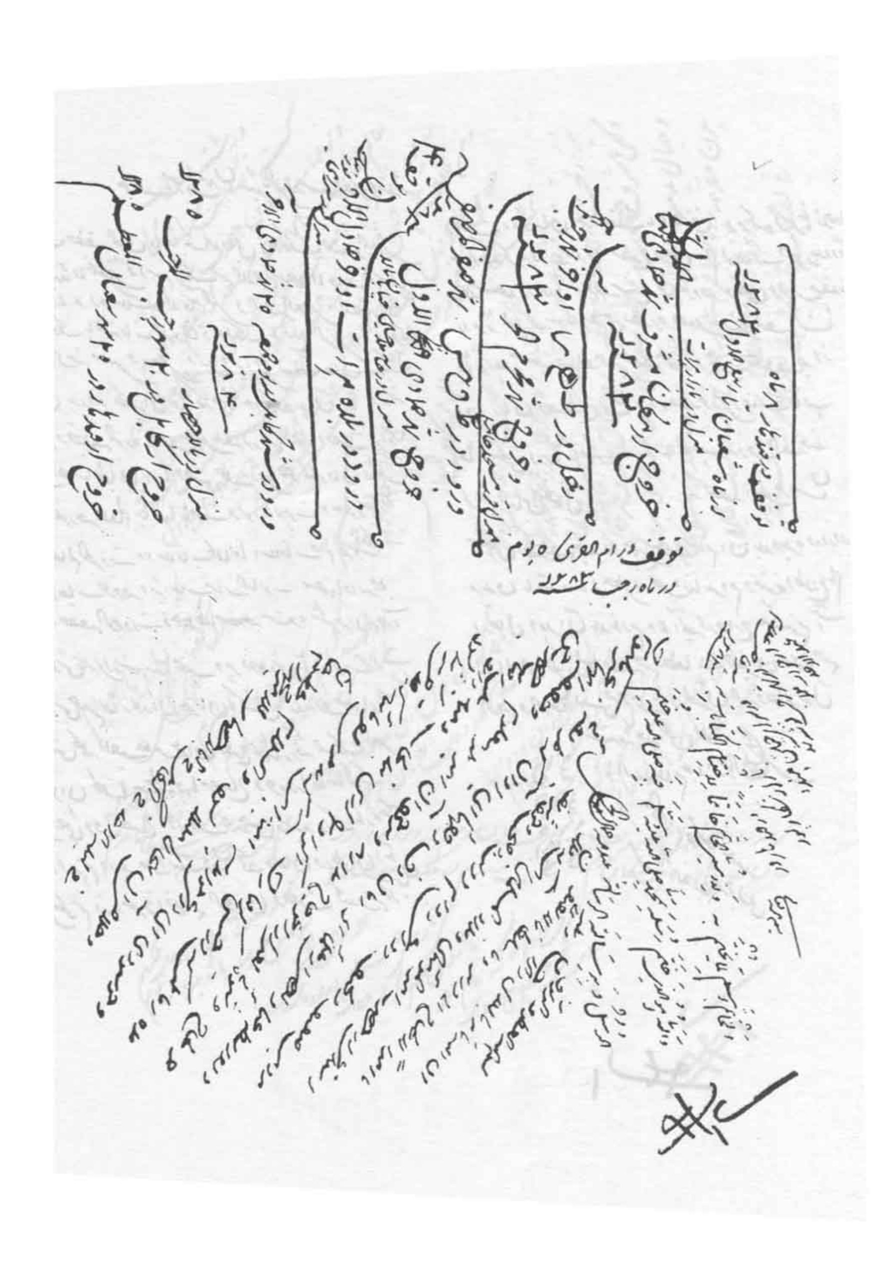
[illegible] سلطان [illegible]

[illegible] ۱۳۲۸

[illegible]

(٣) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٥٥ وص ٥٦ من القسم العربى

(٤) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٥٧ من القسم العربى



(٥) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٥٨ من القسم العربى



(٦) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٥٩ من القسم العربى

[illegible]

(٧) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٦٠ من القسم العربى

[illegible]

لیک ماکه وارد شد هدیه و رسیدن بار نمود طاهره کلیه اهل بهاء سترگان از سوی او فتادند همه همان نحو شمرند

میرزا عقیل را زیر دست نگارد چه طوری بماند غرور در آن از این طرف خود بازک زیرش رسیدن زیر دست نگارد

با مدرس با مطلع پنهان ز امر اعلی و نگشت از ما ما ولدان میرزا عقیل در این بلد سلو تنها یافت نار حزن را نگرا

که داشت من جمله گریند در باب الله مانکر و لبیه نفرین و مسیح آنچه بخش داده دارون من الله اباب معین

الملا را هر اکرام بنا مه برده میرزا عقیل جوش ما نه دفعه که در دروازه نمود و عمو صفدر و ملا محمد گفت

مسیح همه رسید نفرین به تمکش آمدند با نشر مردم آمدند چه نقوام از خارج رسیده آن میرزا عقیل را

ما نمیز نمودند مرور رسیده ایشان بلیغ حیات فرار نوشت من اسیر بهرام شفقت قرار دادم افسوس که

گشته شده بعد همه جوانات از حضرت وزرات نموده همان رحمت الله به جا به ظلم

بعد رها از الهامات زخم از ملک گشته خوب نمود کمال مجهول بعد ریخت راه از ملک شد بار

خلاف گفت است نفر چه صلح دبیر مملکت در این برابر محمد حسین زیر تار بگیرد به چه اسم

مسلوب حق به گمک میرزا عقیل بعد انتساب فرام به آنجا روزها بالا در باب الله خانه نشست بود

زحمت از جمع تا شب شد و پرورت حضرات بعد از شب تا صبح جمع و نمود که شده نقره خانه ها آمدند

روز طفر یافتند شب چیزی نکفته به هر جا ملک کیش سیخ در زدن آنها را از زبان گرفتند دیده ور

نیست فلک بهم انداختیم عید تمام شد رسیده سید جعفر رسید اهل به عرض اهالی از میرزا عقیل رحیم

این طرف آمد من و عمو صفدر ماند و به عتبه میرفتیم در میان رسانه ما را نیگ ام همه جا باز

الی السلطان حکومت حکم در غفا نبود پیر رسیده قرار داشت که حضرات خانه نشین بوده روز اول رد دند

بالا حکم فرام لیه اینها به ایشان پیام چه رسیده بعد بالا میرزا عقیل جمعیت و سلاح رسیده الیها که

بود زیر ادعای الله زیر نه بوده کسر قلبک گرده بعد به اسلام تا شب کم بوده سید محمد عرب بر ندر بود

رفتند بیشتر معروف شیراز و بیشتر اهالی رکب شده چنان که روز بیشتر از همین معروف

برکت سید [illegible] را سید عبدالله شیرازی پیدا نمود که [illegible] و ما باید جمع شویم که [illegible]
کشته شد چنانچه سید عبدالله از روز [illegible] به بعد [illegible] خود کرده‌اند حضور مبارک [illegible] حفظ الله
و لکن بعد [illegible] و در بین [illegible] میان مطلع شدم وقتی [illegible] که جنگ [illegible] بعد زخمی [illegible] سید عبدالله
زخمی [illegible] سید عبدالله سید امام جمعه که [illegible] دارد [illegible]
سید محمد [illegible] رفت [illegible] مرحوم [illegible] خانه
حضور [illegible] که [illegible] را [illegible] مرحوم [illegible] کرد و رفت [illegible]
[illegible] من [illegible] که جمعی [illegible] علما [illegible]
سید سیاه پوش و در [illegible] عزت [illegible] از جمعی دیگر [illegible] جمع شده
[illegible] سلطان [illegible]
[illegible] عظم را [illegible] [illegible]
[illegible] سلطان [illegible] مرحوم [illegible]
[illegible] قرار کرده‌اند چنانچه [illegible] خانه [illegible]
[illegible] گرفت [illegible] سلطان [illegible]
[illegible] سلطان رفته [illegible]
[illegible] سلطان [illegible]
[illegible] که [illegible]
سید [illegible] جمع کرده [illegible]
[illegible]
[illegible]

(١) نص هذا الخطاب فى ص ٦٣ من القسم العربى



الى مدير السياسة جمال الدين الحسينى الافغانى
دام فضله العالي

مرحبًا بمن هداه اللهُ تعالى الى سبيل الرشاد والبسه درع الغيرة والانتصار دفعًا لاصحاب العناد ومنحه من العلم والفضل ما يحسن به حال العباد ويصلح بالهم التقوى وهى لعمري خير الزاد :

ما احسن يومًا رايتُ في لندن العدد الحادي عشر من العروة الوثقى لا انفصام لها . شُدّ به ازري . ووُضع عني وزري . الذى انقض ظهري . وعلمت علم اليقين ان الله ما ودّع المسلمين وما قلى وللاخرةُ خيرٌ لهم من الاولى .

طوبى لامّةٍ يدعو بعضهم بعضًا الى الخير والصلاح ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر ولهم امل النجاح : بورك من اوصلك لهذا الباب وعلّمك الكتاب وآتاك الحكمة وفصل الخطاب : ارى بادئ الرأى كلّ ما تقول وارجو من الله ما ترجو حتى يقول الرّسول

العبد الجانى

محمد باقر البواناتي الايراني
[illegible]

(٢) ترجمة هذا الخطاب فى ص ٦٤ من القسم العربى



حبیب لبیب من نامهٔ گرامی آن دوست امین وخیرخواه جمهور مسلمین مع جریدهٔ عربی
مسماة عروة الوثقی که بسر افرازی کمترین گسیل شده بود رسید و از اطلاع مضامین
آنها دل وجان را کمال نشاط و انبساط حاصل گردید الحق جای بسی عجب است که
در اظهار آن اجتهاد بلیغ شده و در ابلاغ آن جد جهید بظهور آمده ولی خلق در خواب
و بنیان امر در شرف خراب معلوم میشود مگر اینکه بعون سبحانی بیدار [illegible]
کنند و سوابق غفلت بلواحق انتباه مبدل گردد .
چون این هیچمدان جهت جری را بی اختیار شوق ملاقات آن [illegible] اسلام در سر
و [illegible] شده نیز اهل اسلام را امری مهم و مطلبی معتبر است
استدعا از مرحمت عالی آنکه اطلاع داده شود که چه وقت درک صحبت آنجناب
ممکن است تا بعزم فیض یابی روانهٔ آن صوب گردیده در سه روزی هم پاریس را
دیده باشد و هم بفیض ملاقات رسیده باشد

العبد الجانی
محمد باقر ایرانی
M. Baker
of Persia.

ترجمة هذا الشعر فى ص ٦٥ من القسم العربى

هرکجا عقلی بعقلی یار شد
گلشن آنجا روضه و گلزار شد
هرکجا ماری بماری دور شد
گلشن آنجا خود نه گلشن گور شد
ای جمال الدین جدا از [illegible]
[illegible]
ورنه از اسلام جز نامی نماند
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٣) ترجمة هذا الخطاب فى ص ٦٥ وص ٦٦ من القسم العربى



خليل جليل من و هادي سبيل حضرت [illegible] الملتن را مدام از شش جهت سلام باد

آنچه فرموديد احسان نموديد و بر حقدار ممنونيت من افزوديد قلبم را شاد

و فوادم را از اندوه زياد آزاد كرديد - گفتيد هايت امید واری داد -

مقصدت طرح محدث نهاد - گر خدا خواهد آنچه ما خواهيم - يك بيك

مهدي هدى التهيم - هادي جمله واحد قهار - بكتاب محمد مختار - عيسي و

موسي وجميع رسل - باد بندان اين حمولۀ كل - همه تا زان بسوي ابراهيم -

هم شايان سلام رب رحيم - همه را احد احدي بوطلب - همه را فيض سرمدي

مطلب - متمسك بعروة وثقى - وصف اين عروه لا انفصام لها - من

رانهم راى البقا فيهم - زاد حرصا لورث ما فيهم - من هدده الى الذي

وجدوه - وجدوه هدى اللذي عبدوه - من رضوا عنه طالبين رضى -

رضى الله عنهم بعوضا - جمله مطلوب وطالب يك ياد - ليس فى الدار غيره

ديار - پارسى گوي و تركي و تازي - مست صهباي سر همرازي - از زبانه

سوي بيزباني راه - بيزباني زهر زبان آگاه - آگهي زندگي جاويدان - زندگي

جان جان آگاهان - زنده آگه آگه زنده - من بيچاره هردو را بنده -

چون نه اين ونه آن وزه خويشم - گر چه از بهر هر سه دلريشم - بيچم و آرزوي كل

دارم - زانكه در كل نهان بود يادم - [illegible] درمن اين و با دمن هم اين - تو بگو

حوني اي جمال الدين:

العبد الجاني
محمد باقر ايراني

على آقا و ساير ياران ايراني تحيت وثناى فراوان ميرسانند
م ب

هو الله تعالی شأنه

خدمت جناب عالم ربانی و نمونه آسمانی نادره دهر و یگانه عصر ادیب محقق لبیب مدقق ینبوع

دانش و منبع بینش سراج وهاج علم محیط مواج فضل شمس فلک معالی فیض بخش ادانی و اعالی لسان

الحق و منطق الصدق ذو النسب الشریف و الحسب المنیف سید جلال الدین الحسینی مدیر جریده فریده عروة

الوثقی ایده الله تعالی پس از تقدیم تحیت و سلام و اهداء درود مالاکلام   از زبان ملت ایران و اهالی این

سامان بلکه از زبان کافه مسلمین و سکنه مشرق زمین که برادران دینی و اخوان وطنی آن جناب بس

اشد با هزاران شکر و شرف و شادمانی و شعف از ظهور صحیفه شریفه و وجود جریده فریده عروة الوثقی

که فرید فکر آن خلدق معانی و نسیج خاطر آن نقاد سخن سنج است تبریک و تهنیت میگوید الحق عالم

اسلام بلکه مادر ایام را از این مولود فرخ بشارت و امت خیر الانام را بدین بلیغ بلیغ بشارتها روا

الیوم انجزت الامال ما وعدت   والدرک المجد اقصی ما تمناه   والیوم ردت علی الدنیا بشاشتها

و ارضی الملک والاسلام و اتقیه   الحق این مبارک نامه کانی است از جواهر نفیسه حکمت و بحری است

از لآلی نفیسه موعظت   محیطی است بی پایان که هرگاه موج زند توده توده گوهر یکتا ریزد

و غمامی است متراکم که چون متقاطر شود از هر قطره سیلها انگیزد   با آنکه این جریده را الفاظ کمنظوم

اللئالی و معنی کان کالسحر الحلال   این سیاق عبارت را لایق نسبت سحر حلال است و این

سلاست الفاظ را چاشنی شهد با آب زلال الحق دراین قرون قریبه و اعصار اخیره از مترسلین عرب و عجم

هیچکس نسج چنین عبارات و الفاظ نکرده و در حسن اطناب و لطف ایجاز هیچگونه پا بمقام اعجاز

و اعجاز نگذاشته و تا بدین پایه گوهر بلاغت نسفته و تا بدین پایه سخن از در براعت نگفته اما تلألؤ

لآلی معانی و تشعشع انوار بیانات تشریح از قالب رقیق الفاظ و مشکوة صافی عبارات تأثیر و نمایش

دارد خیال اعین و ابصار را خیره نکرده است که دیگر کس الفاظ ساده و سلیس و عبارات سهل و ممتنع

کما هو حقه التفات کند الحق چندین قرن گذشته است که خفتگان خواب غفلت و نادانان

بستر علت ملت اسلام را چنین موقظی مجدد و منبهی جاهد و رهادی صادق و طبیب حاذق و ناصحی مشفق

بستر وقت بیاد مرده بود جزاک الله فی الدارین خیرا خداوند تعالی همه را گوش شنوا و دل آگاه و بازو طه

مرحمت و شباک همراه دهر و خواب غفلت و دوام ذلت برهاناد الحق شخص سعی که ازین مرد بزرگ در ذوق اطلاق

فی سبیل الله و از ذات بین حوزه اسلام میران گفت چنان سلاست تقریر از صرامت شمشیر گمیت عکه

لسان و از ذلاقت سنان کارگرتر و مؤثرتر است و تدابیر است که قلوب و ابصار کافه مسلمین را

موجب تنبه و آگاهی و باعث بصیرت و بینائی تو مگر آنکه العیاذ بالله بدبختانه از فرط غرور و غفلت مصداق

کریمه ان الذین کفروا سواء علیهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا یؤمنون ختم الله علی قلوبهم و علی سمعهم

و علی ابصارهم غشاوة و لهم عذاب عظیم گردیده باشند بالجمله این منبع که با روزنامه نگاران

بکمال عالم شرف ملکیت دارم و بر حسب صورت و معنی چاکر دولت ایران و خادم ملّت
اسلام و از صمیم دل طالب و هواخواه و آرزومند ترقیات این ملت مرحومه هستم عالم اسلام را
بدین جریده شریفه هزاران تبریک میگوییم و از خدای تعالی طول بقا و مزید توفیق شما را و دوام
و عدم انفصام عروة الوثقی که فی الحقیقه امروز بهترین متمسکات و وسایل برای دستگیری و رهانیدن
این ملّت بیچاره از گردابهای بلا و حادثات روزگار است مسئلت میکنیم انّه قدیر مجیب
و السلام علیکم و رحمة الله و برکاته
العبد الباقی محمد تقی ابن علی المراغی مشهور بصلح الدوله

ارجو ان تبلغ مخصوصا صلاح
السيد المحترمة مادام بوترت[illegible] احترامي
تحياتي وسلامي واني لا انسى كرم اخلاقها [illegible]

[illegible]

سيدي ومولاي

بعد عرض تحياتي على مقامكم العالي اعرض لسيادتكم انه علماء جناب
السادة العالي قد قدمت ترجمتي وما عملناه في لوندرة
وتوجهت مع هذه الخواجة جورتيه الى سعادة محمود افندي
فاخذ الاوراق ووعد بعرضها على الاعتاب حالا وهذا
كان في يوم الخميس الماضي في اول الشهر واخبرنا سعادته ايضا
الآن ان اننا نكون تحت انتظار الطلب وها انا في الانتظار
ولابد منه ترجمة ما قدمته فيأخذ على ذلك بعض ايام والاظهر
ان سيدنا ومولانا مشغول في هذه الايام بسبب تبديل الوزراء
الآن او مثل الخبر الواصل وها انا في منزل احمد اسماعيل بك
مع محمد علي حسب الامر فارجو ان تنتظروا النتيجة
فهي قريبة ان شاء الله وقد بينت لي من اجتهاد اسماعيل
كل ما ينبغي ان نشكر على ذلك ثم انه توجه الى سير
دولف فاخبره ان سيادتكم كتبتم اليه بخصوص ديارة
على ذلك واسماعيل بك يرجو من سيادتكم ان تبلغوا

له التعليمات اللازمة التي يسلك بها مع المولى الى غاية لا يمكنه ان يتحامل الا لما
ينبغي له اما انا فاري من الموافق بالنسبة لمركزي الحالي ان لا اقابل
احدا مطلقا حتى يصدر عنه سيدنا ومولانا السلطان ما يصدر وارجو ان تبلغوا
سير بلونت تحياتي وسلامي وتخبره ان اسماعيل بك هو رجل دني لم يكن صادق الصحبة
كما تحققت ذلك اما ما كتب في جرائد الاستانة بخصوصه فانما كان باغراء حليم
باشا لحسن حسني الذي يكتب في جريدة الاعتدال هذا ما وقفت عليه بالتحقيق
الذي لا يدخله شك وقولوا للمستر بلونت كما قلت له سابقا ان مرزا محمد اسماعيل
بك لا يصدر عنه الا كل فضيلة ولنعتمد في هذا ثم اني اعرض على مولاي
اني وقفت على كتابات كانت بينه حليم وبين النوبارى والتي عندنا نسختها
لسيادتكم وهي مرسلة صحبة هذا فلا حول ولا قوة الا بالله وكذلك ابو نظارة
الخبيث ومع كل ذلك ربنا سبحانه وتعالى يوفق لنا الامور وذلك يكون كافيا في كرمه

ثم أن حضرة إسماعيل بك أخبرني بعد ما تلاقى مع فريد
الدين باشا أن الشيخ عبث أخذ من تونس بالحكم
شاهنه(?) الخازندار وأن خير الدين وضع في القائمة
التي كانوا يلتمسون فيها خمس الآف فرنك ولكن
رستم باشا دفع خمس الآف فرنك وأن خير الدين باشا
وعد حضرة إسماعيل بك أن يحضر له القائمة بأسماء من دفعوا
للشيخ وعند الحصول عليها ترسل ليسايتم(?) فإن أهل
تونس ما دفعوا إلا لأسمائكم وبحريتكم ثم أرجو من
سيادتكم أن تبعثوا بجميع ما علمتموه في تلك المدة حتى
أعرضه على الحضرة العلية عند الفرصة وقد كتبوا
في الجرائد بخصوص عائلة محمد علي ونزعها من حكومة مصر
واستبدالها بمن يصير تعيينه بمعرفة السلطان فأرى
أن تكتبوا أفكاركم في هذا وما يدور بينكم وبين
الوزراء في هذا الخصوص وليعلم مولانا أن حضرة
إسماعيل بك جودت ليس عنده نقود يتعلل بها المصاريف
فأرجو من مولاي يخبر حضرة محمد بك وهو أن يرسل
لنا شيئا من النقدية وأن يكتب للتلغراف(?) إذا كان

لغاية الآن ما انتهت القضية في مصر أن يعينه بما
يمكنه أن يعيننا ببعضه فإن الحالة ضاغية(?) بهذا الإلحاح
لحينه أنتهى المسند في السراية فإن حالتنا لا ترضي
أبدا وأنا على أمل بقرب الفرج والله يحفظكم
ودمتم
إهـ

سيدي ومولاي
بعد تقبيل أياديكم أرجو أن تعطوني التعليمات اللازمة
فبإجابتكم(?) أجده مع السند ووقف حيث إنه طلب مني نصحه إرشاداتكم(?)
وأنا أفادته بالمواعيد كلها [illegible] وحصول على أوامركم لا يجيب عليها
إلا الاقتراح والإهدار(?) بنورها [illegible] الله سند السلمية وعظيم
للعرضية(?) محسوبكم
اسماعيل
الاثنين ٢٨ سبتمبر ٨٥ جودت
Jamal(?)

وليعلم مولاي أن إسماعيل بك جودت
هو الذي أعطاه صدر جريدة
الأهرام أن يسعوا(?) فيه [illegible]
أخبارها [illegible]
من أنه لا أغراض
الغا[illegible] لك

(٢) نص هذا الخطاب فى ص ٦٩ و ٧٠ و ٧١ من القسم العربى

(٣) نص هذا الخطاب فى ص ٧١ من القسم العربى

ليستميلنى لخدمة اغراضه

ان العبد كاتب هذه ابراهيم المويلحى فى سن اربعين سنة من عائلة [redacted] بدوية منقسمة
الآن الى قسمين احدهما فى مصر والآخر فى المويلح بلدة فى جزيرة العرب على شاطئ البحر الاحمر
وان جدى السيد احمد المويلحى وفد على مصر ~~بعد خدمته مع ابراهيم على فى محاربته الوهابية~~
فاقام بها واسس بيتا تجاريا وفى ١٢٨٢ سنة توفى والدى السيد عبد الخالق المويلحى وانا
فى سن عشرين سنة وقد اتممت دروسى فاشتغلت مع اخى عبد السلام بك المويلحى محط والدى فى
التجارة وصرت عضوا فى مجلس التجار وعضوا فى مجلس ابتدائى القاهرة ثم خسرنا مبالغ وافرة فى
تجارتنا الوطن وكاد البيت ينهدم ورأى الخديو السابق من اللازم فى سياسته ان يقيم اود البيت
~~ولا يليق بمخدومنا اغراضه باشرف بل ان ما قصد لهذا البيت واجب علي فتعينا فان جدهم~~
وقد قال لشريف باشا ~~ان~~ جدى صديقه [redacted] فجعلنى عضوا فى مجلس استئناف مصر واعطانا اربعة آلاف ليرة ليستر
فى تجارة البيت وسعى وأنى الرتبة الثانية وبعد خدمة اربعة سنوات فى المجلس ~~سمى رياض~~
باشا فى عزلى ~~لمنافسات كانت بينى وبينه فترك~~
ثم ان الخديو السابق لما سئمت نفسه من الوزارة المختلطة فى ١٨٧٩ سنة رأى فى سياسته ان
يطلب عزل تلك الوزارة منه باصوات الامة بدون مدخل له فى التماس الطلب فاستند [redacted]
والسيد البكرى نقيب الاشراف ~~واستند على عرف البيت~~ من الصغر وكلفنى ان اقنع
العلماء والوجهاء ان يطلبوا عزل الوزارة من السيد المشار اليه بدون ان يكون للخديو يد او اسم فى
ذلك فسعيت جهدى حتى اقنعت الناس على هذا الفكر مع ما كان فى نفوسهم من النفور من
الخديو وجاؤا افواجا الى بيت السيد البكرى يطلبون عزل الوزراء مكاتبة منهم على محاضر ختموا اليها
بانه لايجوز ان يكون المسلمون محكومين بوزارة اجنبية ثم امرنى ان اذهب الى الاسكندرية
وان ادعو وجهاءها وعلماءها للحضور الى بيت السيد البكرى يطلبون منه ما طلبه وجهاء القاهرة
فذهبت واحضرت معى جميع وجهائهم وختموا على ما ختم عليه اهل القاهرة ولما تمت تلك
المحاضر عرضها السيد البكرى على الخديو ولذلك عرض راغب باشا ما كلف به من تحتيم امر المملكة
وبناء على ذلك عزل الخديو تلك الوزارة وشكل وزارة وطنية
تحت رياسة شريف باشا ثم امرنى الخديو ان اخذ بعض العلماء والوجهاء ان يلتمسوا منه
ولجهادية على هذا المضمون
هجو رياض باشا الذى كان عضوا فى تلك الوزارة المختلطة من السفر الى اوربا ومحاكمته لهفوات
نقودها عليه وبعد تهيئة الامر وعلم رياض باشا بسعيى فيه عدل الخديو عن ذلك واعطاه
اذن السفر بعد ان امرنى ان اكتب للومى اليه رسالة اقبح فيها اعماله وقد نشرت بعضها
بعض الجرائد ولما استقرت الوزارة الجديدة طلب راغب باشا ناظر المالية من الخديو ان يكون
معه فى تلك النظارة فجعلنى ناظر القلم العربى بها واحال على نظارة قلم القومسيونات مع ملاحظة قلم
ترجمة المالية وجعلنى عضوا فى مجلس تسوية الديون السائرة
وفى اثناء الحاح الدولتين الفرنساوية والانجليزية على الخديو بالتنازل بعث لى الخديو الحالى احد
خاصته امين بك الانجليزى يرجونى ان احث السيد البكرى ان ينصح والده بسرعة التنازل

مع ما في هذا من الاجحاف بحقوق الدولي[illegible] العلية التي هي مالكة
لتلك المملكة

خوفا من الخطر على الوراثة فاظهرت للرسول ما في تنازل الخديو من الاخطار على القطر المصري
بتداخل الدولتين في داخلية البلاد * فحقدها على توفيق باشا ولما تولى الخديوية واستعفت
وزارة شريف باشا ألزمني اسماعيل ايوب باشا بناءً على امر الخديو الحالي بالاستعفاء من تلك
الوظائف ثم حضر رياض باشا من اوربا مترشحا لرياسة الوزارة فحتمت لي شاهين
باشا وراغب باشا الخروج من مصر والالتحاق بالخديو السابق واحتجا بان بقائي في مصر يعطله
انتقام رياض باشا مني فاستأذنت الخديو الحالي بواسطة خيري باشا في السفر لتبديل الهواء
فخرجت من مصر وجئت الى نابولي عند الخديو السابق الذي تسبب عنه كل هذا فوجدت
عنده خلاف ما كنت أؤمله وعلمت ان الزامه السابق لي ما كان طبيعيا بل نزولا على
الحاحـ فبقيت تلك المدة على مضض حتى لزم له ان يكتب الى مشيخة الاسلام بخصوص دخول
حرمه الاستانة فاحتفل لي واستكتبني شكاية حالتهن لمقام المشيخة الاسلامية ولما احس
باليأس وعلم ان لا امكان لدخولهن الاستانة سافر الى فيشي وارسل الى ابنه حسين باشا
في نابولي يامره ان يبعثني اليه فلما وصلت أمرني ان اسافر الى باريس وان استميل الى
اغراضه اديب افندي اسحاق محرر جريدة (مصر) بها فسافرت اليها فوجدت الافندي المومى اليه
سافر الى بيروت وترك تحرير الجريدة ولما اخبرت الخديو السابق تلغرافيا بذلك أمرني بالرجوع
اليه وكلفني ان احرر له جريدة بنفسي بدون ان اضع عليها اسمي واختار لها اسم (الاتحاد)
وأملى علي افكاره فتوجهت الى باريس واشتغلت بما امرني به وبعد العدد الكاشف عنا
تلك الجريدة) ارسل الى ابنه حسين باشا بالتلغراف وكان في باريس يامره ان يبعث بي الى
(جرادس) بالقرب من فيينا انتظر حضوره من ولية في ضيعة سفير باشا المجر فانتظرته
في محطتها فاخذني معه الى فيينا وهناك الزمني ان اكتب له رسالة على جدة في مضادة
الخلافة وأملى علي مضامينها وبعث بي الى فيينا للاطلاع على بعض الكتب واخبرني انه
ولما حررتها طبق أمره أمرني ان اطبعها في باريس سرا وان ابعث بها اليه
سيرسلها مع رجل يهودي كان عنده في نابولي من أهل الجزائر اسمه (سيمون) ليسافر
بها في زي مسلم الى مكة وينشرها هناك على الحجاج في يوم عرفات
فتنبهت للامر ورجعت الى نفسي وفي اثناء طريقي الى باريس افتكرت في المسئلة طويلا
وتحققت خطرها وعلمت اني بهذا العمل اكون ساعيا في شق عصا الاسلام لمجرد اهواء رجل
قد كشفت لي حوادث الغربة معه ان ليس في قلبه ذرة من الايمان وانما يستعمل الدين
شبكة لصيد اغراضه ورايت انه لا مناص للتخلص من اوامره الا بالانفصال عنه مع
الاحتياج اليه في الغربة ولما وصلت الى باريس لم اجد طريقا لحفظ ديني وذمتي الا الذهاب
الى سفارة الدولة العلية بها واطلاعها على الامر ولعلي اجد سبيلا للخلاص منه

فاظهرت له ما فى تسليم الجذور منه الخطاء على القطر المصرى تبعا لعدالة فى داخلية البلاد
حالة لولا تحت السلطة العثمانية

فاخبرت نقولاكى افندى سطلة لذار واطلعته على الرسالة ~~وما عندى من الاوراق~~ والتمست
ان يعرض حقيقة المسئلة على السدة الشاهانية فبشرنى ~~بنوال الرضا عليه~~ بحصول الرضى واستحسن هو
والمتوظف الجهارى فى السفارة ابراهيم افندى رائف ان أطبع الرسالة وان أسهل
لهم طريقة ضبطها وهى خارجة من المطبعة ففعلت وضبطوها بدون ان يكون منها نسخة
فى الخارج حتى سلمت لهم المسودة ايضا ولما بلغ كامل بك كاتب الخديو السابق فى باريس
ضبط الرسالة بواسطة السفارة والبوليس أعلم الخديو السابق فى الحال فاخذه بعض الشك
فى وارسل موسيو قنسان الفرنساوى تابعه فنقلنى من باريس الى (جنيف) فى السويس
مع الكاتب الذى كان عندى نقولا رعد وبعد ايام أعلمنى الفرنساوى المومى اليه بان استمر
فى العمل فى جنيف فأبيت ورجعت الى باريس وأحطت علم السفارة بذلك فتحقق الخديو
السابق بان الذى حصل من السفارة فى ضبط الرسالة كان متفقا عليه معى فحصل لى راتب
شهرى من طرفه مسرعا وأخبرنى ان انتقالى من جنيف بدون اذن أوجب قطع [illegible]
وأعلمنى أنها لا تتجدد الا اذا سلمت له ما عندى من الأوراق واشترطت على نفسى
انى لا اتعرض للخديو البتة وقد أعطانى الحرية فى سكنى أى بلد أردتها وعاهدنى على ذلك
فسلمته الاوراق واستمر ابنه حليم باشا يصرف لى الماهية مدة شهرين ثم قطعوها
عنى وانا لا أزال انتظر ما يصدر من السفارة فى شأنى حتى ضاقت بى العيشة وكاد الاحتياج
ينزل بى الى درجة لا ارضاها لنفسى ولما يئست من نتيجة ما سبق الوعد به من السفارة
كتبت الى شاهين باشا فى رومه أبين له غدر راتب باشا بى واعلمه ان الاضطرار سيدعونى
الى عمل ما لا يرضونه من نشر مساويهم وتلاعبهم بالاسلام والمسلمين فاسرعوا بارسال حليم
باشا التونسى فاعلمنى ان الماهية لا تتجدد الا بالرجوع اليهم فأرضانى الاحتياج بالرجوع
على شرط انه لا اكلف بكتابة ما يخالف دينى وشرفى ورجعت معه الى رومه وبما فى قلوبهم
من الضغائن متى شرعوا ينتقمون منى هناك بانواع التحقير والاهانة حتى حدثت مسئلة
عرابى فابتدأ الخديو يلاطفنى ويكلفنى ان اكتب الى محمود باشا سامى لعلاقة القرابة بيننا
لأستميله على السماح فى دخول حرم الخديو السابق الى مصر ولعلمى بالنية السيئة التى
يريدون لأجلها دخول الحرم الى مصر وخوفى من حصول فتنة بواسطتهن تضر وتجور بحقوق الدولة
سامى وكثير من المصريين أعلمت الباشا المشار اليه بالحقيقة حتى انبنى على ذلك رد
الوابور بالحرم من الاسكندرية ولاجتهاد عرابى فى اقناع واسطة الخديو السابق الشيخ
حسن العدوى فى عدم دخول الحرم أضاع الحزم وقال له لا يجوز ادخال الحرم بعدما حكمنا
به ابراهيم المويلحى فوصل هذا الخبر الى الخديو السابق فكتموه عنى واستشعرت باتمارهم بشر
~~فى اثناء اشتغالهم بحركة عرابى ومحاكمتهم~~
يوقعوننى فيه وظهرت لى علائم ذلك [illegible]
[illegible]ت على الاذن بتبديل الهوا الى (ليفورنه) بلدة فى ايتاليا وقد راسلت
موسيو جليات قنصل الدولة العلية فى رومه أنبهه على كثير من أمورهم ليعرضها الى

بحل اقتصاديا واقمت في لندره [illegible] يصرفونه ماهيتي الف فرنك بعدان كانت [illegible] وفي اثنا اقامتي
في لندره حضر السيد جمال الدين الافغاني من الهند الى باريس ولما بيني وبينه من الصداقة ايام كان في مصر
حصلت المكاتبة بيننا فاتفقنا على نشر جريدة العروة الوثقى فنشرها السيد جمال الدين في باريس
يدافع فيها عن حقوق الدولة والملة ويحث على الوحدة الاسلامية تحت اسم امير المؤمنين فكان صدور هذه
الجريدة [illegible] المشرب غصة في حلق الخديو السابق لمباينتها لاغراضه [illegible] واعتقد انه لا بد
فربما استدعاني الى روما في العام التالي [illegible] بالعموم كثيرا وامرني ان لا ادخل في شيء ولا اكتب شيئا يتعلق
فرجعت الى لندره ثانيا وبعد مدة جاء حسين باشا التونسي [illegible] ان كلفه الخديو السابق
مقرونة بالنصيحة [illegible] من جهة المعيشة في يده [illegible]
وعرض علي النصيحة في ان اكتب للخديو السابق ما لا ترضى كتابته وتحريره [illegible] العدد الرابع من جريدة
السياسية والافغاني الخديو السابق بقطع الماهية [illegible] وطلب مني [illegible] وسافر معي الى باريس فاخبرت
في باريس [illegible] انه لا يجيز نشرها وان المقصود [illegible]
السيد جمال الدين هناك مفصلا فاخذ في اثبات ما طبع من جريدة [illegible]
وعلمت سفارة الدولة العلية بالامر جاد [illegible] الخديو السابق [illegible]
[illegible] الى نابولي بقطع ماهيتي وهرب حسين باشا التونسي [illegible]
الوهم بالعادي من فرنسا فسافرت الى بروكسل فكتب لي السيد جمال الدين يقول [illegible]
ان تذهب الى لوندره [illegible] في الجرائد [illegible] وما غدر بكم الخديو السابق فتقابلت
فيها باسماعيل افندي جودت ورايت من اخلاصه للحضرة العلية [illegible] ما دعاني ان اكتب
[illegible] الرضا عني ثم تقابلت مع المستر بلونت فرايت سياسته
[illegible]
متوجهة لمناصحة الدولة العلية وعلمت منه ومن بعض اوى [illegible] من الانكليز [illegible]
مع الدولة الانكليزية فرايت حينئذ ان الاشتغال بخدمة للدولة اولى من ضياع الوقت [illegible]
من عدم نجاحه ولما علم السيد جمال الدين بذلك استحسن التفرغ لتلك الخدمة [illegible]
واعلمني [illegible] بذلك وكان له بعض علاقات مع حزب المحافظين في لوندره [illegible]
في لوندره ثم حضر اللورد شرشيل من الهند وقد كان [illegible] من السيد جمال الدين [illegible]
الهند اذ كان [illegible] بصفة خصوصية [illegible] اللورد من نفوذ السيد جمال [illegible]
بين المسلمين [illegible] العلاقات بين السيد وبين حزب المحافظين [illegible]
على سياسة [illegible] في السودان ومصر [illegible] مع الدولة العلية [illegible]
لذلك في البرلمنت والجرائد حتى حولوا اغلبية الافكار الى استقباح سياسة [illegible]
ولما سقطت وزارته ارسلت الوزارة الجديدة الى السيد جمال الدين يستدعونه من باريس للحضور الى
[illegible] لا يحضر الا اذا كان حضوره للقول بفائدة للمسلمين فارسلوا له بعد ذلك [illegible]
[illegible] ثم زار اللورد سالسبوري وتبادلت الزيارات بينه
[illegible] يوم حضوره اللورد شرشيل [illegible] على السدة العلية
[illegible] الوزراء [illegible] بسبب تأخير الوقوف على ما يحصل [illegible]
[illegible] السيد جمال الدين عن افكار المسلمين في الهند وفي الافغان بالنظر الى دولة الروسية

فقال لهم انكم تسلمون ان ممالك الهند كانت بيد المسلمين وقد سلبتم تلك [illegible]

لاشك حاقدة تميل عند الفرصة الى التشفي وتقديمة في زوال [illegible] من ايديكم الى ايدي غيرهم وان كانوا [illegible]

الآن بعض ما تطمئنون به فان البرهان الطبيعي شاهد بما قلته اما الافغان [illegible] تشرب [illegible]

على الدوام لاخذ الثار ولا ينسون ما سال بينكم وبينهم من الدماء وان الامير وان كان [illegible] معكم فهو لابد يخرج

عن راى قومه عند الحاجة فلابد والحالة هذه من [illegible] قلوب هؤلاء [illegible] وانى لا ارى حل في تعيين الا رضا بل هذا منوط

اقوى من رابطة دينية والرابطة الدينية الوحيدة هي رضا الدولة العلية [illegible] بذلك على ممالككم

بالاتفاق بينكم وبين الخليفة مولانا السلطان فعليكم ان تسعوا [illegible] ثم قال لهم ان [illegible]

في المستقبل وقد اقنعتهم بهذا فصاروا [illegible] ووقف [illegible] فان [illegible] الهنود لا ينقضون ما يكتب في

وتعريفهم العلم به لدى الهنود والافغان اما علانية في [illegible]

جرائدهم ولا سبيل لكم ان تنقلوه بالافواه فان [illegible] وتدخل كل شبهة [illegible]

الجا [illegible] مختلفة [illegible]

في تسجيل [illegible] لا تدخله شبهة [illegible] فاقنع [illegible]

او ما يماثل [illegible] على حسب ما [illegible] فان الدولة لا [illegible]

وليس لكم ادنى خوف من ذلك [illegible] في [illegible] الدولة العلية [illegible]

اقناع [illegible] وقت ما

مصر وجاه [illegible] ووقف [illegible] اقناع [illegible] ونحن [illegible] على فرانسا خوفا من [illegible]

تحديد مدة الخروج من [illegible] ان [illegible] ان تضع حمايتها [illegible]

فقالوا اننا نخاف من دولة فرنسا [illegible] من دولة فرانسا [illegible]

ان وضع الحماية على مصر خوفا من دولة [illegible] الدولة العلية [illegible]

وحجة لدولة [illegible] فان تفرطكم [illegible] الرابطة التي تحفظون [illegible]

انما نحافظ على ممالك الدولة [illegible] وحينئذ لا تجدون [illegible] فهل مصر [illegible]

في [illegible] ومنافعكم [illegible] وموجب [illegible] فكيف اذا امتدت الى [illegible] ويوم [illegible]

على مصر مشتعل الحركة السودانية [illegible] السودان وحدها [illegible] السلطان [illegible]

وقد رايتم اتعابكم في مسئلة [illegible] وانما [illegible] باسم [illegible] احتياج [illegible]

افواه مدافعكم ولا يؤثر [illegible] واقنع [illegible] ان الحماية لا [illegible] الى [illegible] ان الانجليز محتاجون الى [illegible] لا تجد له الدولة [illegible]

[illegible] طويلة [illegible] الاعتاب الشاهانية بارتاع الدولة العلية [illegible] تتحمل في الحال المسئلة السودانية

فالسيد جمال الدين يعرض على الاعتاب [illegible] من انفسهم [illegible] من [illegible]

ممالكه امام عدوه وان التزام الانجليز على تحديد [illegible] الخدمة [illegible]

ويعرض انه عند الاتفاق مع الانجليز [illegible] بدون سلاح

باسم جلالة مولانا الخليفة امير المؤمنين

العبد

الحاج

[illegible]

(١) نص هذا الخطاب فى الصفحات من ٨٠ إلى ٩١ من القسم العربى

من بيروت في ١٥ فبراير ١٨٨٤م الموافق ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٠١

ان ارسل سواي حظيرة قدس مولاي وأنا لم أخص فلا عجب ولا عقوق فاني أخص حشم
تلك الحظيرة واقربهم الى قدسها فأنا اشدهم خوفاً من مولاي وابعدهم تصوراً لعظمته وما
تصورت غير العجز عن التصور فكلما ترح بي الوجد الى المراسلة غشيني من هذا التصور غاشٍ
عمني هيبة ودهشة وأفعمني ذهولاً وغشية حتى لا اعقل الا العجز ولا اعي الا القصور
ولا اسمع الا الزجر ولا ابصر الا الخطة ولا أحس الا الضعف ولا أجد الا الحيرة
بل هذه كلها كلمات اكنّي بها عما يعروني حينئذ من الاحوال كما يكنى بما في الدنيا عما
في الجنة على أني لم انهزم من هذه الاحوال لأول صدمة بل اثبت اغالبها وأعاني
تلطيفها بالالتفات الى جانب حلم سيدي وسعة كرمه فلا يجديني هذا الالتفات الا رجاءً
في غفران ما أراني عند النظر الى جانب جلاله قد اقترفته من سوء الأدب بسبب الجرأة
على ارادة مراسلته مولىً لا يتطاول اعناق الحكماء موطئ نعله من العلياء مولىً لا ندري
هل يعلم الحكمة ام الحكمة تعلمه ولا نعقل من المعنى ومن المبنى منهما مولىً لا نخشى أن
نقول فيه ان روح الطبيعة برزت في ثيابه لتهدي عالمها الى ما تريد من اسرارها وترشد
ابناءها سبيل التمدن الحق الذي ضلوه وحسبوا انهم سلكوه فمن أنا اذاً وماذا الكون حتى
ارفع وانطاول نحوها فتاً على مراسلته وهل لي من العلم الا ما الهمني اياه وهل الهمني الا ما
يلهمه الوالد لطفله من الكنايات التي تلائم ذوق الطفولية كما يكنى له مثلا عن الجذب
المنوطة به الكواكب بحبال من نور او كما يعبر له عن لذة العلم في ذوق اهله بحلاوة السكر
ونحو ذلك مما اذا شب الطفل وبلغ سن الادراك لا يجد بينه وبين المكنى عنه نسبة ما
وتعقل انه لم يكن متعقلا . هذه هي منزلتي من مولاي بل منزلة جميع العالم منه ولكن

أراني مهما بلغت بالغا حدا يؤهلني الى مراسلته الا استفادة واسترشادا وذلك ما اردته
من أولئك هذه ويعلم الله وسيدي اني ما قصدت بما قدمت حسن تنصل من تقصير او دفع
توهم قصور ولكن وحق المولى يمينا قطع لساني ان حنثت فيها ما حكيت الا صدقا ولا ذكرت
الا حقا هذا وليس ما اردت شرف بسطه بعد حكاية حتى يكتب مولوي التفكه بذكرها وها هي
بغاية الايجاز ونهاية الانجاز

لما ثلبنا روحنا وفارقنا حياتنا الحقيقية (استاذنا وسيدنا) اخذ الخوعم الخيعامة
يتربص بنا الفرص لتلاشينا غير مكتف ذلك ~~الهيتيع~~ الهبرع بما فعل من خنا وخيانة
وكان قد نبه انضابط علينا فوكل بنا عيونا لا تكاد تطرف تراقب ما عسى ان يفرط منا من
هفوة او عثرة نؤخذ بها فلازمتنا تلك العيون ملازمة العرض للجوهر لا تنفك عنا
اينما كنا وحيث حللنا وقد زاد ذلك في نفور الناس منا حتى اصبحنا اجانب منهم وفيهم
وانما يشار الينا باطراف البنان بحيث انه كنا اذا حل احد منا بقهوة انفض جميع
من بها تباعا سراعا لا يكاد يلوي احدهم على آخر فتخلو القهوة ويكسد سوقها ولا يدري
صاحبها ما السبب وكثيرا ما كنت انا وسعيد نفعل ذلك لهوا ولعبا ثم امتنعنا اشفاقا
على ارباب القهاوي من الافلاس وهكذا اصبحنا بين اهل مصر كالسامري في قوم موسى
واخص بالتشفيه من بينهم كتاب جرائدهم ومن كان يبالغ في الخضوع للسيد فقد كان
هذان الفريقان اشد حدة واحد لسانا كأنهم يدرأون بذلك عن انفسهم شبهة في
النسبة الى السيد وهذا بصرف النظر عن صاحب الاهرام فهو لا يزال كلما عنت له فرصة
يملأ جدا اول صحيفته بذكرنا لا سيما عند انتصار الانجليز فقد دندن وطنطن وصرخ
وصوت وولول ونادى بان جميع ما جرى في مصر هو ثمرة ما بزره جمال الدين وتلامذته
واما الكتبة بالجرائد الاجنبية فلم اذكر لاحد منهم سوءا الا المكاتب التيمس الذي كان قياضى
مدح السيد اثر زيارته له فانه اراد ان يقدح فبحث وفتش على معايب فلم يجد وابى الا ان ذم
فرمى المولى بان عيونه كانت تبرق ولم ندر ماذا اراد بهذا الوصف وكانه اعمى فرمى السيد
بما هو من اوصاف البصير

ولا اذكر جريدة الحكومة وما اتت به فقد قامت وقعدت وكرت وفرت وفكرت ودبرت
وغاصت في بحار السجع وسجت ثم ادركها الكلل فنامت واحتلمت ثم تنبهت وتمطت
وتجشت ثم تثاوبت وتجشت ثم لفظت شيئاً لاكنه بعد ان قاءته امعاء اوليائها
ثم تلقفت غيرها من الجرائد بأن تلوث وجوهها بتلك الفضلات فأبت مرآة الشرق الا
الطهارة فعوقبت بالتعطيل ستة اشهر واوعدت بالبحث في سوالف اعدادها زاعمين
انهم يذكرون لها الوقيعة في الدولة العلية (وماذا كان اسكتهم عما كف) فآثرت
المرآة ان تحتجب احتسابا بالشر وتركت امر الوعيد لله

واذ علمنا ما هم يتربصونه بنا احرصنا كل الحرص غير مظهرين المبالاة والاكتراث آخذين
باطراف المكر والدهاء والخديعة مع شرف نفس وعلو همة واباء ضيم غير معتمدين ولا معولين
على احد الا فيما حدث لي عند فراق السيد اذ رفعت في حقي شكاوي عديدة الى الضبطية
حين كانت مرآة الشرق تعلن ما ويهم فاول طلب جاءني من الضبطية كان في غد رحيل
المولى فايقنت بالشر لجهلي بسر الطلب فبعثني هذا اليقين على التوجه الى موسيو مجري
وعرضت عليه الطلب فايقن بما ايقنت به ايضا وقال لا تخف وانما استصحب معك جندياً
ليعود الي بخبر ما يحصل لك واياك ان تنزعج او تقول اذا سئلت عن شيء الا الحق ففعلت
كذلك ولكني لما وجدت الطلب لاجل الشكاوي المذكورة حمدت الله وصرفتها بكلمتين
ليس الا فلم تبلغ الضبطية مني مرجوها وهكذا لبثنا ستة اشهر نعاني مقاومة الاضطهاد
وقد ظهر سر مولانا في خلول الستة الاشهر هذه بمظهر عجيب وذلك ان جماعة الكندرية
الذين ظهر فيهم اثر خطبة المولى وهم آل بيت سرسق وقطه وزغيب والخلع اجتمعوا
على القيام باعلاء كلمة السيد والندا بما كان ينادي به وضموا اليهم عصبة من المسلمين
ونفعا ونواعي اصدار جريدة نصفها عربي والنصف الآخر فرنساوي ينشرون فيها ما
جمع السيد عليه كلمتهم في خطبته ونظر فاحدثت تلك الجريدة من اول يوم صدرت فيه شهرة
لم تأخذها اشهر جرائد اوروبا بعد عدة سنين على انها جانبت التهور والحدة فوق

مايوجبه عليهم الادب والاعتدال حتى لقد تها فتحت على تسوئتها سائر الجرائد المحلية عربية وافرنجية حقدا عليها وحسدا وتملقا الى رياض باشا اذ حسبوا ان تلك الجريدة صنيعة شريف باشا فأخرستهم جميعا بما اوجب الثناء عليها وخيبتهم فيها رغم انفهم ولم يكن عمل هولاء الجماعة مقصورا على تلك الجريدة بل كانوا دونوا لائحة اصلاح وجابها وفد منهم الى مصر ورفعها الى الخديو وسألوا عزل سادات الجمعية العمل بها فتنغص الخديو من ذلك ولكن لم يستطع الا الاحتمال والصمت ثم اخذوا ايضا في تدوين لوائح غير تلك بما يرون وجوب اجرائه في القطر ولكن من سوء البخت ان رياض باشا الذي كان وقتئذ ناظر النظار يرى ان المصريين ليسوا اهلا لمثل هذه الحرية وهي عقيدته التي يعلمها فيه سيدي والتي هي عيبه الوحيد فتصدى لتلك الجريدة وكلف ناظر المطبوعات الذي كان وقتئذ استاليانيا بتعطيلها فاستعصم فكلف نفس ناظر الخارجية بذلك فعمل على غير العادة فلم يكن من الجمعية الا ان رفعوا على الحكومة قضية فقضي لهم وهموا باصدار الجريدة ثانيا لولا ان المسلمين الذين كانوا في جمعيتهم تفرقوا عنهم بل وتصدوا [illegible] انهم نفاقا فجبوا وسخطوا قائلين انما نحن نخدم بذلك المصريين لا نخدم انفسنا اذ ما من احد منا الا وهو رعية دولة اجنبية وفي مأمن من استبداد الحكومة المصرية وفي غنى عن حريتها فحيث ابى المصريون الاشتراك في هذه الخدمة فما لنا ولهذا العناء الذي ليس لاشخاصنا منه فائدة ومن حينئذ كفوا عن مشروعهم فلا حول ولا قوة الا بالله

ثم لم تمض علينا هذه الاشهر الستة الا وقد تنقل بنا الدهر فاحلنا المكانة العليا والمنزلة القصوى فتولى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع وضم اليه اخواننا الطلبة كالشيخ عبد الكريم وسعد زغلول والسيد وفا والشيخ داغر والشيخ محمد خليل وتولى علي بك مظهر رياسة القلم العربي بمجلس النظار وتولى هذا الخادم وظيفة الكاتب الثاني بنظارة الاشغال وبالجملة لم يبق احد من المخلصين في محبة السيد الا وقد ظهر شأنه وارتفعت مكانته حتى اندهش الناس من هذا الارتقاء السريع الذي نلنا بعد توقعهم لنا شيئا

وما منعهم من ان يقولوا علينا سحرة الا تحاشيهم من التظاهر باعتقاد السحر المعدود في
ذوي المستنيرين من الخرافات . وكان هذا الانتقال اوقع في افئدة الناس منا رهبة وهيبة
وحملهم على تعظيمنا وتكريمنا ومراعاة الادب والاحتشام في مجالسنا حتى كنا نضحك
من ذلك فيما بيننا واذا خلونا وانا الذي ارى ان ذلك الانتقال هو العلة التامة في
تعظيمنا الاحد بحيث كنا لو حل احد منا بمجلس طأطأت له الرؤوس وخرست الألسن في
وصاخت له الآذان وتعلقت له بقية الاعضاء وانما ذلك لسر اثره بزرع غرسه
فينا استاذنا وتعهدنا بما اودعه بنا من ماء الحزم فزهى واينع
على ان ثمرة هذا الانتقال لم تستمر لنا فنسينا اخذ الحذر من (خرزنبور) اريد توفيقا
اذ كان لم يزل بنفسه منا ما كان اولا بل زاد تقدما حنقا علينا واحبطا منا
وما غل يديه عن البطش بنا الا ما كان مصابا به في عهد وزارة رياض من انحلال
القوة وفقد النفوذ اذ لم يكن معه مستطيعا حلا ولا عقدا ولا امرا ولا نهيا بل
حجر عليه * فمنع ما هو من حقوقه كاعطاء الرتب الا برأي مجلس النظار فهيهات ثم
هيهات ان تتم مصر توقعا كما لو رياض لو بقيت في يد اهلها
وقد زاد حذرنا عندما استدعت الحوادث الاخيرة التي سموها عصيانا فجانبنا الدخول
فيها ما استطعنا سالكين طريقة من ليس له في الامر شيء زاهدين في النوال زهدنا في العقاب
لا رغبة عن الحرية ولا رضا باأزواجها بل لعلمنا بالباعث الحقيقي على تلك الحركة ثم
وجزمنا بضعف القائمين بها وجهلهم بما يجب لها راجين مع هذا ان نسلم من تحميل
نسبتها الينا اذ لم يكن يحصل بمصر ادنى حركة من هذا القبيل الا عدوها من آثار استاذنا
وتلامذته ولهذا فاننا نحمد الله تعالى حيث لم يكن السيد بمصر ايام هذه الحوادث والا
لكان اول محاسب فلله الشكر والثناء
ثم انتهت تلك الحوادث باستيزار عصبتها فاخذوا في تنقية الوظائف من العلث
القديم وانتقوا لها من الشبان من رأوه خليقا بها فكنا فيمن وقع اختيارهم عليه

فتولى محمد عبده فوق تحرير الوقائع رياسة قلم المطبوعات الشرقية عربية وتركية وغيرها
(وان لم يعرف غير الاولى) وصار هذا الضعيف (انا) مفتشا بالداخلية وسعد زغلول معاونا
بها فزاد بذلك ارتفاع شأننا ولكن عُدّ ذنبا لنا عند حزب الخديو علاوة على انّا وعلى الخصوص
ابراهيم لم نخرج عن الحد الذي اوقفنا انفسنا عنده في تلك الحوادث ولم نكن نتظاهر بالميل مع
اي حزب منها ولم يكن لنا فعل في جريان الحوادث غير ما كان يطلب منا من الآراء والمشورة
ولم يكن من رأينا الا اجتناب اسباب الحرب والاجتهاد في دفع وساوس المستر مالت قنصل
انكلترا الجنرال وفي مداهنته ومسالمته واجتذابه
وقد كان الناس جميعا الا النزر اليسير سروا بانتهاء الوزارة الى العصبة المذكورة
وصيرورة الحكومة شورية فاخذوا في اسباب اعلان السرور فكانوا يتسابقون الى
اعداد الليالي لتلاوة الخطب للشكر والطرب واكثر ما كانوا يعولون في الخطابة على تلامذة
السيد الافغاني فكنا نروغ ونحاول الخلاص من ذلك فلا نجد مفرا خصوصا وقد كان الوزراء
هم الذين ينتدبوننا غالبا الى ارتقاء المنابر فنحتشم ولكن لا نخرج فيما نقول عن حد الاعتدال
فطار بذلك صيتنا واشتهر امرنا فعدوا ذلك لنا ذنبا ثانيا وتم اعتقاد حزب الخديو
بأننا من حزب العصاة
ثم استفحلت الحوادث بدسائس مالت وسقطت تلك الوزارة وآل الامر الى مجاراة
انجلترا لحرب مصر حربا لا يسوغها قانون ولا ترضاه عوائد المتوحشين فضلا عمن
يدعون التمدن ثم انجلت الحرب عن هزيمة المصرية بدسائس الخديو وسلطان باشا فاخذت الحكومة
في القبض على رؤوس العصبة واعداد المشانق لهم ظنا من الخديو انه سيكون حرا فيما يريد
ويشتهي وان الانجليز ما بذلوا مالهم واراقوا دماءهم الا لتأييد جنابه حقيقة عشقا فيه
وشغفا به لتنال ويكتوريا من حسنه وجماله ما قضت عمرها في تمنيه منه ولكن
ما انبهه وما اذكاه فقد فهم اليوم انهم ما جاؤوا الا لتقييده لا لتأييده
وقد كنا في ضمن هؤلاء الرؤوس المقبوض عليهم فدخلنا السجن جانيين بالقتل ولكن

ويعلم الذمة ما نبضت لنا فريصة ولا خفق لنا قلب ولا شابنا انزعاج الاولاد خلفنا
من الاشفاق على تيتيم اطفالنا على ان الانجليز لم تدعه يتمكن من الانتقام والتشفي
وانما جارته على هواه الى ان احتلت بانحاء القطر وتغلغلت في احشائه وتمكنت
من القلاع والحصون والثغور وجمعت جميع ما في القطر من انواع الاسلحة ثم تظاهرت
برأيها من انه لابد من المحاكمة لا رأفة منها استغفر الله ولكن استمالة للافئدة بما
توهمه بهذا العمل من انها عادلة منصفة وجعلت للخديو نصيبا منه تخلصا من هذا
الايهام اذ بنته على اوامره ليقال عنها انها ايدت رجلا عادلا وحينئذ شكلوا من المجالس
ما شكلوا واجمعوا رأيهم على محاكمة الاشقى فالاشقى فاحصوا اولى الدرجة الاولى
من الشقاوة بحسب انتقاء الخديو ومن بحاشيته من الصغار ونقلوهم من سجن الضبطية
الى محل اعد لسجنهم وزعموا انه على نمط سجن الاشقياء في اوروبا وما اظنهم في
صادقين في زعمهم هذا ولو لكان حكام اوروبا افظ الناس واغلظهم جانبا واقساهم
واخشنهم قلبا فاني كنت محسوبا من ارباب هاته الدرجة وسجنت في هذا السجن
خمسة اشهر الا اياما وها انا اصفه لمولاي على ما هو عليه بلا زيادة ولا نقصان
وتشبيهه ان شاء على ما هو مشاهد له الآن في فرانسا . هو عبارة عن حجرة ليس
بها متنفس الا منفذا صغيرا مما يلي السقف عليه شباك من حديد ضيق الابعاد جدا يليه
منسوج من سلك لا تزيد مساحته عن مسام الخرقة بحيث لا يكون الضوء في تلك الحجرة
عند محاذاة الشمس لذلك المنفذ الا بمقدار ما يرى الانسان ان يضع قدمه وفي تلك
مجرح مطوية لا يمكن اتقاؤها ولا اتقاء ما يصعد عنها من الروائح الكريهة التي اثرت
ببصري تأثيرا لم يزل بي حتى الآن ثم هي لا تفتح لا ليلا ولا نهارا الا لحظة عند
الصباح ولحظة عند المساء لقضاء الحاجة على انهم لا يمكنوننا من قضائها على وجه الصحة
بل كانوا يستحثوننا وربما دخلوا المراحيض وازعجونا رغما ولذلك كنا كثيرا ما نضطر
الى قضائها داخل الحجرة وكانوا يحظرون علينا الاستصباح وتناول الدخان ومطالعة

الكتب وتلاوة القرآن والكتابة فكانوا يخافون وصول شئ من اسباب ذلك
الينا وعلى الخصوص اما كان جرنالا ولزيادة احتياطهم كانوا كل يوم يأتونا
فيفتشوننا تفتيشا مهينا خوفا من ان يكون قد وصل الينا شئ من المحظور علينا مثل
كبريت او ورق ولو ابيض ثم ينفصلون عنا بعد ان يوسعونا اهانة وتهديدا وايعادا
بالقتل والسلب ونوسعهم تجلدا وثباتا وكانوا ايضا يخافون وصول اهلنا
وخدمنا الينا وانما اذا جئ لنا بطعام او لباس من قبل اهلنا حمله السجانون
الينا من غير ان نرى من جاء به او نرى اثرا وربما جهلوا صاحب الشئ فاعطوه لغيره
وهذا بعد ان ينتقوا منه لانفسهم ما يشتهون ويعطونا الباقي كصدقة يطرحونه
من بعد فيكسر من الاواني ما يكسر ويتلوث من الثياب ما يتلوث وتنال الارض
من الطعام نصيبها هذا هو مجمل اوصاف السجن فهل هو كذلك في اوروبا . نعم كان
يستطيع تلطيف هذه الشدة من هو يبسط يده بالبذل فقد تحصل بعضهم على العلبة
من الكبريت بليرا انجليزية فكم يكون ثمن غيرها من انواع التلطيف وقد تحصل
محمد افندى الصدر على دواة وقلم بثلاثة عشر ليرا وعلى هذا القياس ياسيدى
والهو قياس ينتج ان مثلى عانى الشدة طول المدة ولم يستطع الى التلطيف سبيلا
وما هي بالمدة القصيرة بل خمسة اشهر الا اياما
على ان الانجليز كانوا عينوا مفتشين منهم للسجون يمرون علينا مرة في كل اسبوع يسئلونا
عن احوالنا وعما عسانا نشكو منه فكنا نكتم عنهم حقيقة الحال الا ما يضر بالصحة مخافة
ان تقع شكوانا الى مسامع الجنرال (نوفيق) بواسطة السجانين الذين هم من اعوانه
فلا يعدم حيلة الى ايذائنا وما ذلك الا لانقطاع اخبار الخارج عنا وجهلنا بما هو
عليه من الضعف وسقوط المنزلة والا لكنا تخلصنا من هول تلك الشدة غير ملتفتين
بما كان يصل الينا من التهديد والوعيد ولكن ما هي حيلة الجاهل الذى ما عرف حلول العيد
الا بتوالى اطلاق المدافع اربعة ايام في كل وقت من الاوقات الخمس

وما كان لنا مؤنس في السجن الا تعليل النفس بقرب حلول دورنا في المحاكمة ولا سامر الا هواجس مخاطر بما ندافع به عن انفسنا وقت المرافعة فكانت تنشر وتنشرح من هذه الخواطر وتمني ذاتها اماني عديدة من الغلبة وكسب الشرف والفخار في مقام المحاكمة وطلب عوض ما لحقها من الاهانة والضرر والخسارة الى غير ذلك من الاماني التي كانت كانها بين ايدينا ثم استيقظنا فلم نجدها . وذلك انهم راوا المحاكمة تؤدي الى اهانة الخديو (توفيق) بوقوفه صغيرا ذليلا في مقام المرافعة والى القاء المسؤلية بتمامها على عاتقه وهذا يدلي الى فضيحة الانجليز بتاييدها ولذا درءا مثل هذا فاحبت ان تتلافى هذه الفضيحة من وجه وللخديو تواتي وترامى على اللورد دوفرين من وجه آخر فبتت المسألة على وجه سياسي لا وجه قانوني وكانت قد تواطأت مع عرابي ورفاقه على بت المسألة بهذه الطريقة فتوسطت فادعى المجلس ان عرابي وستة معه يستحقو القتل وان الخديو تنازل الى النفي المؤبد وفوضوا امر باقي المسجونين الى راي الخديو فاطلق من اطلق وجرد من جرد ونفى من نفي كل ذلك بالاستبداد والهوى لا بالتحقيق والانصاف

وكنت انا والشيخ محمد عبده في ضمن من حكم عليهم بالنفي كل منا ثلاث خارج القطر المصري بعد ان كان محكوما علي بسبع سنين وعلى الشيخ محمد بعشر سنين في توكر وهي بلد بالسودان فوقه مصوع وسر هذا التخفيف جدال وقع بين سعادة العلامة الفيلسوف علي مبارك باشا وبين شريف باشا اما سعادة الاول فكان يحاول نفينا الى حيث لا نتمتع بالحياة ولا نعود جزاء احساننا عليه وتصنيفنا له التصانيف التي يحيي بها علم العلماء فضلا عن الذوات من غير ان ننال منه على ذلك ثوابا الا الراتب الذي كنا ناخذه من الحكومة في نظير عملنا بها وكان يخشى ان نتهم بانتحاله تلك التصانيف في يوم ما من الايام ولا يعدمونه فيضيع صيته الباطل سدى فاراد ان يعجل بفقدنا فطلب ان ننفى هذا النفي القاطع للحياه . واما سعادة شريف باشا

حفظه الله فكان لا يحاول اطلاق سراحنا ولا صلة بيننا وبينه البتة فلا ادري ما الذي بعثه

على المدافعة عنا جزاه الله خير الجزاء فقد كانت مدافعته سببا لتلطيف الحكم ودفع الاذى

الذي اراده بنا علي مبارك لعنة الله عليه

وفاتني ان اذكر لمولاي انهم ساووا في السجن بيننا تلامذته وروءس العصبة اي عرابي وباقي

السبعة الذين استحقوا القتل فافردوا كلا منا في سجن على حدته وزادوا في التشديد عليه فوق

ما عاملوا به عامة المسجونين ولو كان الامر بيد البغاة (التوفيقيين) لاستعجلوا بقتلنا قبل كل من

كان يود الانتقام منهم ولكن الله سلم

ثم بعد الحكم علينا بالنفي اخذوا ينقلوننا جماعة فجماعة الى حيث ما يريده كل شخص من الجهات

فلما جاء دور الجماعة الذين كنت احد افرادهم ونقلنا الى سجن الاسكندرية ينتظرون بنا ميقات

سير الوابورات رأيت في السجن رجلا اعجميا طويل اللحية عليه سيما المرض اقبل يسلم علي سلام

الاخصاء مع هشاشة اعرفها وبشاشة لي عهد بها وان مازجها تململ المريض وتأوه

المظلوم فتأملت طلعته وتفرست هيئته فوجدتني اعرفه فكدت أصيح ولكني دهشت

وطشت وذهلت وغبت عن وجودي فاني وجدته ابا تراب أوليس اني خليق بتلك

الدهشة كيف لا وهي فرصة لو فاجأت الحجر الصلد لذاب ماء او طار بخارا. ثم بعد ان وقفت

منه على ما فصله لمولاي ومولاه حمدت الله على مصيبته فقد رجحت على مصيبتي اذ كانت

مصيبة كل فائدة لصاحبه واقل ما في ذلك زوال وحشة الانفراد

هذا موجز ما كان مما يتعلق بنا بعد فراق سيدنا وقد اضربت عن حوادث كثيرة جرت

في خلال ذلك ولكنني قيدتها واحدة فواحدة فاستوعبت مجلدا لطيف الحجم وادخرته

على نية ان ارفعه فكاهة الى سيدنا عندما يسعدني الاتفاق بلقياه فاني كنت ولا ازال

أمني النفس برؤيته عاملا على بلوغ هذه الامنية ما دمت حيا فاني وحقه لا ارى

الحياة حياة الا بخدمته . وهذا المجلد كان قاصرا على ما جرى من عهد فراق السيد الى ابتداء

الحوادث الاخيرة المسماة عصيانا مستفتحا بذكر السيد ومناقبه وما فعله عصره من المواهب

وما تركته بها من الآثار التي ما خدم بها الاسلام احد قبله والتي لا يقوم بشكره عليها الا
الحقيقة المحمدية . واما ما جرى من ابتداء الحوادث الاخيرة الى ليلة القبض علي فقد افردتها
بالتقييد وعنيت بها عناية المؤرخ الناقد على قدر ما وصل اليه حولي حاكيا كل حادثة منها
على ما ظهر واشتهر ومردفا لها بما بطن من امرها واقتصر على ما ينبغي من النصفة والدقة وما
يوجبه التطرق فيها من التجريح والتصحيح والتخطئة والتصويب فاستوعبت هذه
الحوادث ايضا مجلدا اعظم حجما من الاول والاخرة كذلك ليكونا في اوراق مولاي
اثرا وذكرا . غير ان الظلم يا سيدي لا يبقي ولا يذر فانهم ليلة اذ قبضوا علي اقاموا
على المنزل عفرا محافظة على ما فيه الى ان يهاجموه ويضبطوا ما يضبطونه منه كما فعلوا بمنزل
الشيخ محمد عبده من قبل بليلة اذ ضبطوا جميع ما به من الاوراق فاودعت في اخفى عنده ما وقفت
على نيتهم في ليلة القبض ان نواري سائر ما عندي من الورق الا ما كان منها مجلدا مطبوعا فلم
تتمكن من فعل ما اوعزت به اليها فان العسكر الذين كانوا عفرا على المنزل منعوا خروج كل شيء
بل منعوا خروج احد من اهل المنزل ودخول احد منهم اليهم ولهذا فلم تجد بدا من طرحه في
المرحاض فذهبت ذكراي فيما لا يذكر

ها انا قد بسطت ما اردت بسطه من حكاية حالنا فلأعرض على مولاي ما اردته بهذه
الأولى . قد قضى علينا السجن ببيع امتعة منازلنا حتى الغطاء والوطاء لسد الرمق بأثمانها
فلم ينقض السجن الا وقد نفد جميع ما في الدنيا فتخيرنا ان ننفى الى بلاد دولتنا رجاء ان نجد بها ملجأ
ونصادف فيها مخلصا فنحصل على ما يقيم أودنا الى ان يقضي الدهر بما هو قاض تاركيه أمر
عيالنا في مصر الى الله تتفضل بهم الصدقة العمياء ما هي فاعلة فجئنا بيروت فلم يستقر بنا المقام
حتى أمرنا بالخروج منها وانه لا نطأ ارضا للدولة العلية مطلقا فحرنا في أمرنا وحملنا الاضطرار
فصد
على اقتحام الباب العالي على النحو الذي ابو تراب لسيدي فاذا لم يستجب الباب العالي دعاءنا
فما هي الحيلة وماذا نصنع واين نذهب ولسنا على شيء يؤهلنا الى قصد اوربا ولا عندنا
من الثروة ما يساعدنا على المقام فيها وما سألنا سيدنا هذا السؤال طالبيه منه لجوابه

(تتمة الحديث في ظهر الرسالة)

الا لأنه هو السبب في ظهورنا وافتتاح بصائرنا وقد كنا أولا نسبح في بحار الغفلة متلذذين باوهامنا مستغرقين بخرافاتنا
نفرح ونرضى ونتألم لا علينا ولا لنا فجئت واستنقذتنا من هذه الاوهام واستخلصتنا من الخمول فاحييت لنا بذلك احساسا
كان فاقدا منا وشعورا لم نكن نعهده فينا فصرنا نتألم من كل ما لا يلائم هذا الاحساس ونتأذى من كل ما لا يجانس ذلك الشعور
ولا شيء في مصر مما يلائم هذا او يجانس ذاك فنحن على الدوام في ألم وتململ وانت انت السبب في ذلك (وعجيب اننا لا ننفك
نشكرك على ذلك عوضا عن ان نشكوك) فعلى سيدنا ان يهدينا السبيل الذي نسلكه فيما نزل بنا من المصائب واسأل الله ان يهدينا سبيلا
يوصلنا الى الاجتماع بمولانا حفظه الله هذا واني اختم هذا الحديث بلثم اعتاب مجلسه (؟)

عن خطهم
ابراهيم
اللقاني

حضرة الشيخ محمد عبده هذه تحريرات ابراهيم الاولى وسأتي
ان ارجع فيها الى سيدنا فالعفو واجب عليه من فضل اقدام
ولم احادث وعندي عذر ما يليق من ذلك علم المولى
بحال الاعراض عنه.
واذا شاء السيد ان يتفضل على خادمه ابي زيد
او عبد ابراهيم شيئا من الكتابة فليكن عنوانه
باسم السيد عبد القادر افندي القباني مدير
جريدة ثمرات الفنون

(٢) نص هذا الخطاب فى الصفحات من ٩٣ إلى ٩٦ من القسم العربى

من بيروت في ٢٥ فبراير ٨٤

هذه الى خاكپاي سيدنا ومولانا متع الله العالم بطول حياته وقد تقدمها اربع احداها
عجالة من خادمه ابى تراب ارسلها عن طريق باريس باسم ادارة البصير يخبره فيها علم مولانا
بحلوله بيروت ويعده بتفصيل ما وقع له والثانية هو هذا التفصيل بعث به عن طريق
لوندره والثالثة يخطر فيها سيدنا بارسال هذا التفصيل وارسلها في طي رسالة من عبده
ابراهيم وهي الرابعة وقد بعثناها الى باريس رأسا باسم صاحب البصير ايضا
ولم يزل ابو تراب يتوقع ما يرسم به عليه مولانا حيران قلقا لاجله يتروع به الاشفاق
الى ان يبعث الى حضرته بجانب من النقود بواسطة احدى البنوكة ثم يمتنع توجسا من
كون ذلك لا يحسن لدى سيدنا ومخافة ان يكون السيد بارح باريس اذ قرأنا في الجوائب
منقولا عن جرائد باريس انه على عزم الذهاب الى لوندره وانه جزمنا بتحريف النقل ولكن
ذلك لم نجزم لم يمنع الخوف المذكور حتى ترجح لديه ولدي جانب الامساك عن الارسال
مع ما هو فيه من اشتغال البال واضطراب الخاطر اشتغالا واضطرابا يكاد انه يدفعانه به
الى باريس على غير شعور منه لولا انه مقيد بأمر مولانا من انه لا يبرح الا بأمره
ثم هو وانه كان لم يزل يتوقع مراسيم مولانا الا انه يخشى ان يكون السيد في شاغل من حيث
اباء الدولة العلية عن قبولنا في ممالكها الشاهانية وتكليفها لنا بالخروج من بيروت على
ما فصله ابو تراب وربما كان ذلك موجبا لتردد مولانا في ارسال مراسيمه الى بيروت لاحتمال
انجلائنا عنها فرأينا ان نعجل باحاطة علم مولانا باننا لم نترك ولا نزال في بيروت غير
متعتعين ولا مزحزحين وانه لم يصدر من الدولة ما ينسخ امرها الاول وانما كنا
ارسلنا الى الحضرة السلطانية بطريق التلغراف نسترحمها ونكشف لها انه الموت ولا
الخروج من ظلها والهلاك ولا مبارحة بلاد الاسلام وبمثل ذلك راسلنا مسند الصدارة

والباب العالي وعززنا ذلك بعريضة طويلة رفعناها الى والي سوريا ثم سكتوا وسكتنا
نحسبنا هذا السكوت اجابة ورضا وكانت سياستهم في ذلك والله اعلم ان نكون على ريبة
مستديمة في امرنا فنظل بها في شغل شاغل عن الافساد الموهوم فينا بحيث لو رأوا منا
أدنى شيء مما يتوهمون اخافونا بتنفيذ الامر الاول الذي لم ينسخوه نسخا صريحا ليكون
متاخرا لنا كعصا الزاجر تهديدا وارهابا وعلى ذكر ذلك اقص على سيدي امرا اوشك
عندي في بلاه سرورا وهو ان اهل بيروت عند صدور الامر الاول هاجوا وماجوا
نفورا منه واشمئزازا وعلت رؤوسهم غيرة وحمية فتجمهر الوجوه منهم وساروا الى دار الولاية
معا ونبهوا على نسخ هذا الامر واستغربوا للوالي مما فعل بابيدتهم واتخذ عموم المسلمين من
التأثير وما عناه يعني نحوا ذكل مسلم في الكرة الارضية ولم يبرحوا من عنده حتى
رأوه على مشربهم بل ووعدهم بانه يبذل جهده في نسخه ولم يمض غير قليل حتى اوعز الى
بعضهم بأن يسكن روعنا ولكن لا يسند الخبر اليه ففهمنا المقصود واطمأننا فانظر يا سيدي
هذه الهمة وقسها على الهمة للمصريين الذين كانت حكومتهم يوم ان اخرجت مولانا في
غاية الوجل ونهاية الخوف من حصول ثورة تعم القطر وتزعزع اركان البلاد حتى
حملها على هذا التخوف على ان بثت في البلد قوة للحماية على الراحة فوق العادة ونشرت
الجواسيس في سائر الانحاء التي توهمت انتشار الثورة منها وهم اي المصريون لم يكونوا
يومئذ في شيء مما توهمته الحكومة بل كانوا على عكس ذلك فبلغ الخوف من قلوبهم ان كانوا يتوارون
ويتحاضون في المنازل بل منهم من بادر في حينه الى السفر وتغيب حتى انقطعت السيرة
وجزم بالأمن فضلا عما كانوا يتظاهرون به من بغض السيد والوقيعة فيه درءا عن انفسهم
الدنيئة وليس ذلك بعجيب على امة مثل المصريين لبثت كذا كذا احقابا تحت ضغط
الاستعباد ونير الاستبداد حتى تحولت حرارة دمها الى برودة وتأثرت نفوسها تأثرا
اودى بملكاتها الغريزية واحدث فيها اخلاقا من اضدادها رسخت بتوالي الدهور فصارت
ملكات ثابتة يتوارثها عقب عن عقب وجيل عن جيل فأنى لها بمحو هذه والاعادة

تلك الا بعد ان يمضي عليهم في التربية والعلاج مثل ما مضى عليهم في الاستعباد والاستبداد
وهيهات هيهات فهم على هذه الاخلاق يعيشون وعليها يموتون فانا لله وانا اليه راجعون
ثم ما اعظم مصابهم وما اسوء بختهم ان تركتهم فرانسا تحت ظل انجلترا ونسيت ان انجلترا
هي التي اخرجت نابليون من مصر عنوة بعد ان روّت ارضها من دم رجاله وخسر فيها ما
خسر من ماله ومن يا ترى للمصريين ان اقعد فرانسا التخوف من بسمارك عن اخذها
بالثار من انجلترا وعن تدارك خطأ سوء سياستها حيث تركت انجلترا تنفرد بالعمل في مصر غير
متذكرة خيانتها وهل اكتفت بتونس عوضا عن حقوقها في وادي النيل البهي الخصب ام
بينها وبين انجلترا اتفاق آخر لم يرد وراء حجاب الخفاء ومهما يكن من الامر فقد لعبت سياسة
انجلترا بسياسة فرانسا وساعد الاولى ما حدث من الخلل في داخلية الثانية حتى ولقد كان
لحدوث هذا الخلل من التأثير في قلوب المصريين ما لا اظن انه وقوعه في قلوب الجمهوريين
من اهل فرانسا فان المصريين لا يرجون خلوصهم من اسر الانجليز الا على يد فرانسا وهم
اذا كان لابد من استيلاء دولة اجنبية عليهم يفضلون استيلاء فرانسا ولو اماتتهم على
استيلاء انجلترا ولو احيتهم ولذلك تراهم يتوقعون قدومها آناء الليل واطراف النهار
حتى ان الانجليز اجروا يوما من الايام مناورة لاطفاء ثورة داخلية على فرض حصولها
فظن المصريون ان فرانسا قد دهمت الانجليز بخيلها ورجلها وخرج الكثير منهم لملاقاة
رجالها بالفرح والسرور وكثرت القالة فمنهم من يقول انها قادمة من طريق الفيوم
ومنهم من يقول من طريق القصير وهلم جرا حتى اضطر الانجليز الى اتخاذ الوسائل لقطع
هذه الاراجيف ونشرت الحكومة في جريدتها ما يكذب ذلك ايضا فتكدر المصريون تكدرا
شديدا لخلف ظنهم وبالجملة فالمصريون في حنق مجرد على الانجليز وان كانوا اذا
انقطع املهم من فرانسا يؤثرون بقاءها على تحميض السلطة للخديو كما انهم في حنق
اشد من ذلك على ابي نظارة حيث لم تتحقق الى الان نبوءة من نبواته وان كانوا لا
يزالون يتفاءلون في الحصول عليه عند ورود كأنهم لم يتردوا ابتلاءه ما فيه صلاح امانيهم

وان لم يجزموا بتحققها فلا يبلغ شيء الى ابانطاقي بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن سائر المصريين انا بعد السلام عليه كافرون به

اذ لا يمكن الايمان بمن لم تثبت نبوته والا فليأتنا بدليل على صدق تجديده فقد سئمنا معاشر المصريين واذنت نفوسنا ان تملكنا ~~وتملكنا~~

نفيض همها وغما وما كدنا نصدق بحدوث ما حدث فينا من حرية الاخيرة التي سموها عصيانا حتى جاءت الدولة الباغية الطاغية واغتصبت

انوفنا بحجتها الواهية وعضدتها فرانسا لجهة بسكوتها فاضاعتنا واضاعت حقوقها وما ضر فرانسا لو تركتنا ناخذ حريتنا مع

حفظنا لمصالحها كما اخذت حريتها فيما مضى بمثل ذلك لما يقتضي عنها ناموس الانسانية والحرية فهل اشفقت فينا على مصالحها

ووثقت من انجلترا ام ماذا يا ترى وهل لم تحسب لغدر انجلترا بها حسابا ام حسبت واعدت لذلك استعدادا تبلغ بها شرها

وضررها وايم الحق ومتى يظهر لعل الربيع موعدنا بذلك اللهم حقق ندعو دعاء المضطر اليائس مع علمنا استبعادنا لحصول ذلك نظرا

لما نحن فيه فرانسا من الخلل الذي حدث لمجرد موت رجل واحد كأن الله لم يخلق فيها سواه على كثرة عدد اهلها وكثرة العلماء والاحرار فيها وايم الله

لو كنت انا فرانسا ورأيت وشاهدت هذا الخلل لموت رجل وحد لاخذتني الغيرة على شرف فرانسا ان يقال انها بنت ~~[illegible]~~

رجل تموت بموته واجهدت النفس على جعلها في امة تحل من الناس محل هذا الرجل واحفظ زمام الامة الجمهورية كما كان حافظا له والا

فما معنى كونها امة عظيمة لو ان فرانسا تحول مجرى نظامها لانفراط جوهرة وحضر من عقدها ولو كانت تلك الواحدة هي الوسطى انه هذا

لمن العجب بمكان عظيم ولعل الحكومة هي التي تعمدت اظهار هذا الخلل من البلاد وهذا المبلغ لتتخذه عذرا في تقاعدها عن معارضة انجلترا في مصر

معارضة فعلية حتى لا يلحقوها عار من هذا التقاعد في تاريخ مستقبلها اذ يقال انها آثرت الاشتغال بداخليتها على الاشتغال بالخارجية احدا

بالاحرى كما كان الخديوي في اوائل الثورة يحاول حكمها السوداني ان اهل امر المهدي ودعه يستفحل ليكون ذلك داعيا الى حشد جند الموجود

في مصر فتتلاشى قوة عرابي وقد كانت عاقبة هذه السياسة السيئة فقدنا المهدي على اكثر نواحي السودان بل يمكننا ان نقول ان السودان خرج

من يد الحكومة بالمرة ولكن ما اظن فرانسا تعمل هذه السياسة (نؤجل بافي الحديث الى رسالة اخرى) ابراهيم عبدكم الوتراب عارف افغاني

من بيروت في ١٤ مارس ١٨٨٤

لو أذن لي سيدي وأستاذي ورب روحي ومعدل مزاجي ومقوم خلائقي ومحور خلقتي ومحرر
فؤادي أن أبث إليه شكايتي منه أو لو يسمح لي الأدب وكان مكاني في مجلس مولاي رحبا فأشكو
بعتبه ما ضاق به صدري ومن لي لو أذن السيد أو لو سمح الأدب بلسان لا يتلعثم وذهن لا يتزعزع
وأنا بين هول المشتكى منه وجبروت المشتكى إليه وشدة باعث العتاب وجلال المعاتب عليه
أما والله لقد كان لعبارة سيدنا في كتابه الأخير إلى تراب من التأثير ما كاد يخسف بي الأرض ويدكدك
علي السماء هولا واضطرابا ما كادت تسيل به نفسي ويجمد دمي فرقا وانزعاجا ما أوشك أن
يطير بمشاعري حيرة واندهاشا كأن لشكه في وفائنا وخزا في فؤادنا لو علم شدة وقعه لرحمنا
من أن يخزنا به وخزا وددت لو أنه أسال ما أسال من دمي على قدمي سيدي لينظر ماذا يكتب في
أرقامه من دلائل الوفاء وبراهين الولاء وخزا لا أسأل السيد ديته عليه فوق أن يأمر بابا تراب
فسح للفؤاد بتشريح ذلك الفؤاد عند ما يجهز الوخز عليه ليطلع على ما ملأه من الولع والشغف بمحبة
مربيه حفظه الله تعالى وهو العليم الحكيم أني ما كتبت ولا أكتب إلى أحبابه الأقدسين إلا عن إملاء فؤادي
هذه صفته وذلك شأنه ولا آسف على ما عاناه في تربيتنا وعلاج نفوسنا من المتاعب والأوصاب
أو ليس الذي أصابني من شكه في وفائي إلا كالذي أصابني مما أحسست بأن قد ترك به من
الأسف عند عروض هذا الشك له فهل لدي أن أذهب قبل هذا الشك دون أن يورث
مولاي أدنى أسف أو كدر . وليت شعري علام هذا كله وقد قلبت ظاهري وباطني وخبرت
سري وعلانيتي وفتشت جسمي وروحي وبحثت في غرائزي وملكاتي وجربت غيبتي وشهودي
فلم أجد إلا ولاء ووفاء وشغفا ووجدا وطاعة وامتثالا واتباعا وانقيادا وميلا
وانجذابا وخضوعا وخشوعا وسجودا وركوعا كل ذلك للسيد وفي السيد وبالسيد وإلى السيد
ومن السيد وعلى السيد فلم ولماذا هذا الريب بنا وعدم الثقة في شكه فينا . أعلى أننا مصريون
(واأسفاه على المصريين من بين الأمم) نعم نحن مصريون (وإن يكن الولد ابن أبيه ظنا) ولكن ألم
نصاحب سيدنا عمرا ألم يربنا ولدانا ألم يعدنا خلقا جديدا! بلى والله لقد كشف عن بصائرنا

وجلا صدأ نفوسنا وغسل درن ارواحنا وطهر دنس طباعنا واذهب رجس اخلاقنا

ومهد لنا سبل الفضائل وسد دوننا ابواب الرذائل واودعنا روحا هي بضعة من شعلة نورية

ولا انفكاك للشعاع عن مصدره شرقي او غربي . فاي طبع للمصريين او للمغاربة او للمردة

او للشياطين لا يتحول بتلك التربية ام اي جبلة للبهائم او للانعام او للوحوش لا تتغير

بزلال العلاج ام اي نفس بشرية او كلبية او خنزيرية او قردية تعاود مرارة الجفا بعدما

ذاقت حلاوة التهذيب ولاري السيد تتندى سروره يتمثل هنا احتجاجا علينا بقول القائل

إذا كان الطباع طباع سوء فلا ادب يفيد ولا اديب

فوالله لئن بلغت منا الخسة والدناءة والخبث مبلغا لا نهتدي معه الى جادة لما ضللنا سبيل البر

بسيدنا واستاذنا وولينا فليتق الله فينا وليرحم نفوسنا انا يقتلها صبرا بشكرها وفائها ولو

يكون جها ان تطالبه بظلامتها فيما تنشده

تنشئ عن الحب ما حادث وما عنفت باي ذنب وقال الله قد قتلت

فنحن جاليون في اي زمان واي مكان وعلى اي حال واي شكل واي وضع واي هيئة

وباي اعتبار واي حسبان واي نظر وبالجملة فنحن نحن والسلام.

هذا محصل ما كنت اريد ان اجعله موضوع شكايتي وهو باعث عتابي ولم اشكُ ولم اعاتب رهبة

وتأدبا وحسبي بعدل السيد منصفا لي منه . استغفر الله بل لأجل سائر فوق ان يكشف لي عن وجه

الشك لا ثوب ما إبراهيمي وما هو فيما اظن الا ما وقع الى مسامعه الشريفة عن الشيخ محمد عبده فاعتقده

صدقا ثم جعل سائر المصريين في ذلك حكما واحدا (وسرعان ما يصدق وسرعان ما يحكم) فان

صدق ظني فيها انا عن اذن السيد اكشفها عن كذب شك السعادة كما وعدت في الحاشية التي وقعتها على

رسالتي التي ترابي حملها البريد الى السيد منذ خمسة ايام

وذلك انه الدهر لما تنقل بنا الى الفرقة والشتات على ما بسطته لمولاي قبل هذا كان الشيخ محمد عبده قد

صادف لدى رياض باشا قبولا واعزازا خصوصا بعد ان علم انه ثمرة من ثمار غرس سيدنا ومربينا

فصار له وثوق به واعتماد عليه بل جعل له حظا من امره ونهيه وحله وعقده مجد في القيام حتى

بغرافض هذه المنزلة جدا اشغله عن الناس واضطره الى الاقلال من زيارتهم فان اوقات فراغه

كان يستغلها مع الباشا في مصلحة ومنفعة فرمى لذلك بالكبر والتيه ثم اذ صدقه في خدمته جعله

يميل مع الحق كيفما مال ولا يقتدي اغراض الناس بحقوقه المصلحة فكان اذا امش احد احوال ذلك
سوء او مكروه نسبوه الى تصدي الشيخ محمد وتعديه اذاهم وهو بريء مما نسبوه اليه ولا ضرب
لذلك مثالا وهو ان سليم النقاش اخذ عند اتفاق فرانسا على تونس يروج سياستها ترويجا لا
تنمو نحوه جريدة فرنساوية محضة حتى احفظ قلوب جميع المسلمين عليه وحقد به الكثير منهم شهرا كهم
وهو لا يبالي بل لم يزدد ذلك الا خبثا وعنادا ومع ذلك فالشيخ محمد لم يعامله بمقتضى قانون
المطبوعات من اول وهلة بل اخذ يكاتبه من عند نفسه مكاتبة ودادية يبين له فيها النصح
بتلطيف هذا المشرب خشية ان يضطر الى اجراء حكم القانون عليه ويذكره بما هو من خلقنا وما تألفنا
عليه من وحدة المشرب والذود عن الشرق وبنيه فلم يرعو ولم يرتدع حتى وقف رياض باشا
ذات يوم على جريدته وهاله ما رأى فيها فاستدعى الشيخ محمد عبده ووبخه على اغماضه عنها وكلفه
بانذارها على الفور ففعل فظن سليم نقاش بعد تلك الفضائح ان هذا الانذار بتعمد الشيخ محمد
واضلاله منه غيظا وشاركه سعيد البستاني في تغيظه غباوة وجهلا فاخذ هذان الشخصان يقعان
في حق هذا المسكين ويفتريان عليه القبائح والمساوي كذبا واختلاقا وقد كانت غاية سليم
النقاش من مسعاه في جريدته على ذلك النحو ان يحصل على حماية فرنساوية كما صرح لنا بذلك وجعلوا
موضوع تنصلهم لدى الشيخ محمد اثر الانذار
ووصف يا سيدي الى ما ظنه الناس في الشيخ محمد من النبه والى ما ينسبوه اليه من تعديه اذاهم ما
يحوجهم من الحقد والحسد بسبب تقدمه تقدما جعل الصغير والكبير والعظيم والحقير يهابه ويخشاه
ويتزلف اليه ويتملق له وليس الحسد من تقدم وتنقل الى المنازل العالية تدريجا كالحسد ممن طفر اليها
دفعة واحدة بل هذا اشد للغيظ وادعى في اشتعال الاحقاد فجميع هذه الاسباب لم تدع
للشيخ محمد صديقا او حبيبا الا بعض من كانت تجمعهم حضرة سيدنا المسلمين على ان تلك الاسباب لم
تسوءه اكثر مما ساء من افعال اصدقائه من المسيحيين الذين كانوا يجدون منه ما صاحبه الا خشوها
بخبثه ولا محبا ينسج لهم في الحديث الا حقروه بالطعن فيه ولا انشاء يعلقونه الميل اليه الا سعوا
فيه لا خير ولقد كانت اليد البيضاء في جميع هذه الخبائث لاديب افندي وسعيد البستاني حتى ان
هذا الاخير اظهر من اللؤم والخبث عند سجن الشيخ محمد ما دل على خبثه من صحافي الانسانية بل
[illegible] شعر بانحطاطه عن درجة البهيمية فانه هو وضع على ان يمتنع النيابة في الشيخ محمد [illegible] تكاد تجيبه

عليه السعي فيها بل عوضا عن ان تأخذه الرأفة والرحمة عليه مما يحمل الاعداء ترى ان فضلاء من
الاحباب فانه ابان من القسوة والوحشية والرداءة ما لا مزيد عليه اذ قدم الى مجلس التحقيق
تقارير في حق الشيخ محمد افترى عليه فيها جملة امور منها انه كان يغري الجند بقتل محمد بيك فانظر يا سيدي
وتعجب ومايدريها لو ان اديبا وطنيا كانا يومئذ بمصر ماذا يكون صنعهما ايضا

ومن سوء الحظ ان ابا تراب عندما نزل بمصر فانا لم نزل مسجونين ولم يجتمع بالسيد واضرابه فخلوا
قلبه نفرة ووحشة من الشيخ محمد علما منهم بانه سينقل ما يسمع الى السيد فيغير خاطره عن تلميذه
وقد نجحوا غاية في ايذائنا ولكن فاتهم ان المكر السيء لا يحيق الا باهله وان الحق مهما استتر لا بد ان يشق
نوره يوما ما حجب الخفاء فينجلي ويتبين فتبيض وجوه وتسود وجوه

هذا وانا قد بسطت لمولاي حقيقة الواقع تخلصا من اثم الانكار عليه ووفاء بحقوق الاخوة التي بيني
وبين الشيخ محمد والله لم يعلم الى الآن من جميع ذلك شيئا الا ما وقف عليه في عبارة السيد من
الشك في وفاء المصريين وقد ثبت ان شاء الله ان ما بيننا من قبل سيدنا ما يشرح لنا بصفاء خاطره
ولا يضن علينا بما جاد به على غيرنا ونحن اولى بما يوصي منهم بل انا لا ارضى من سيدي الا بان
يستسمحني ويصالحني ويسترضيني ويستعطفني والا فلا ازال غضبانا زعلانا [illegible]
في غد يقول السيد وهل هو فاعل ذلك ام لا

طول حديثي في هذا المقام لم يبق لي مكانا ابيه فيه لو شئنا ذكرنا حال بيروت واخلاق اهلها وما
لاقيناه من اكرام المسلمين فلاؤجله لا وقت آخر ختاما احييكم مع السيد بلثم راحتيه وقدميه

عزيز فضلكم
مريدكم

وانا شاهد على ذلك
ابو تراب عارف
[illegible]

[illegible] عبده ابو تراب [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible]
[illegible]

(٤) نص هذا الخطاب ص ١٠٤ و ص ١٠٥ من القسم العربى

بيروت فى ١٥ اذار ٨٤م

سيدى الاستاذ الاعظم

لئن كان لادوار الزمان قضاء نافذ فى الناس فلقد صان الكمال انفس آحاد الرجال عنه فما تنفعل بالحادثات ولا تؤثر فيها التقلبات بل هي فى مقام التجرد الذى تستوى فيه مظاهر عبث الايام بابناء الزمان والسيد لازال حجة هذا القول ما ترك فضيلة ولا قعد عن مكرمة ولا ضن بمنفعة ولكن قضاء الزمان الذى لم يؤثر فيه قد كان نافذاً فى مريديه فما لاقوا الخير معروضاً من جانبه ولا ذادوا الشر طارئاً من جانب الاحداث وهكذا وقع من بعضهم الاهمال فى مكاتبة من رسلهم عن السيد من امراء الهند فانقطعت اخباره عن سائرهم الى هذه الايام فعسى ان يعوضهم المستقبل مما اضاعوه خيراً فيجد الاستاذ تحت سماء الحرية مستقراً طيباً امينا فلا تحتجب بعد ذلك انوار افكاره عن البصائر وان احتجب ضياء وجهه عن الابصار وقد حمل البصير الينا مفتتح مقالة السيد فى الشرق والشرقيين فكانت مقدمتها غذاءً للالباب وما بعدها مهمازاً للعزائم ولا تزال الانفس مشتاقة الى البقية اشتياق الظماء الى بارد الماء فالمسؤول من كرم السيد ان يرسل الىّ ما طبع منها ومن سواها فى البصير وغيرها من جرائد لندرة وباريس جملةً فتلك امنية للعاجز فيها شركاء كثيرون ممن عرفوا السيد بالخبر او بالاثر ولست اذكر للاستاذ شيئاً مما لدىّ من اخبار مصر العمومية فانها تصل باريس قبل ورودها الينا بل قبل شيوعها فى مصر ولكنى احسبه مشتاقاً الى الاخبار الخصوصية عن بعض الاصدقاء فهذه اعرف منها ان عبد السلام بك على احسن حال من السلامة والعافية على انه منقطع فى منزله اجتناباً للشبهات

الا عن بعض الاخصاء   وان سليم افندي النقاش سار الى مصر باذن حكومتها على ان
يصرّف اموره واشغاله ثم يعود فهو الآن هناك يستمنح جناب تلك الحكومة عوضاً مالياً
مما لحقه من الخسارة بسبب تعطيل مطبعته وجريدته بلا موجب معلوم   وان سعيداً البستاني
عُزل اثر الفتنة ثم اعيد الى الخدمة بمثل الراتب الذي كان له من قبل   وهو الآن على حدّ قول
القائل : وخمول ذكراك في الحياة سلامة .   اما ابو تراب فقد ابلغتُ اليه وعد السيد باستقدامه
الى باريس عن قريب فكاد يطير بذلك سروراً   وهو مقيم هاهنا على الدعة والراحة يترصد
معنا الاخبار ويعدّ الايام ويستبطئ البُرُد فعسى ان يجيئنا كتب السيد بما نتوقع ولا
بأس في تعليلنا بالاماني فما الحياة الا الامل ولنا في تحقيقه رأيه العالي المؤيد وامره
الكريم المطاع ومني على حضرته السلام بالاجلال والاعظام ،

خادمه المخلص
اديب اسحق

(٥) نص هذا الخطاب فى ص ١٠٦ و ١٠٧ من القسم العربى

الاستانه العليه يوم الاثنين ٢٧ ابريل ٨٥

سيدى ومولاى صاحب الهمة العلية سليل الحضرة النبويه حضرة السيد

جمال الدين ابقاه الله للاسلام

بعد تقبيل اياديكم الشريفة احيط علمكم الشريف ومقامكم العالى المنيف انه قد ورد لنا رقيمكم المورخ ١٦ الجارى وبعد حمد الله على صحتكم توجهنا الى سراي يلدز يوم السبت الاخير وعرضنا الجواب على الحضرة الشاهانيه بواسطة سعادتلو الحاج محمود افندى امين اسرارها الخصوصيه وبعد ساعة رجع الينا وتداول معنا فى موضوع افكاركم العاليه وما يترتب من المصلحة على اتباعها وبعد ساعتين فى محاورة ومداولة كانت نتيجة القول ان اكون انا الواسطة بينكم فى المكاتبة مع بقائكم بباريس الآن لحين سنوح الفرصة لحضوركم لان مجيئكم الآن يترتب عليه حصول الشبهة السياسيه وامرت ان استفهم من سيادتكم عن بعض جمل من جوابكم منها قولكم (ان الرجل الذى فى لندره يضيع كل يوم فرصة لا ينالها الطالب ولا بعد قرن وهو يظن انه يحسن صنعا) ومن حيث ان جميع ما يجريه انما هو بمقتضى تعليمات صادرة اليه من هذا الطرف فنرجوكم ان توضحوا لنا ما تعلموه فى ذلك تفصيلا فانه اما ان تكون اعماله مخالفة للتعليمات التى ترد اليه او ان ذات التعليمات مضيعة للفرصة بنفسها لنتدارك الامر ومنها قولكم (ان وقت العلاقة مع امارة الافغان قد آن) فنحن وان كنا اثبتنا لهم امكانكم الحصول على هذه الغاية التى لا يعلى لقدركم التوفيق فيها المناسبات شتى منها نسبكم الشريف وجنسيتكم وقوة جاه اقاربكم وشهرة اعمالكم فى العالم الاسلامى وحصولكم على مبادى الغايات المطلوبة الا انه يرجى من سيادتكم توضيح الطرق اللازمة للحصول على هذا الامر فان كلا الخصمين يريد التقرب الينا وسياسة الافغان يظهر منها التردد بين الطرفين

فالاقدام على قلب محالفرا مع الجاهل بحقيقة سياستها وميلها الى احد الطرفين
ليس من باب الحكمة بنا على هذا نرجو ان ترسلوا الينا افكاركم فى هذا الخصوص تفصيلا
وفيما ينبغى اجراؤه فى هذه المسائل وما تعلمونه من حقيقة سياسة الافغان
مع مراعاة اول كل شى لزوم صيانة الدولة صيانة تامة وكيفية الطرق المقتضى اجراؤها
فى منفعة حال الدولة والاسلام فى الاحوال الحاضرة فقد ثبت لهم قوة عزيمتكم
فى خدمة الاسلام وصداقتكم فى نصيحة الدولة اما مسئله افندينا ابرهيم بك فقد
قالوا عنها انه صار العفو عنه لما ظهر لهم من صداقته الباطنة للدولة ولا يهمهم الشغل
الذى هو فيه لانه شغل يختص بهم وهم ادرى به فلهم ان يحضر وعند حضوره يستخدمونه
فيما يليق له اما بان يطلعهم على بعض ما فيه منفعة واحتراس من دسائس الغير او
ينتفعون بقوة فكره وبلاغة انشائه وانه لم يوجد عنده شى من ذلك ولم يكن
له احتياج فيعيش فى عموم الممالك الاسلامية خير له من الاقامة فى البلاد الافرنجية
وعلى اى حال اولى لمن كان مثله فى براعة الانشا ان يكون فى معية مولانا امير المؤمنين
وقد كتب له والده حضرة محمد بك بذلك تفصيلا والسلام من محسوبكم

اسماعيل
Ismail
جودت

(١) نص الخطاب من ص ١٠٩ من القسم العربى

(٢) نص الخطاب فى ص ١١٠ من القسم العربى

لوح كوكب الشرق

١٤٥٥

الى صديقنا العزيز حضرة السيد جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام ان اخبركم من طرف قريني ان حصل مفاوضة في معنى ما تكلمنا عنه وبعض تحريرات والحكومة لا قبلت الاغراض تقدّم لها ولا إقتنعت قطعًا اما في المكاتبة الاخيرة التي وردت الينا من طرف مستر غلادسطون قيل هكذا — انه من الممكن حصول إتفاق على ارسال مُرسل الذي يُعطى له ورقة امان حتى يذهب الى الخرطوم ويخبر المهدي بالتعليمات أمر بها اللورد ولسلي وانها كما يأتي "يجب عليه (لورد ولسلي) يبعث الى الحكومة في الحال ايّا كان بلغه من المعروضات من طرف المهدي" — وانا على هذا رددت جوابًا إنني ساخبر حضرتكم بقولهم وانما حسب رأيي لابدّ ان يظهر لكم غير كافيًا [illegible] اظن ان الحكومة تريد مفاوضات في الصلح وانها تريد ايضًا ان لا تكشف مرادها للناس — ولو حصل إتفاق على ارسال [illegible] يكون المرسل من تعيينه واردت أشكال افكاركم على من احسن هل ابراهيم او عبده او غيرهم ودمتم في حفظه تعالى

والسلام ختام

المحبة المخلصة

انا بلونت

الى صديقنا العزيز السيد جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام وصل جواب من صديقكم ملكوم خان ويقول فيه انه جدًا فرحان على ملاقاتكم وان تفضلوا وتوجهوا الى بيته غدًا يوم السبت ساعة 11

وبيته 80 Holland Park

ونحن نسافر من هنا مع القطر في الساعة ٨ غدًا ووصولنا في 10 James St. في الساعة (نحو) ١٢ والسلام

المحبة المخلصة

انا بلونت

١٥ اوغوست ١٨٨٥

(٣) نص الخطاب ص ١١٠ و ١١١ من القسم العربى

الى حضرة صديقنا العزيز المحترم الفاضل
الامير جمال الدين الحسينى حفظه الله
بعد السلام هذا ترجمة جواب الوزراء
(مضمونه) انهم لا يقبلون امتياز بين
مسالة مصر ومسالة السودان فان
حسب ظنهم تدل وحدة المسالة على ان
يتعاسر عليهم المكاتبة مع مستر بلونت -
ومع ذلك اشاروا على عدم ورود
التماس اليهم او طلبة ورقة امان
من طرف احد من وكلاء المهدى للمرور
اليه بين عساكر الانكليزى بقصد تسليم
اليه رسالة - هذا وقيل ايضا انهم
(الوزراء) لا يقولون وعسى [illegible] انهم
لا يعرفون اى جواب يردون لو بلغهم
الطلبة المذكورة آنفا ويا صديقنا العزيز
ماذا ينبغى ان يفعل فى الامر بعد ومنى
ومن قرينتى الف الف سلام

المحبة
المخلصة
عانا بلونت

٢٢ ابريل
[١٨٨٥]

(٤) نص الخطاب فى ص ١١٢ و ١١٣ من القسم العربى

الى حضرة الفاضل النحرير الجهبذ الفهام الشهير جمال الملة والدين ايد برهانه

لقد تلوت مقالتكم الردية الغراء المندرجة فى جريدة مصر النورا على بعض الجرائد الانكليزية فوجدت اجوبتكم مطابقة للحق الرائع وبياناتكم مؤيدة بالبرهان الساطع ثم وقعت فى يدى رسالة من تأليف مدحت باشا مضامينها مؤيدة ومصدقة لتلك المقالة الصحيحة العظمى لذا احببت تقديمها لجنابكم والله مؤيد كل حق بالحجج والبرهان والسلام عليكم

الداعى الباقى
المسجون فى عكا
عباس

مولاى المعظم حفظه الله وايد مقاصده

ليتنى كنت اعلم ماذا اكتب اليك وانت تعلم ما فى نفسى كما تعلم ما فى نفسك صنعتنا
بيديك وافضت على موادنا صورها الكمالية وانشأتنا فى احسن تقويم فبك عرفنا
انفسنا وبك عرفناك وبك عرفنا العالم اجمعين فعلمك بنا كما هو بحواك علم من طريق
الموجب وهو علمك بذاتك وتعلقك بقدرتك وارادتك فعنك صدرنا واليك
اليك المآب

او تمنيت من لدنك حكمة اقلب بها القلوب واعقل العقول واتصرف بها فى خواطر النفوس
ومنحت منك عزمة اتمنع بها الثوابت واذلل بها شوامخ الصعاب واصدع بها صم المشاكل
واثبت بها فى الحق للحق حتى يرضى الحق وكنت اظن قدرتى بقدرتك غير محدودة وتمكنى
لامتبوته ولا معدودة فاذا انا من الايام كل يوم فى شأن جديد تناولت
القلم لاقدم اليك من روحى ما انت به اعلم فلم اجد من نفسى سوى الأفكل والقلب الشاكل
واليد المرتعشة والحواس المرتعدة والفكر الذاهب والعقل الغائب كأنك يا مولاى منحتنى
نوع القدرة دلالة على قوة سلطانك وحصرته فى الافراد فاستثنيت منه ما يتعلق به
بالخطاب معك والتقدم الى مقامك الجليل هذا مع الحالى انى منك فى ثلاث ارواح
لو حلت احداها فى الخالد باسره وكان جمادا لحال انسانا كاملا فصورتك الظاهرة تجلت
فى قوى خيالية وامتد سلطانها على حسى المشترك وهى رسم الشهامة وشبح الحكمة وهيكل الكمال
فانها رزت جميع محسوساتى وبها فنيت جميع مشهوداتى وروح حكمتك التى احييت بها
مواتنا واثرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التى نطقت بها فينا فظهرت فى اشخاصنا
وكنا اعدادك وانت كواحد وغيبك وانت كشاهد ودرسك الفوتغرافى الذى
اقمته فى قبلة صلاتى رقيبا على ما اقدم من اعمالى ومسيطرا على فى احوالى وما تركت
حركة ولا تكلمت كلمة ولا مضيت الى غاية ولا انثنيت عن نهاية حتى تطابق فى عملى احكام
ارادتك ومع ذلك فهذه ثلاثة فضيت على حكمها سعيا فى الخير واعلاء لكلمة الحق وتأييدا لشوكة الحكمة
وسلطان الفضيلة ولست فى ذلك الا آلة لتنفيذ آراء المثل وما لى حتى ارادة
حتى ينقلب مربعا

عيزأن قواى العالية تخلت عنى فى مخاطبتى اليك وخلت بينى وبين نفسى التزاما لحكم أن المعلول لايعود على علته بالتأثير على أن ما يكون الى المولى من رقائم عبيده ليس الا نوعا من التضرع ان لم يكن لي أن أحسب فيه ما يكشف خفاء او يزيد جلاء ومع ذلك فانى لا اتوسل اليك فى العفو عما تجد من قلق العبارة ودمامة ما يخالف سنن البلاغة بشفيع اقوى من عجز العقل عن احداق نظره اليك واطراق الفكر خشية منك بين يديك واى شفيع اقوى من رحمتك بالضعفاء وحنوك على المغلوب حياء

انى لا أحدثك يا مولاى عن شىء مما اصابنا بعد فراقك فقد تكفل ببيانه اخى فى صحبكم ابراهيم افندى اللقانى سوى بعض ما ترك فى كتابه من انقلاب بعض القلوب من خاصتك وتحول احوالهم بعد نزول ما نزل بك فقد تغلب اعوان الشر وانصار السوء عقب جلائك بقوة جاههم وشدة باسهم فارغموا العقول على الاعتقاد بالمحال والجأوها للتصديق بما لا يقال حتى انهم جعلوا اغلب دولتلو رياض باشا عليك وعلى تلامذتك الصادقين اياما معدودة زكى فيها الى العمل بالشدة والاخذ بالمبادرة لحدته ولم يلبث ان وصلت اليه بعد ما كانوا حجروا على فى بلدى وحظروا على الدخول فى المدينة نحو اربعة اشهر نفيا والاتصال برياض باشا جلوت عليه الامر وكشفت له من الحقيقة ما خفى حتى زال ما لبس المبطلون وبطل كيدهم وما كانوا يعملون ونزلت عنده منزلة حسدنى عليها الطائفة من العلماء والامراء ورجال الحكومة بل وكثير ممن كان يدعى الانتماء الى حضرة مولانا المعظم وتعددت من كل بر مقصد النفس فلا ينطق الا بما تريد حكمتك ولا يعمل الا ما تأمر ارادتك فانك وحقك كنت ذاتا فى الهند بين اظهر المصريين ساعيا بهم الى مقاصدك العالية طالبا بهم اوج السعادة وذروة المجد والفخار

وهكذا حمدت الى كل من كان ينتسب اليك صادقا فى ان تتباب اوكاذبا تحسينا للظن وايثارا للجانب الصفح والكرم لهذا انى لم آل جهدا عن مساعدة اولئك الذين تشعبا الدنيا اديب اسحق وسليم النقاش وسعيد البوستانى والبلباوى ومن كلهم من الشام فاصلحت لهم القلوب وفتحت لهم منه الصدور وفتحت عليهم ابواب المتقدم الى المنافع الغزيرة لكنهم لم يرعوا عهدا ولم يحفظوا ودا ولا حاجة لى الآن الى ايضاح ما صدر منهم خيانة ولؤما فانما مولاى اعلم بمعجم اللؤم وجميعهم من اصطبل واحد)

والتعت لحبك ممن حرم الشرف بلقائك فبلك ليس بالقليل يجلونا قدرك ويعرفون لك فضلك

وكنا واخواننا من المكانة في قلوب الناس كما شرح لك ابراهيم افندي ولكن هذا لم يلهني عن طلب
الانتقام لك ولان آخذ بثارك من العدو اللئيم والخصم الذميم وكدت اصل الى البغية مما قصدت
من طريق مألوف ومذهب معروف وغير معروف لولا غلبنا على الامر قطاع طريق الخير الله بسبب نهاب
الاموال الذين مناهج جبابرة الله فطبق ما كان لعلماء المتطببين طباع الجاهلية استعملوا طريقنا
في الدعوة الى الحرية وتمكنوا بقوة السيف وضعف الحكومة من اقناع العامة بكونهم دعاة الحق وحماة القانون
وهم رسل الفوضى وجرثومة النظام (?) وكانوا في بداية امرهم اشد الناس تعصبا عليك وعلى نصرتك (?)
واشدهم في التعصب اولئك الانذال الذين قدمنا ذكرهم عندما رأوا بعض رجال الحكومة يميل الى اهوائهم
ويكيدهم في بعض غاياتهم غير ان مدتهم في الفساد كانت قصيرة ولم يمض الا قليل حتى تخلصنا من فلولهم
وخلونا من حبائلهم فعادوا يتيمون صبا الحق لولا ان احاطت بهم ظلمات الغرور والغي ومع
هذا فكلما نستعلم لما تريد ونديرهم كانت لنا تقوية (?) لغاية ما احب بعد ان حاولنا ان نستطاعة الا ان
غلبت عناصر الفساد وعم الضلال فطلبنا بالوسائل التي ان تخلص البلاد من الفقار (?) و
ننقذ العباد من طول العناء ورجونا تأييدهم على ذلك من سلطان الهوى رضا وسماء وكنا ندرك
به حلما صاحبنا وانتقاما شريفا لكن لسوء البخت كان الاعرابي على ما وصف الصابي ابا
تغلب ابن حمدان عندما قاتله عضد الدولة ابن معز الدولة وهزمه حيث قال فيه انه لم يلق
لقاء الباخع بالطاعة المعتذر من سالف حتى يقط ولا ضاعة ولا لقاء المصدق في دعواه
في الاستقلال بالمقارعة المحتج بزعمه في اثبات للمدافعة ولا كان في هذين الامرين بالبريء المتقي
ولا الفاجر القوي بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره وفضيحة جبنه وخوره فذهب عند
الرشد وضرب بينه وبينه الاسداد وازيد على ذلك مع توفر الاسباب وتفتح الابواب
وظهور امارات للغايات والجلاء نزعات الصبيان واجتماع جميع القلوب عليه ونزوع الاهواء
على اختلافها فرعها اليه فكان ما كان من العاقبة السوأى ولسير خادمهم في تلك الحوادث نبأ طويل
اذا اردت يا مولاي ان اقدم لك به تارتجالا تقريرا تأملوا مفيدا فأنا رهين الاشارة
وها انا الان في مدينة بيروت نقضي بها مدة ثلاث سنوات على ما حكم به الشقي الغبي لا لذنب جنيناه
ولا جرم اقترفناه فقد فضت خاتمة العاقبة منا مقام الالهام في قلوب الصديقين ان لنا الحق
ولنا الحجة الباهرة ونصيب الفوز ولنا البراءة الطاهرة والذمة الطاهرة وما ذلك الا بعهد كعهديهم
ونتيجة هذا العقيم وواها يا مولاي لو جعلنا له من جلودنا ثيابا وصنعنا له من لحومنا كبابا و
صنعنا له من دمنا شرابا لما كان لنا مخرج من غدرته عند قدرته فانه انه نحن ساكنون في سنك
وعلى سنتك وكنا كذلك ولا نزال الا انتقاء الرجال ولولا ان لنا اطفال رضع ونساء لنا طوع
ابينا لهم الذل وانفنا لهم الضيم فانتبنا بهم معنا الى حيث اقمنا لكنت اول من تلقاك في مدينة
باريس لتسعد بان خاتمة في خدمتك وانحني بذلك على العالمين

وبما اعلمه من نفسي وما اتيقنه من يقينك وما ايدته اعمالي واعمالك واقوالي واقوالك لا اتكدر
مما اشرت اليه في كتابك الى ابي تراب حيث طعنت به في تعلقك بالمصريين وبالغت حتى سحبت الطعن
الى خادمك كاتب الاحرف وابراهيم افندي وزدت في المبالغة فانتقدت طعنتك بالداهية الزرقاء
والبلية الحمراء اما اتهام تعلقك بالدواهي والبلايا فقد صار في محله فقد نقضت عهدك وما اعتبرت عدوك
فاستبقيت في الوجود وانت موجود ارغم الله انفها وجعلها طوع يدك يسري بها متى شاء من اعدائك
اما ما يتعلق بنا فاني على بينة من امر مولاي وان كان في توقعاته ما يشكك الملائكة في معبودهم والانبياء
في دينهم وحيهم ولكن ليس في استطاعته ان يشكك نفسه في نفسه ولا ان يمنع عقله الاعلى بالمحالات وان
كان في طوعه انا يقنع بها من اراد من المشرقيين والمغربيين وما حكم به سيدي من سلب الوفاق عن المصريين
ربما تفاوض عليه الادلة وتشهد لنا ولا عليه حوادث غير ابناء الجنس لسنا اولئك فقد اخرجنا المولى
عن طباعنا واثبتنا بما اصطنع بنا ان نقتدي بغذاء الملك الارض ولا نحجو بهوائها وانما نضرب
يتيح له القدر من مثل عناصره ما يقوى به قوامه ويزهر زهره ويحلو ثمره والا ذبل وما تاد استوصلت
جذوره ورمي به الى خارج البلاد واني اعلم انا كلما لم يزيد حتى يقين مولاي شيئا وسكوتي لا ينقص منه
فلنقف عند هذا ونستمنح من كرمه الواسع ان يمن علينا بامرين احدهما ارسال رسمه الفوتوغرافي
الجديد فاما هذا الخادم كان عنده نسختان من الفوتوغرافية ارديت احداهما اخذها اعوان الضبطية
من بيتي عندما اودعت السجن مما اخذ واكتاب الماسة بخط مولاي المعظم والثانية كان استجداها سعد
افندي زغلول وهو من خواص محسوبيكم والمتعلقين عليه تعلقا ربما لا يعيش اعواما والثاني ان يتابع
ارسال ما ينشره من فصوله السياسية والادبية في جرائد اوربا كانت فقد اعددنا دفاتر متعددة
لنقل ما يوجد منها في اي جريدة وكتبنا ما نشر في جريدة النحلة واول ما درج في البصير والان لا نبعث
عن مقالة المشرق والمغرب (?) ولا نجدها واضفنا الى ذلك ما كان نشر في جريدة مصر في الايام
السابقة من جميع الجمل التي جاد بها قلم سيادتكم ثم انا نخبر سيادتكم بما اثر زيارته وهو ان
اعيان المسلمين من اهالي بيروت واحترامهم لنا ولا يهمهم في اكرامنا والاحتفاء بنا ونخص بالذكر منهم
السيد عبد القادر افندي القباني واعضاء عائلته وهم من ذوي البيوت الصالحة زعماء انف صاحب
الجوائب وحاج محيي الدين افندي حمادة رئيس مجلس البلدية وحسن افندي بيهم وهم من انبه
الشبان واعلمهم واكتبهم واشدهم ميلا الى الحرية وقد آلى على نفسه ان لا يموت حتى يراكم ما لم يفلحا (?)
واما الان مير شاهر (?) السيد عبد القادر الجزائري فقد امر ولده ان يزور هذا خادمكم واني لزيارتي وما كل هذا الا
من اثار فضلكم فلكم الشكر على كل نعمة وصلت او تصل الينا والى اعقابنا من بعدنا ونرجو من سعة كرمكم
ان تمنوا على خادمكم باسطر من خطكم الشريف يحفظها حيث يحفظ سركم ويودعها كالمستودع حبك والله
يحفظكم ويتم نعما صدركم والسلام

خادمكم
محمد عبده
٥ جمادى الأولى ١٣٠٠

(٢) نص الخطاب فى الصفحات من ١١٩ إلى ١٢١ من القسم العربى

مولاي المعظم ايده الله

اليوم عرفت نفسي وكنت بها سيء الظن ارى ما سبقت الي آدابي في من الكرامة بين الناس انما هو
من احكام البخت وان نفاق وعرورنا من التدرج بنسبتي الى خدمة المولى الجليل وكنت اتيه على
طلاب المعالي بتلك النسبة وهي عنوان الفضل والكمال مكتفيا برسومها في نفسي ومرددها في
الزمان واقول دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض اما الآن وقد حسبني
الجناب العالي نتيجة لا محالة فاني اصدع بالمنادي قواعد الملوك وازعزع بهمتي اركان سطوة
الجبروت وادعو الى الحق دعوة الحكيم واذهب باهل الرحمة مذهب الاب الرحيم خدمة لمقاصد
مولاي وانا يوم سعادة عندك ان يظهر لهذه الخدمة اثر او ينشر عنها خبر اما نهي السيد لعبده عن
الحقوق في الحقوق التي اوجبها اقتراح التزكية فمن حيث صدوره عنه ادب تتحلى به طبايع الخير ذكرا
ولكن من حيث توجهه الى الخادم الامين فهو من قبيل نهي الحق عن ان يكون باطلا والنور عن ان يكون ظلاما
والكمال عن ان يكون نقصا بل نهي الارض عن ان يكون جمادا سبحان الله ما اسهل ان نتكلم وايسر ان
نذهب به حتى يبلغ الكتاب اجله بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر في الدبا من دفاعكم عن الدين
الاسلامي ازاء الهاجمين مدافعة) ردا على موسيو رنان فظننا انها من المداعبات الدينية تحل عند المؤمنين
محل القبول فحثنا بعض الدينيين على ترجمتها لكنا حمدنا الله تعالى اذ لم يتيسر له وجود اعداد الدبا حتى ورد
كتابكم واطلعنا على العددين ترجمهما لنا حضرة الفاضل حسن افندي بيهم فعرفنا وذهب صاحبنا
الاول عن ترجمتها وتوسلنا في ذلك بان وعدناه ان الاصل العربي سيحضر فان حضر ننشر
ولا لزوم للترجمة فاندفع المكروه والحمد لله نحن الآن على سنتك القويمة لا نقطع رأس الدين

ان يسيغ الدين ؟ ولهذا لو اتينا زهادا عبادا ركعا سجدا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
الرأيت
ما يؤمرون ما اصعب العيش لولا فسحة الامل   استغربت وتكدرت مما رأيته في كتابكم الى
والد ابي تراب من اللوم الشديد على ابراهيم افندي وعلمت ان ذلك من سوء تبليغ ابي تراب علما ان ابراهيم
افندي ليس بموضع التهمة بما اشير اليه المولى في كتابيه واني اعلم بحرمة سيدي انه لا يقدر رفضه ادنى امر يشينه
او يخل بحقوق مولاه فان انتقاله من البيت الذي كانا فيه لم يكن الا بعد ان ظهرت آثار الرطوبة في عينيه وخشي
عليهما من العمى ونصحه الطبيب بان ينتقل فاشار علي فاستحسنت ذلك على شريطة ان ينتقل معه ابو
تراب فاستدعا ابا تراب لان ينتقل فابى متعللا بأن اهل البيت يحبونه وليس في البيت الجديد من
يخدمه فسهل عليه الامر فابى وصمم على البقاء ولكني نعلله صحيحا في الحقيقة وانما العلة الحقيقية هو ما
تعهدونه فيه من الانهماك بالشهوات الصبيانية اما السيد ابراهيم فقد قام بخدمة ابي تراب احسن قيام لما ابتلي فانه
في شدة البرد وكثرة الامطار والوحول الى منازل الحكماء ومعاهد الاطباء مرارا عديدة قبل حضور مصطفى بيك
وكان يصحبه كاخ صديق ينظر اليه ويعامله معاملة الاخ ويحن من جميع الوجوه ولا يعرف عنه الحكماء الا
ريالين نقدا وبعض دراهم قليلة في ادوية ومراهم وبعد حضور مصطفى بيك كان العلاج مجانا
بدون اجرة ومع علينا زيارة المرضى ونحن جميعا نتعهده في اغلب الاوقات وابراهيم افندي
بعد انتقاله كان يأتي اليه من قبل شروق الشمس الى الساعة الرابعة من الليل ولا يتركه الا
وقت النوم وكانت ثياب ابراهيم وكتبه وجميع لوازمه في اودة ابي تراب ولم يكن في اودته
الا فرش النوم لا غير ثم ان ابا تراب معنا في جميع الاوقات الا ما قل وانا نعده كواحد
منا منزلته منزلتنا اما امه نحن مكلفة حسبما هي اعراضنا   اما ما ذكرته في شأن اديب افندي
وامركم ابا تراب بالتردد عليه فلعل فيه حكمة تخفى عن عقولنا ورأيكم اعلى وارفع على اني ارى في الاجتماع
عليه ضرر النفس لابي تراب من حيث تغلب شهوته الحيوانية على قوته العقلية فالاولى به ان يكون بعيدا
عن مقام الشهوات . وزادني كدرا ان ابا تراب عندما ذهب ليبلغ اديبا سلامكم اطلعه على المكتوب
مع انه ما ذكرتم في شأن ابراهيم افندي وكان كدر ابراهيم على هذه اشد من كدره على سوء ما بلغ عنه
وابو تراب معذور في اخباره لما يحمل من طيش الشرقيين فالاولى ان لا تثقوا بما يكتب اليكم
فيما يتعلق بشأن اتباعكم فقد يغضبه ما لا يغضب ويرضيه ما لا يرضي وليس بين غضبه
ورضاه الا كما بين ضحكه وبكاه وهو ما بين لمحات البصر اليس عجيبا انا ما نعده اليكم صبي

٨ وانا في حبس الحكومة المصرية قبل ان يراني كان متلقيا له عن محسن بك مع اني ما رايته
من نحو ثلاث سنين ثم بعد ان كتب اليكم ما كتب جاء لزيارتي في الحبس وطلب مني ان [illegible] عن شيء يتعلق
بسيادتكم واظن انما جاء لزيارتي [illegible] في [illegible] والذي يكون من هذا القبيل لا يخفى على [illegible]
فالرجا ان لا تعتمدوا عليها ولا تجعلوا لها تصديقا فليس يسهل على الصادقين في انتسابهم اليكم ان
يشعروا بان شيئا يكدر خاطركم من جهتهم بدعواه وان كان غير منطبق على الواقع ونلتمس من رافع
كرمكم ان لا تقطعوا عنا ما تعطفون به علينا من محبتكم والله يحفظكم

محمد عبده

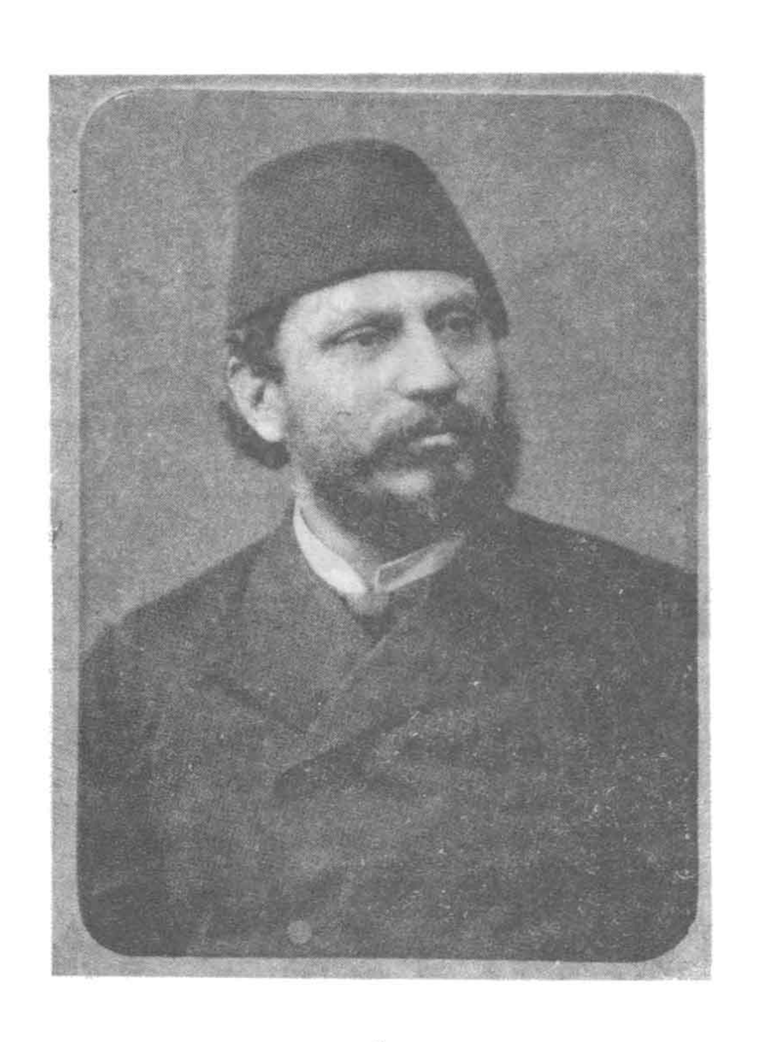
٨ شعبان

يهدي سيادتكم مزيد السلام ويقبل ايديكم ابراهيم افندي [illegible] والشيخ امين [illegible]
[illegible] والشيخ احمد [illegible] من افاضل بيروت والشيخ احمد عباس من [illegible]
ان [illegible] الله [illegible] بهم [illegible] والله يحفظكم

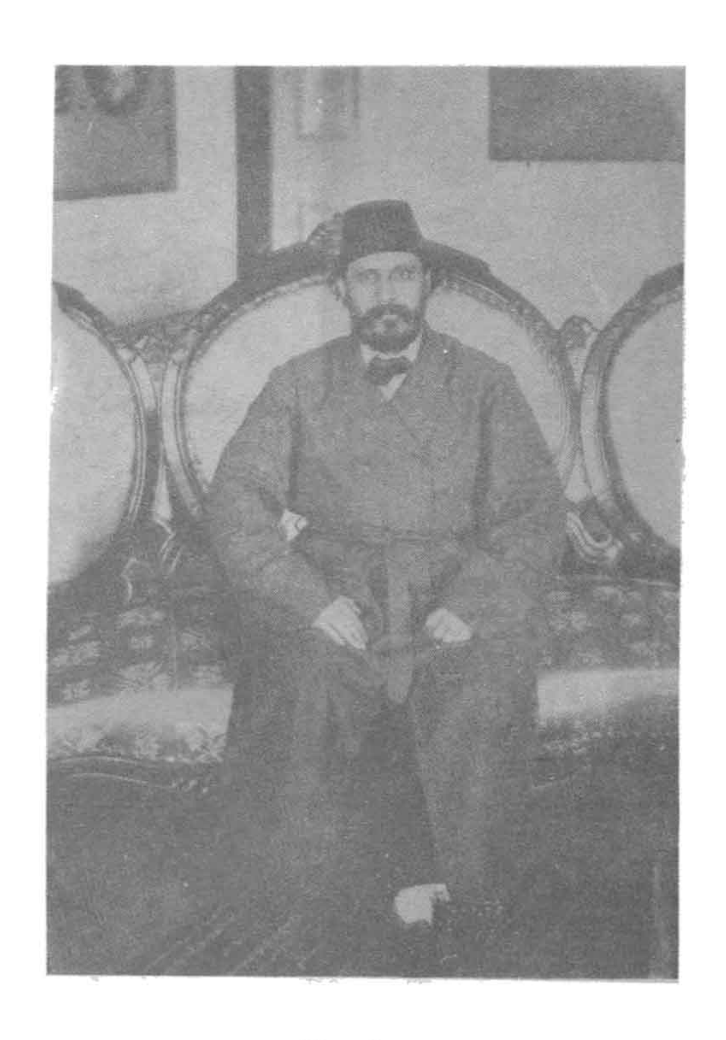
محمد







صورة بالزى الأوربى مع الطربوش



صورة بالزى التركى

صورتان لجمال الدين الحسينى الملقب بالأفغانى بزى رجال الدين الشيعة





(١) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٢٥ و ١٢٦ من القسم العربى

جناب نزیه النفس طاهر السریره امین الضرب مستطاب

همیشه در عون حق بوده باشند — در اصفهان چنان

مقرر شده بود که آنجناب رنج کشیده در قرب جوار خویش

منزلی از برای من بمبلغ کرایه معین فرمائید — نمیدانم

آیا کرایه فرموده اید یا نه — و اگر کرایه نموده اید در

کجاست — اینک در شاهزاده عبد العظیم نشسته

منتظر جوابم لازلت قاضیاً لقضاء حاجات العباد والسلام

المحب جمال الدین الحسینی

(٢) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٢٦ و ١٢٧ من القسم العربى

سالک مسلک حق پرستی جناب حاجی محمد حسن امین لازال محفوظاً عن سوء القضاء

در تلغراف خبر داده بودید که جواب در مکتوب است — پست خط ...

در شما بغیر از زیارات گفتاری گمان دیگر کنم — مکتوب رسید — بچه با همه که

— مسلکی که با مردم نعمت اینه پیموده اید از راه عدل و انصاف بسیار دور است

= اگر در حقوق شما شبهه دارید و یا یقین در هر حال باید از سنت الهیه

منحرف شوید — خداوند تعالی با احاطه علم ازلی اش تا در محضر ملائکه

و انبیا وضع میزان و بسط حساب و اقامه شهود نمیکند جوارح

و اعضای جانی را تعذیبش نمیکند — از سنت الهیه سر باز زدن

در هیچ حال خوب نیست — و لیس بعد الحق الا الضلال — شما معصوم نیستید

شاید خطا کرده باشید — با خلق خدا آن کن که چشم داشت از خدا

داری = و اگر مقصود شما این است که این منفعت بخویش نرسد

چرا دیگری از آن متمتع شود — این خلاف مروت است که شخصی سالهای

دراز به شما خدمت کرده باشد و شما حقوق آنرا ملاحظه نکنید و یکبار

بلا ملاحظه منافع خویش را در فدای آن بلا سبب بکوشید البته باید دانست

که بالای این قدرتهای ضعیف ما قدرت غیر متناهی تقاضای خدا است

پس ممکن است که آن قدرت ما بجهت دل شکستگی شخصی خانه چندین

ساله ما بر باد فنا برد = و اگر از برای این است که نمیخواهم که کسی

[illegible]

منتفع شود جز خفت (چنانچه الحال در خفت دارم) البته در آنوقت باید بدانی که خود
هدف تیر انتقام الهی خواهی ساخت (استجیر بالله) — مخرج نفس طماع همیشه در
قبضه قدرت خداست — اگر بر دست پرورده خفت حسد میبری (استعیذ بالله)
باید خود علاج کنی پیش از آنکه مورد سخط گردی (اینگونه این گونه توهم در حق شما
نمیکنم — در هر حال من در شهر مسکوف قول دادی و تلفظ شفاهی
کردی — من شما این گونه امید نداشتم — بسیار رنجیده شدم — و اگر از عزم
خود منصرف نشوی رنجش بر دوام خواهد بود — تنها محاسبه کن اثبات
غش و اختلاس شما پس از آن هرچه خواهی بکن — در آنوقت در نزد خدا
و خلق بری الذمه خواهی بود — والله نه در آنجا عذری خواهد بود و نه در اینجا
از ملامت خلق خواهی رست — با کاتکوف ملاقات کردم بسیار مسرور شدند
و هیچ تکلیف نکردند که پیش امپراطور بروم بعد از چند روز خواهم رفت
— و در روزنامه‌های مسکوف و پطربورغ ترجمه حالم ثبت شده و بجرائد
پاریس هم بتوسط تلغراف ذکر شده والسلام

دوست حقیقی شما

جمال الدین الحسینی

(٣) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٢٧ و ١٢٨ من القسم العربى

طلیب السریره و حسن السیره جناب حاجی محمد حسن امین لا زال محفوظا

بعون الله عن غدر کل لئیم و مکر کل رجیم امان

رقعهٔ (کانتز نامه) شما رسید - خداوند تعالی گنج شاکر شمر موش طبیعتان خسیس النفس

که میخورند و میبرند و میدرند و پس از آن بر باقی مانده ما میرینند همیشه اصحاب ...

- از پر خوردن دل سخن برانده بعد - اگر از دست خویش است چاره جز پرهیز

در دیدن نیست - و اگر بیگانهٔ ناتوانست - نتوانم بگویم که حق دارد

چونکه قوی ممکن نیست که با ضعیف در هم آمیزد حقوق حکم عدل واقع شود

مگر آنکه بپایه او تنزل کند - البته در آن وقت واجبات ذمه را ادا نماید

تا سعادتمند شود ...... - و اگر زبردست است البته من حاضرم

که شاخ آنرا بقوت الهیه بشکنم در هر جا باشد - و هر جا باشم

- والحق چند روزه [illegible] فراموش نخواهیم کرد - اگر عقدهٔ در پیش است بیان کن

- از مضامین مکتوب شما چنان ظاهر شد که گمان کردید که میرزا نعمت الله

محل ایراد شماست که چنان مکتوب سخنی بشما بنویسم - بسیار کم حافظه شده‌اید

همان مضامین را بتمامها در عتاب میرزا نعمت الله بشما گفتم

- من برای خیر شما گفتم - مکتوب غریب العبارهٔ فهمیدم و خواهرم بیبی -

خوشنودم خداوند نگاه دارد و بمراتب بلندش برساند - و من یک مکتوب

ده روز قبل به او نوشته بودم - و امیدوار آنم که دوست جانی‌ام میرزا جعفر

همیشه در ظل عنایات شما مسرور باشند - و سلام دوستانه به یکایک میرسانم

و فردا به (بطرسبورغ) خواهم رفت والسلام

دوستت جمال الدین الحسینی الافغانی

یکشنبه ۲۴ ذی‌القعده [۱۳۰۶]

همین روز در خانهٔ [illegible] جواد [illegible] مهمانم

و فردا خواهم رفت

بهمیشه رزحالات

جناب محتشم حاجی محمد حسن امینی دار الضرب سلطانیه

نفسیه وبدنیه در کمال اعتدال بوده باشند

خیر باشد چه میشود شما را — سیر آلام بر روی دست و تشنه ایمان که از جام کشیده اید
— خدا کند که در مقابل حق نباشد — قوه واهمه اگرچه از تکمل عقل و اشتغال آن
به ترتیب و تربیه واجب بوجود آمده است — ولی اورا قوتیست بسیار شدید
که در غالب نفوس بشریه با عقل منازعه نموده بر او فائق میگردد — و جمیع ضلالات
عالم انسانی از وی نشئت نموده است — و اوست که حق را مشتبه نموده بحجبات باطلش
ظاهر میسازد — و باطل را از زورق ساخته بهیکل کمالش بر عالم جلوه میدهد — اوست
که در خیر مطلق بوساوس خود سیئات بشمه شرور را بابصار نمایش داده بیچاره مکافات
محروم مینماید — و شررا بزیب و زینت دلربائی آرایش نموده نفوس را بر آن ترغیب میکند
— و حکما این قوه واهمه را شیطان عقلش نامیده اند — ولکن فرق بعید است میان
آن دو — چونکه شیطان بیچاره اگرچه انسان را از سلوک سبل حق و حقیقت
باز میدارد ولکن او را در تمتعات و لذات دنیویه و شهوات بدنیه مساعده مینماید.
— واما قوه واهمه انسان را از سعادت دنیا و آخرت هردو باز میدارد — در عین
غنی وجود توانگران را از خوف فقر میکاهد — و در حین شادمانی ابواب احزان
گذشته و افکار آینده را بروی باز مینماید — و از برای تلخ کردن زیست انسانی
در اعوان واحد قاوا اهل و عیال و خدم و حشم شخص شبهها القا میکند تا آنکه همیشه
معذب بوده باشد — از دست این دشمن دیوانه باطنی درین عالم ابدا احدی
کمالش را هم بسبب دشوار است که بالمره خلاصی و نجات حاصل کند

ـ و با وجود این امید آن نداشتم که تا بدین درجه و اینهمه بر شما چیره شود ـ من
بهمّت و غیرت و جسارت و اقدام ستوده‌ام ـ و این اوصاف همان اوصافست
که از نهایت شرف انبیا و اولیا با آنکه معارج عالیه و جنبهٔ لاهوتیت داشتند بدانها
فخر مینمودند ـ و اگر در اعدای ایشان همان صفات یافت میشد از ستایش آنها بدان
سجایای کریمه استنکاف نمیکردند ـ و شما قوه و اینهمه زبان داشت که آنها را برای خویش
اوصاف مجزّه (یعنی دروغ گوئی) حمل نمودید ـ این یکی ـ دوّم آنکه چنان
گمان کردید که من با شما و یا غیر شما بکنایات و تعریفات سخن میگویم ـ من
چرا با شما بکنایه چیزی را بیان کنم ـ و من چرا به شما دروغ نسبت بدهم عجیب
ـ سبحان الله ـ بلی عقائدیکه از وهم آید از وهمی زائل شود ـ خطرات قلبیه
و تمام را هیچ اعتباری ـ من این مفرّ شما را بفونکستال و آن نیت خیر شما را از آثار
همّت و جسارت شمرده بودم ـ دل خود را اصلاح کن ـ چرا باید وهم نور الخیالات
فاسده باز دارد ـ شما نوشته بودید که من در خط سوروغ از برای استعمال آن
سعی کنم بالجی خبر فرستادم ایشان جواب داده برای شما نوشتم ـ پس چرا باید تو هم نمی
که با تو بکنایه سخن میگویم ـ جناب عجمی دل خود را اصلاح کن ـ من هرچه میخواستم
با شما بنهج صراحت بیان میکردم ـ اگر آنها تغییر بیابد من همانم .... ـ واما
میرزا نعمت ـ من با میرزا نعمت الله مخالف نیستم ـ من میخواهم که جمیع اعمال
شما بر نهج حکمت بوده باشد ـ از جهت بشارات و کتابه گفتم اولا باید حساب کرد
ـ حالا خوب تصور کن چون اولا حساب نکردی اگر حق هم بطرف شما باشد هیچ گونه
اثبات نتوان کرد ـ اگر دست برداری خواهند گفت که خواست ظلم کند ولکن
عاجز شد و نتوانست دست بر دارد ـ و اگر بخط ابتدائی او را برای حساب بطهران
بکشی خواهند گفت بجور و ستمکاری بیچاره نعمت الله میخواهند خراب کنند ـ اینست

بهمه آنچه از اول نصیحت‌ها را پیروی نکردید — من میرزا نعمت‌الله را در خانه شما دیدم و معاشرت هم
با شما درجات بیشتر است از معاشرت با او — و با این همه او تمام شما را از من شما
اکمل از بیشتر ایرانیان میدانم — خیال فاسد مکن — شما خارج نیستید — از این
درگذریم — اما فاضل بسیار عجیب است که چرا در مدت مکتوبی ننوشته بلکه
خدای نخواسته در این جوانی او سهو هم و نسیان غلبه کرده است — باید هر وقت مکتوب
بنویسید گاهی عربی و گاهی فارسی — و بدعا و سلام تنها اکتفا نکنید بلکه بعضی تفصیلات
بنویسید تا آنکه قوه کتابت و انشاءش افزون گردد و فکرش وسعت گیرد و منتظر
آن نباشد که من از مکتوب او جواب بدهم — البته من گاه گاه برای تشویق او جواب
خواهم نوشت و آن در وقتیکه مضامین مکتوباتش عالی بوده باشد — جمیع متعلقین
و وابسطه‌ها و احباء خود و ما را سلامها برسانید — باز بشما میگویم مال خود
اصلاح نمائید — و وابسته به بر خود چیره نسازید — خداوند عون شما باد در کارهای خیر

والسلام

دوست شما جمال الدین الحسینی

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن علیه الله مصاحب شیخ منتظر ناصحون باشند

سطری که در حاشیهٔ مکتوب سابق نوشته بودم گویا از خاطر محو شده بود — شخص حکیم حیران باشد
همیشه مقهور حالات طبیعیه است — نه عقل را بر فرحت و حزن و غضب آن
حکومت نه دین را — کمال عقل و تدین حقیقی که از لوازم شناخت حاصل میشود
باید از سطوت طبیعت آتش رهائی بخشد و حالات طبیعیه را منعمی گردانند تا که
فرحت و اندوه و خشم آن همه در دایرهٔ عقل و دین بوده باشد — زین راه میتوانم
بگویم که شما را بس لائق نیست که از موت والده و فوت اولاد اندوهناک شوید
— بلکه باید درین عمر پس از همه تجربه ها و معاشرت با اصناف عالم از صالح و طالح
اندوه شما بر ارتکاب رذیله و یا ترک فضیلتی باشد — و فرحت شما با صلاح و تزکیه
و تحلیهٔ آن بصفات حسنه و اخلاق کریمه که اعاظم افراد انسان بدانها فخر میکرده اند
بوده باشد — نه بغیر آن — و اصلاح ذات خود (چون تجارت) بعد از عطیهٔ الهیه
موقوف بسعی و اجتهاد است — و فکر شبانه روز میخواهد — و حساب باید کرد
— و همیشه باید در خوف و وجل بود که مبادا در حساب خطا شده باشد — و افکار
عقلیه و اخلاق نفسیه را (چون بضاعت تجارت) باید تجربه ها کرد و با اهل خبره
آن مشاورت و سؤال کرد و تفتیش نمود — البته اهتمام انسان در قوام ذات خود
بیشتر است از سعی آن در خارج از خود — و چنان گمان نشود که باید از کار
جهان دست کشید — نه نه — بلکه باید کار جهان را بر نهج حق و عدل
از برای (خدا) کرد چنانکه (خدا) میخواهد — و خداوند تعالی میخواهد

که در عوالم سفلیه چون عوالم علویه همه کمالات و زیب و زینت خود را در همه چیز در همه جا نشان دهد
— و همه بزرگمندی و قدرت خود را در شکل در خود انسانی و صنایع و آثار آن ظاهر گردد — و انسان در همه
حالات خود مظهر کمال حق باشد تا آنکه در هر طوری شاهد کمالات غیر متناهیه او باشد — و بر این انسان را
جوهری که انسان کمال آن تمهید کرده نه تنها انسان فعال که بغیر از تقطیع اصوات و تموج هوا چیز دیگری
نیست — خداوند یاری کند — و همه پاک پرستان را جلوه گاه کمال و جمال خود نماید آمین
— و اما امر نعمت که در مکتوب خود شما شرح برشما عرضه کرده بودم — البته شما بر نهج
حق و عدل یک از آن شهره را قبول خواهید نمود — و امیدم چنان است که هیچگاه شما به تعدی
و اجحاف که صفت جباران است راضی نخواهید شد — جواب جناب جلال الممالک را هم
آقای سلطان را در جوف مکتوب شما بعنوان خود شما روانه طهران نمودم — اگر کما
دوستی برسد سلام رسانید — همیشه شما و اهل خانه و متعلقین شما سلامت بوده باشید والسلام

دوست شما جمال الدین الحسینی

(٦) ترجمة هذا الخطاب فى ١٣٢ و ١٣٣ من القسم العربى

جناب مخشم محترم حاجی محمد حسن امین دار الضرب سلطانی

چند مدتی است که میخواهم جواب مکتوب شما را بنویسم ولکن بعضی خطرات مانع میشود
واین لذت آن طرف باشد — چون سلطان الهی در هر طبیعت و ماهیتی بنوعی جلوه میکند
— آب زلال خوش گوار در هر تجلی بر حسب سرشت آن بطعم دیگری در مذاق
ظاهر میشود — بر انسان در عالم افاضه واستفاضه بمنزله دو کفه میزان است
— معامله حق با انسان بر وفق معامله اوست بخلق — پس باید همیشه عنایات
غیر متناهیه حق و قصورات انسانیه خویش را در پیش نظر داشته با خلق خدا مدارا کرده
معامله کرد — از خداوند تعالی الدوام بجد و استحقاق عفو خطیئه در هر آن خواسته
خودستن و همیشه طلب غفران ذنوب صغیره و کبیره نمودن با وجود این
خلق را از خوان نعمت خود راندن و بر زلات حقیره با نهایت خشم
عقاب کردن بسیار جای شگفت است — انسان باید مستمراً در دعوات خود
بگوید که — ای خداوند من — من بدین عجز و ناتوانی بر زیر دستان
رحم میکنم و گناهان آنها عفو میکنم — پس اگر تو با آن قدرت مطلقه و رحمت
نامتناهی بر این عاجز رحم کنی و از تقصیرم درگذری و جود و عنایات شامل حالم
سازی چه عجب باشد — اینست عدل — و خداوند تعالی عدل است
— برای همه قرآن پیش و بالاکم در حالات قرآن گریزی ... عاجز نمایند
حبس کرد — با این حال خودتان بکمال سعی کنید که خود را مظهر صفات

کما هی حق خود — انشاءالله خاطر [illegible] باید به کسی غلط بازی [illegible] اگر [illegible]

قابل غفران نیست از خدای خود چگونه میخواهد — اگر کسی احساس شرف [illegible]

و بدون سابقه عملی و اتفاقی بکسی بد بودن را وقوف از خداوند [illegible] احسان [illegible]

و [illegible] البته دین خودش یا خود [illegible] میخواهد [illegible] در این [illegible]

و یا خود [illegible] و این جای خنده است — [illegible] اطاعت [illegible]

و شما هم نباید بکارهای بکنید که باعث تباهی آن [illegible] — [illegible] محمد رضا اگر [illegible]

و اگر بخوان در هر حال [illegible] شما است — نباید سخت گیری کرد — در حالیکه [illegible]

شما [illegible] در مملکت ایران مظهر یکی از صفات خدا کرده است شما هم شکرانه [illegible]

همیشه در کار [illegible] کمال [illegible] — با خلق خدا آن کن که میخواهی از خدا

[illegible] فضل [illegible] شده است — ماشاءالله — ماشاءالله — هیچ کاغذ ننوشته

حاجی محمد ابراهیم و سایر خانواده [illegible] ملاقات [illegible] مهربانا و [illegible]

درویش حال [illegible]

(٧) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٤ من القسم العربى

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن امین همیشه رسین آرد

(که زمان تبادی وفا، اخلاق متلبسین بلباس اسلام است)

مظهر عجائب قدرت حق بوده باشند درین مکتوب جز چند کلمه

اینکه نخواهم نوشت — اگر دل را تغییری و فکر را تبدیلی حاصل نشده است

برسیدن این مکتوب باقرب وسائلی که ممکن است زمان

پنجهزار منات را که بمیرزا علی حواله کرده بودید که بمن بدهد

و در آنوقت من قبول نکردم — اکنون همان پنجهزار منات را

به آنچه حوادث حواله کنید که در ربط سیوع بمن بدهند و

آن مبلغ را بازپس خواهم داد لا محاله — و میگویم اگر شما

درین حواله قلق و اضطراب حاصل شد و چنان گمان کنید که وجه شما

(٨) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٤ و ١٣٥ من القسم العربى

جناب حمیم غیور و مقدام جسور حاجی محمد حسن ایلچی سلامت بوده باشند

مکتوبهای شما همه رسیده - و از سیر و سلوک عقلی و فطری شما در عالم

آفاق و انفس و لذات آن ملاحظات دقیقه شما در تطورات

وجود بسیار خوش شدم - البته نباید که از شرع با وصف این نیت دریغ

جهان چون حیوان از همه عقل بهره زیست نماید - و الا هیچ کلمه

از کتاب الهی که عالم است نخواهد - و اما آنچه در حق میرزا نعمت الله

نوشته بودید همه را قبول میکردم اگر قبول می‌شنیده اول

محاسبه میکردید و اما الآن هیچکدام را قبول نخواهم کرد - و اما کیفیت

اسب یابوی سفیدی که در بطر ببوع است مکتوبی که بهیچوجه

حاجی ایلچی چیزی را به برادرم بخریده است و ناظر دیلماجباشی

[illegible]

(٩) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٥ و ١٣٦ من القسم العربى

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن امین علیه مظهر عنایات خاصه حق

خورسند باشند

هیچکس در هیچ امری از امور نتواند دعوی آن کند که بر جمیع حقوق آن

چنانچه باید و شاید قیام نموده است و باینماید مگر در آن دقیقه که از اهمال در آنها

ضیاع ربح سابقی و یا تصور ضرر لاحقی بخاطرش خطور کند — اینست فطرت

انسان — بی بهاء ا اگرچه حارث باشد در نفوس بها نیست — شخص امین

هر قدر متدین باشد در صیانت امانت آنگونه اهتمام نخواهد نمود که در حراست

مال خویش نماید — و از فقدان آن بدان حد محزون نمیگردد که از خاصه خود

— اینست طبیعت بشر — خادم هرچه صادق باشد نتواند چون مولای خویش

در حفظ اموال و حقوق آن کوشد — بلکه اگر ضامن خسارت باشد همان گونه وقایت

آنها خواهد کوشید که گویا از آن خود است — اینست سرشت بنی آدم — پس

اگر کسی بخواهد که خود را از نقائص اهمال و تفریط در حقوق مبرا و منزه سازد

و طبیعت بر قیام بواجبات آنها مجبور نماید و نفس را بر مسابقت و مسارعت

باز دارد — باید رهنی — تقدیم کند — اینک شما از برای آنکه

در تمهید سبل حق کوتاهی نکنید و در واجبات تهیه اسباب آن تساهل

نورزید مبلغ چهار ارمنات بنهج رهن تقدیم نمودید — و الحاصل

مبلغ دو هزار منات هم چنانچه [illegible] بوده از ابجد جواد کرمشم شما

باخدا است — این دین است بر ذمه شما خواهد رسید — تفصیل

امر مبرم نعمت الله در مکتوب [illegible] نوشتم البته بشما رسیده باشد

(١٠) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ من القسم العربى

جناب منشی مکرم حاجی محمد حسن امین دارالضرب السلطنه رحیمه

خورسند و مسرور و بهجه باشند

مکتوب شما که در آرزوی حصول فرصت از برای گله گذاری (جای التماس دعا را گرفته بود)
رسید — جناب حاجی من آنچه به شما گفته‌ام و میگویم و کرده‌ام و میکنم همه محض و صرف
از برای خیر امت محمدیه بوده است و خواهد بود — و بهیچوجه انانیت مرا در او
مدخلی نبوده است — و اگر منافقان ایران در نزد کوران و کران که نه چیزی
شنیده اند و نه دیده اند انکار نمایند — امید آن دارم که شما در پیش نفس خود
اعتراف کنید که راست میگویم — و چون خداوند تعالی از حقیقت گفتن
و روش من مطلع بود لهذا دولت عثمانی را پس از شش ماه که از در مخالفت
با من درآمد گوش و دماغش را بریده کمرش را شکست — و خدیویت مصر را
پس از آنکه مملکتش را پارچه پارچه کرد پای سنگین انگلیزها بر گلوی
آن نهاده که نزدیک است که نفسش قطع شود — و شیر علی خان
و عائله آنها تار و مار کرد — اکنون میگویم اگر ایران بر گناه خود
اصرار نماید و توبه نکند خداوند تعالی چون بجهت گناهان سابق آتش
گوش و دماغ کرده است حالا سرش را خواهد برید و گوشتش را
طعمه شیرها و عقابها خواهد نمود — و بسیار زمان طول نخواهد کشید
— خداوند تعالی بیزار است از این اعمال جاهلیت و رسوم وحشیها
که بر سر آنها عمامه اسلام و دین نهاده اند — اینک من جهارا
میگویم و عالم هم در این نزدیکی خواهند دید — نوشته بودید

که پس از ورود من بطهران همه چیز آماده و حاضر بود حاجی جان چه حاضر بود و کدام چیز آماده بود
— من صدر اعظم نمیخواهم بشوم — من وزیر نمیخواهم بشوم — من دکان دولت نمیخواهم بکنم
— من مواجب نمیخواهم — من وظیفه نمیخواهم — من عیال ندارم — من ملک ندارم و نمیخواهم
که داشته باشم — پس چه حاضر بود و چه آماده — جناب حاجی بسبب رشحها بود که سلطنت بمرتبهٔ
بیکسی و پریشانی رسیده اند — و بسبب رشحهای بتوسط شما بمواجبهای بی‌ضبط رسیده اند — ولکن خودم
همیشه یک حالت بوده و خواهم بود — جز نصیحت و اصلاح مقصد دیگر ندارم — و آنکه دل شاه را
تغییر داد اگر قلندر اصفهانیست و یا قلندر طهرانی و آن زنیکه که راضی شده و آن عنیکه
نهاون و وزیر خداوند تعالی از همه کس بهتر میداند — انشاءالله چون کسی کشف حقایق نتواند بکند
جزای همه در اینجا و در آنجا در دست حق است — نگاشته بود که جناب جلالتمآب اجل افخم
بادوج اقتدار رسیده اند اگر در آن نفع خلق است باعث مسرت و خشنودی است — اگر خشم
من بد و خیر عموم عباد است بیکبارگی گور باد بهتر است و اگر دستم برای سعادت مخلوق کوتاه شد
از حرکت باز ماند و اگر پایم در راه نجات امت محمدیه قدمی نزند شکسته گردد — اینست
مذهب من و اینست مشرب من — و امید دارم که جناب جلالتمآب اجل بقوهٔ اقتدار خود
بد و خیر ایرانیان بیچارهٔ مسکین فلک زده بکوشند — فردا میرزا نعمت همه سوارها را
که از برای نثار روانه کرده بود پیش من فرستاد — والبته یک ملکی از آن وجوه ثلثه که اشکال
عرضه کرده بود قبول خواهید کرد و از راه عدل و انصاف منحرف نخواهید شد — از فاضل
چیزی ننوشته بود — جمیع اهل خانه و متعلقین خود و حاجی محمد ابراهیم را
از طرف من سلام بگوئید و آتش سوزان برزخ این جهان را برخود
بملاحظه قیومیت الهیه برد و سلام نمائید — و جناب لامرتضی خلیل را بخصوصا سلام بگوئید.

والسلام

جمال الدین الحسینی

عبدالغفور ملکی خطوط اوست

(١١) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٨ و ١٣٩ من القسم العربى

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن امین دار الضرب السلطانه

همیشه عزیز شده و از مصائب و آلام محبّت مصون و محفوظ باد

اگر شما را دوست بشمارم گویا آنقدر خطای عظیمی نکرده باشم (انشاالله

از خطاهای فانیت) و محبت را لازم بسیار است — و حقیقة

چون ملاحظه کنم اگر کسی از روی صدق چنین خیر خواه و مراعات

حقوق انسانیت نکند نتوان او را دوست شمرد — بلکه آنگونه شخص

باید اشناکفت — و دوست دوست است — لهذا میگویم که

جناب الامیر جعفرخان قنصل (امکاریه) دوست من است

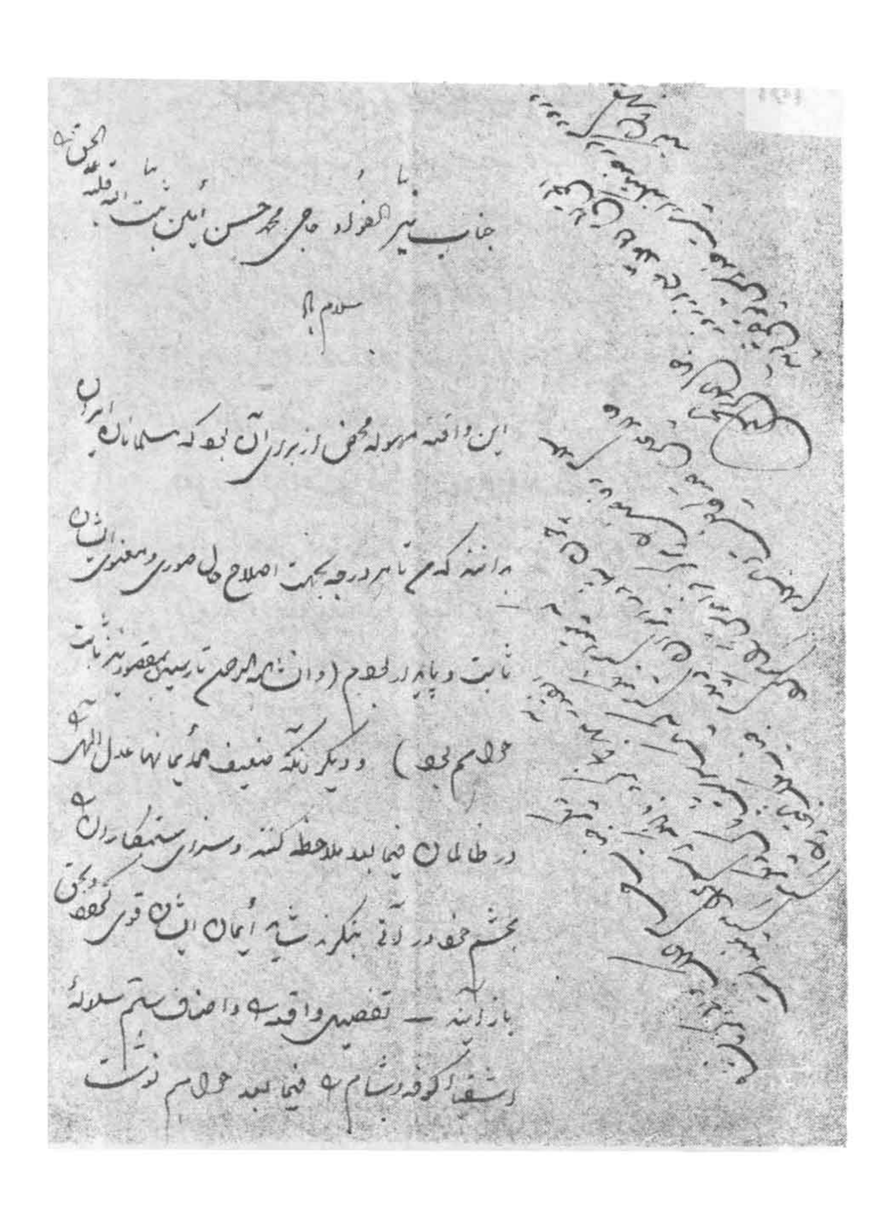
و زیاده بر سیادت نسبی قلبش مطهر و اخلاقش مستقیم است

(١٢) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ من القسم العربى

جناب محترم مکرم حاجی محمد حسن امین همیشه مورد عنایات حضرت بهاء
الله و مظهر فیوضات ربانیه جلجه خورسند باشند آمین

پس از آنکه مکتوبی بشما روانه نمودم کاغذی از طرف شما رسید دفعه فاصله
بین صدور آن و ورود این بیش از پنج ساعت نبود صدق است
این مملکتها جامه و دین و عقیده را نجس میکنند ولکن آن بلاد
عقل و روح و نفس ناطقه انسان را ملوث میگردانند چونکه
بیچاره ها بجهت تضارب آراء فاسده و تلاطم اطماع کاسده
و هیجان اخلاق رذیله اهالی محتاج میشوند که دروغ گویند
و تدلیس و تزویر و مکر و خدعه بکار برند و از طریق مستقیم
منحرف گردند و بر ضد فطرت طاهره خویش عمل نمایند و جناب
حاجی اگر در نفس خود ملاحظه کنند (از آنکه طالب صلاح و فلاح و در
وصف فطرت اند همه ایرانیان که از نظام گذشته است بیزارند)
همین امور را هولناک یافت (چاره نیست چه باید کرد) ولکن
ممکن است که اندک اندک حقیقت حال بر همه ایرانیان ملتبس گردد
و زشت را زیبا شمارد (نعوذ بالله) ... نوشته بودید که بمشهد مقدس
بروم و خلق را علم بیاموزم (بسبب خوبت) ولی در مملکتی
که افترا گفتن را مزد دانند و دروغ گوئی را کار دانا

(١٣) ترجمة الخطاب فى الأصل العربى ص ١٤١ و ١٤٢



جناب ... حاجی محمد حسن امین ابن امین علیه بهاء الله الحق

سلام

این واقعه مهوله محض از برای آن بود که مسلمانان ایران

بدانند که من تا هر درجه بجهت اصلاح حال صوری و معنوی ایشان

ثابت و پایدار هستم (وان شاء الله الرحمن تا رسیدن بمقصود نیز ثابت

خواهم بود) و دیگر اینکه ضعیف همه ... عدل الهی

در ظالمان فیما بعد ملاحظه کنند و سزای ستمکاران

بچشم خود در آتی بنگرند تا ایمان ایشان قوی گردد و بحق

باز آیند — تفصیل واقعه و اصناف ستم سلاله

اشقیا اکنون در شام و فیما بعد خواهم نوشت

(١٤) ترجمة الخطاب موجودة فى ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٥ من النص العربى

جناب نیکونهاد حاجی محمد حسن امین لازال ثابتاً علی سبیل الرشاد

سلام مهاجر

روز پنجشنبه در حضرت عبدالعظیم که از بیماری فارغ و بحرکت شده بودم بیست نفر
جلاد (فراش) عمر سعد (مختار خان) ریختند بمنزل (معین التجار مرحوم)
بوده مرا بغایت غضب و حدت که نمونه از حقد و کینه عساکر ابن زیاد بود
کشیدند — چون خوف آن داشتند که مبادا از رگ اسلامی در قلوب زوار
شاهزاده عبدالعظیم مانده بسبب غیرت دینی از من حمایت کنند (و حال آنکه این خیال
باطل و فکر محال است چونکه اسلام و دین و غیرت و حمیت مدتی است که از ایران هجرت
نموده چنانچه همیشه میگفتم) آنقدر مرا بسرعت میبردند و بشتاب میکشیدند
که دکمه های قبا و پیراهن گلویم را چنان فشار داد که نفسم قطع شده
بزمین افتادم — پس از آن بهیچگونه ندانستم که مرا بچه نحو
براه کالسکه عمر سعد رسانیدند و تا مدت چهار ساعت هیچ نفهمیدم
که در کجا هستم چون بخود آمدم و عمر سعد و شمر ثانی (حسن خان قزوینی
سرتیپ سوار کشیک خانه) در حضور خود دیدم و مدت سه ساعت هم
بی عمامه بی ردا نشسته همه اوقات بلا انقطاع آب مینوشیدم چونکه بسبب حبس
نفس حرارت شدیده در جگرم حاصل شده بود (تا کرمانشاه در این تاریخ هفت
روزی چهل بار آب مینوشیدم) پس از آن شمر گفت دو ساعت
پیش از غروب نماز را بجا آورده سوار شده در بین راه بمختار خان گفتم بگویید
کیف مرا که در آن ذره ای پول است بیاورند اینها برخورده

(١٥) ترجمة الخطاب موجود فى ص ١٤٤ ، ١٤٥ من القسم العربى

نیز کفواره جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن [illegible] جعله الله طاهرا [illegible]

از ابن زیاد که با آل رسول [illegible] کرده بود آنکه سوال نموده بودید که آیا پس از [illegible]

یکفن و دفن آن مشغول شدند آنکه سوال نموده‌اید [illegible] مضمون مشهور

میدهد [illegible] در رحله اش غلط [illegible] الا لعنة الله على الكاذبين بلی بلی

وقایع زمان گذشته و حال و در هر چیز [illegible] چونکه [illegible]

[illegible] لعالم و [illegible] قدم [illegible] [illegible] و [illegible] اقوال [illegible]

[illegible] و [illegible] و سنت الهیه هم در عالم خلق [illegible] بر [illegible] و [illegible]

و [illegible] اکنون باید بنظر عجائب قدرت الهی [illegible] [illegible] نصیحت [illegible]

بجا آورده‌ام و در سلوک طریق حق خوف و [illegible] که [illegible] نفوس [illegible]

[illegible] بسبب [illegible] بسته‌ام و [illegible]

آنچه توانسته کرده‌ام اکنون باید [illegible] چه میکنند [illegible] نفس [illegible]

ضعیف و [illegible] هر گونه خیال [illegible] بکنند و هر گونه سخن [illegible]

که [illegible] و هر نوع نسبت [illegible] چنانکه سابقین کرده‌اند [illegible]

ولکن [illegible] بر [illegible] که [illegible] و حق [illegible] ثابت [illegible]

[illegible] فتن و امتحانات [illegible]

طرق [illegible] و [illegible] تمییز خبیث از طیب [illegible]

و خطرها و [illegible] و تعدیل [illegible]

چه [illegible] البته [illegible] بالغ [illegible] قناعت کرده [illegible]

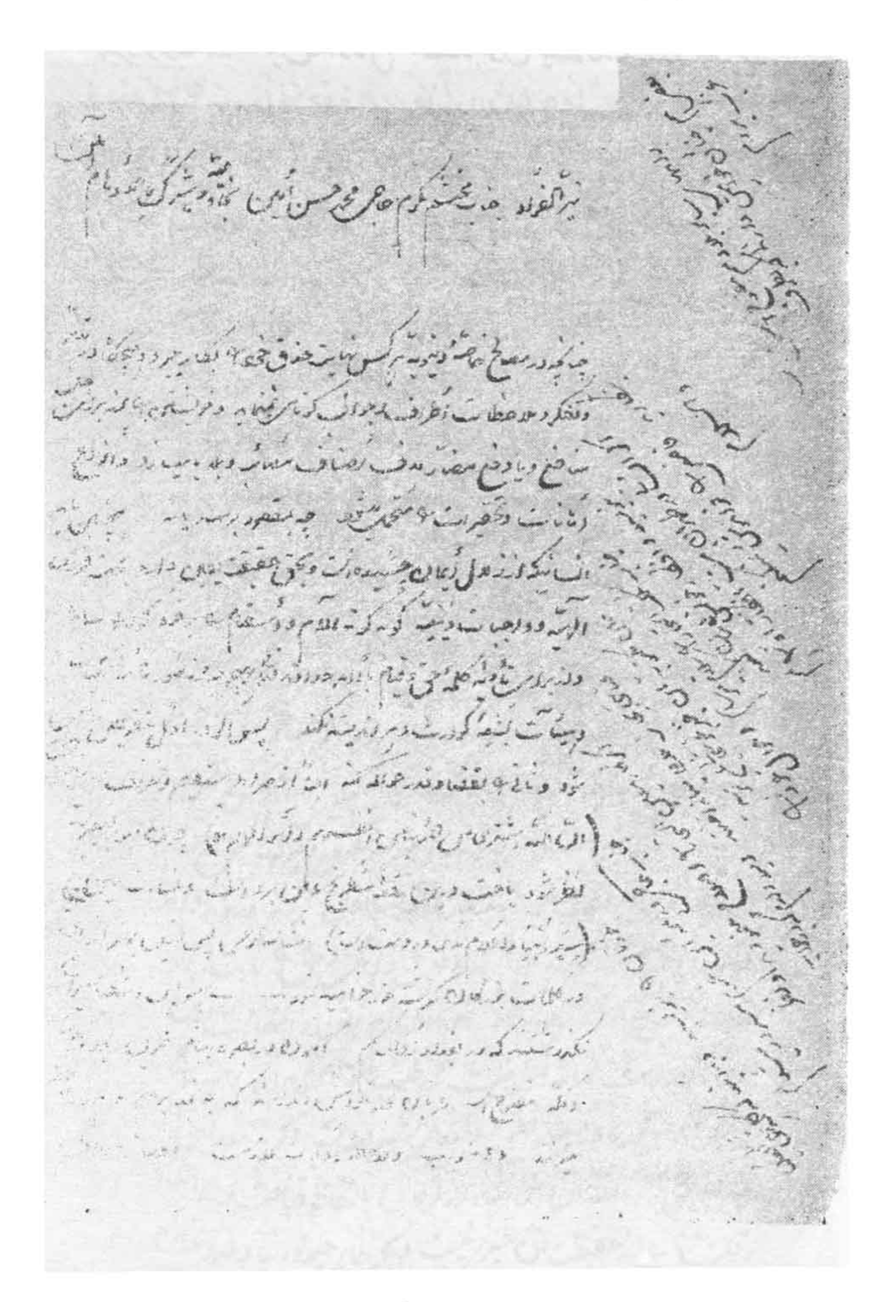
و [illegible] از حقیقت [illegible] و بجز [illegible] حیوة دنیا [illegible]

و بیخبر دیگر توجه نکرده این گونه اعمال را سفه و جنون میشمارند ولی اگر یک ذره ای
نور عقل در بیت شان بتابد و از لمعات حقیقت جوهر خانه دل ایشان را منور سازد خواهند دانست
که آن خیال جز از خطوات نبود مثل ابولهب و ابوجهل تا وقت موت همین گونه خیال
داشتند امیدوارم که ملاقات دست دهد جناب ملک التجار را و سایر
دوستان را عموماً سلام برسانید والسلام

جمال الدین الحسینی

اکنون در بغداد در عقد صغیر باب الآغا در خان حاجی عبدالصمد اصفهانی
میباشم

(١٦) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٤٦ من الأصل العربى



شهر مسكوف ۲۱ ژوئيه

ايها الفاضل النجيب

بعد السلام عليك أهنئ جنابك الحاج محمد ابراهيم وعلى الحافظين حولك

القائمين بخدمتك بصدق وخلوص — ان كتابك الظريف قد وصل

وسررت بما شفته من صفاء القلب وفي نزاهة السجايا — وزاد فرحي

ما خبرني به ميرزا نعمة الله من قيامك بادارة اشغال التجارة وترتيب المعاملة

وحل مصاعبها والنظر في دقائق نكاتها كأنك خلقت لها وصرف عمراً

طويلاً في احرازها — هكذا أظن فيك ورجائي منك — بارك الله عليك

— واني في مدينة مسكوف وبعد ايام اذهب الى (بطرسبورغ)

وان جناب الوالد في مدينة (پاريس) — وبلغ سلامي واحترامي

رسيد ۲ صفر ۱۳۲۰ جواب داده شد

دنیمه‌ای پیشه خود ساخته‌اند و بدین صفات شیطانیه خود هرجا مجامع مباهات و مفاخرت
نمایند و خویشتن بزرگ ستایند چه قدر دور است سخن از حق راندن و حقیقت
علم را از ترخلش خصوصاً با جاهلی که خود را دانا شمارند دیگری که خود ایشان را بعنوان انگارند
— باری همه اینها چنان کمال مسکینی که شما در آن چنانچه ماه که شب و روز و در غربت
با هم بودیم بفعلیات فطریه و بنور تجلیات الهیه که مرا شناخته باشید و دولت را شاید
که مرا درین جهان چه در غرب باشم و چه در شرق مقصودی نیست جز آنکه در اصلاح
دنیا و آخرت مسلمانان بکوشم و آخر آرزویم این است که چون شهداء راه حق
خونم درین راه ریخته شود ولی در حرکات خود مجبورم و از اراده الهیه سر نتابم
لیکن اسپند و در گذریم ... (در وقت ورود مرگ بتاو) بر رسم فرنگستان بهر
یک از ایشان یکی (کارت) خود را فرستادم و با آقای امین الدوله و مخبر الدوله
و اعتماد السلطنه چنانچه میدانید ملاقات حاصل شد چون که وقت معینی کرده
— و کاغذی بامین السلطان نوشتم و خواهش کردم که وقتی از برای ملاقات
معین کنند و در ضمن مکتوب بیان کردم که میخواهم درین فرصت کذب ابلیس را
به برهان واضح بیان کنم ایشان برافع ورقه تا سه ساعت معطل کردند
و در سر نیم ساعت که از حجره خود بیرون آمدند برای کاری به رافع ورقه گفتند
که اکنون جواب خواهم نوشت (آخر رافع مأیوس شده بازگشت) و سبب با کثرت
اشتغال دنیاوی وساوس شیطانیه هرچه با آدمی باید بشود (دست خدا بالای دستهاست)
— نوشته بودم که یک دوره نه بام زدن نه غرب بشرق و از شرق بغرب
ولی بعضی از رجال دولت روسیه از من استدعا نمودند که چندی توقف
نمایم تا نتیجه سفر سابق بلندن معلوم گردد و بعد چند ماه هم دری

شهر خواهم ماند و جواب اگر بنویسید در ژنو (یعنی بطرسبورغ) بمحله برسید

در هر حال سلامت و خورسندی شما را خواستارم و السلام

دوستدار جمال‌زاده [illegible]

[illegible]

[illegible]

رفتند و کیف مرا هم که در آن بعض مبلغ و پاره‌ای اوراق و کتب بود نیز بردند
هرچه گفتیم به ایشان خبر رسید کسی هم به ایشان خبر نداد آخر الامر شمر گفتند وقت
میگذرد و ما کیف مرا برای شما تقسیم روانه خواهیم نمود — پس یک بقچه لباس مرا آورده
با قلمدان و اسباب چیق و لکن یک قلمدان مرا برداشت و دیگری اسباب چیق مرا
شکستند چوب دست مرا والحاصل در محضر خودم آن چیزهای حقیر مرا هم تاراج کردند همان
عبا و لباده و دو قبا در جوال گذاشته مرا بیک یابوی لکنتی سوار نموده تا یک نیم ساعت
شصت سوار با ما آمدند — پس از آن مرا در حالت بیماری و تنگی نفس و حرارت تب
به پنج سوار که رئیس ایشان سنان بن انس که حمید خان سرهنگ باشد سپردند
دیگر در این راه بی بالاپوش بی شلوار با همه زمستان برفها و آن سرماها شدید و آن خشونت
اخلاق و عدم ایمان حارسین و در منزل کاه‌ها اسطبلها فرود آمدن آن عفونتها
آن دودها دیگر خود شما تصور کنید که چه گذشته است و از همه شگفتتر اینکه چند قران
که در جیب بود شمر ابن سعد پیر بردند از حضرت عبدالعظیم تا کرمانشاه یکبار گوشت هم نخوردم
و اینهم در منزل دستگرد که در آنجا از عجایب اتفاقات با حاجی تاجر اتفاق ملاقات افتاد
والحق ایشان با کمال صفا مرا بجا آورده اسبی داشتند و خواستند از روی خلوص نیت
بمن بدهند ولی من قبول نکردم مبادا خدشه‌ای باشد اینهمه مرا گذشتم تا اینکه این مصائب
همه بر بدن من وارد آمد ولی در همه این حالات روح من مسرور بود و است
و حواله به حق بود و ملامت بعضی ایرانیان خودمند داشت که من برای اصلاح احوال
صوری و معنوی ایشان تا هر درجه ایستاده‌ام که دارم آنچه میگفتم نه از برای اغراض وقت
و اکبری مجلس بود و از خداوند تعالی خواهانم که این واقعه هایله مرا یکی از اسباب فوز شما
قرار دهد و بدین مقصد عالیم برساند و دلهای پاک منور با ایمان مرا شاد کرد انشاء الله
— کاغذی به الامه علی نوشته بودید خواندم ابدا هیچوقت در صفای روح و نقاوت نفس
و علو سجایای شما از یوم اول ملاقات شبهه نکرده بودم شکر شما با خدا است و جزای شما
از دولت آل محمد علی الحق چون ملا علی همیشه در خدمتگذاری حاضر هستند والبته آنچه

لازم باشد از ایشان گرفته خواهد شد جناب حسام الملک تا امروز بسیار مدا
مینمایند الحق اینهم عجیب است — اکنون بیمارم و لهذا از رفتن ماه سخن بمیان
نیاورده است — و امیدوارم که نه در عزم شاه من و نه در ارادت ایرانیان تنها
نقص حاصل نشود بلکه باید بسبب این واقعه هایله مترقب آن باشید که جلال الدوله
عجایب قدرت الهیه را در اعدای دین و دولت مشاهده کنید و بر مراتب ایمانیه خود
بیفزایید و عدل خدا را بدیده تحقیق بنگرید — وکیل الدوله هم پیش من آمده
و اظهار نمودند که هرچه بخواهید از اسباب و نقدینه حاضرم تشکر نمودم الحمد لله
میگفت که امین الدوله به منک بستگی نه گذشته است که هرچه لازم باشد
کارسازی کنند ولی تا حال کتابت نزد من نیامده است. حاجی ملک را سلام و خاصه
حضور وزیر درود میرسانم والسلام

جمال الدین الحسینی

(١) نص الخطاب ص ١٤٩ من القسم العربى

حبيبي الفاضل

جاءني منك كتاب سلكت فيه المسلك القديم - كأنك افترضت

على نفسك أن لا تغير عادة ولا تبدل مشربا - أفما كان عليك

أن تبث فيه خطرات قلبك وتنوعات حالات نفسك وتحولات

وعي عقلك حتى يكون كتابك مرآة تحاكي ما تمثلت به في طي قناطر الحوادث

التي طرأت عليك في مدارج السن - أفما كان عليك أن تبسط ما طرى

عليه عالم دركك بعد رشدك - لما تغير نظرك - لما رأيت

من الناس ما كان مخفيا عنك من قبل - وكيف ذهلت

عن بيان أفكار ساكنيك في موطنك - ولم صمت عن ذكر

(٢) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٠ من القسم العربى

حبیب لبیب جناب آقا محمد [illegible] بسعادت باشند

بحمد الله بشهر (پطرسبورغ) رسیدم - و تعجب در آنکه

دو روز در (هوتیل پورپ) توقف نمودم بعد بکاروان هوتیل)

نقل منزل کردم - و جه (ایا پا دانوف) که وزیر

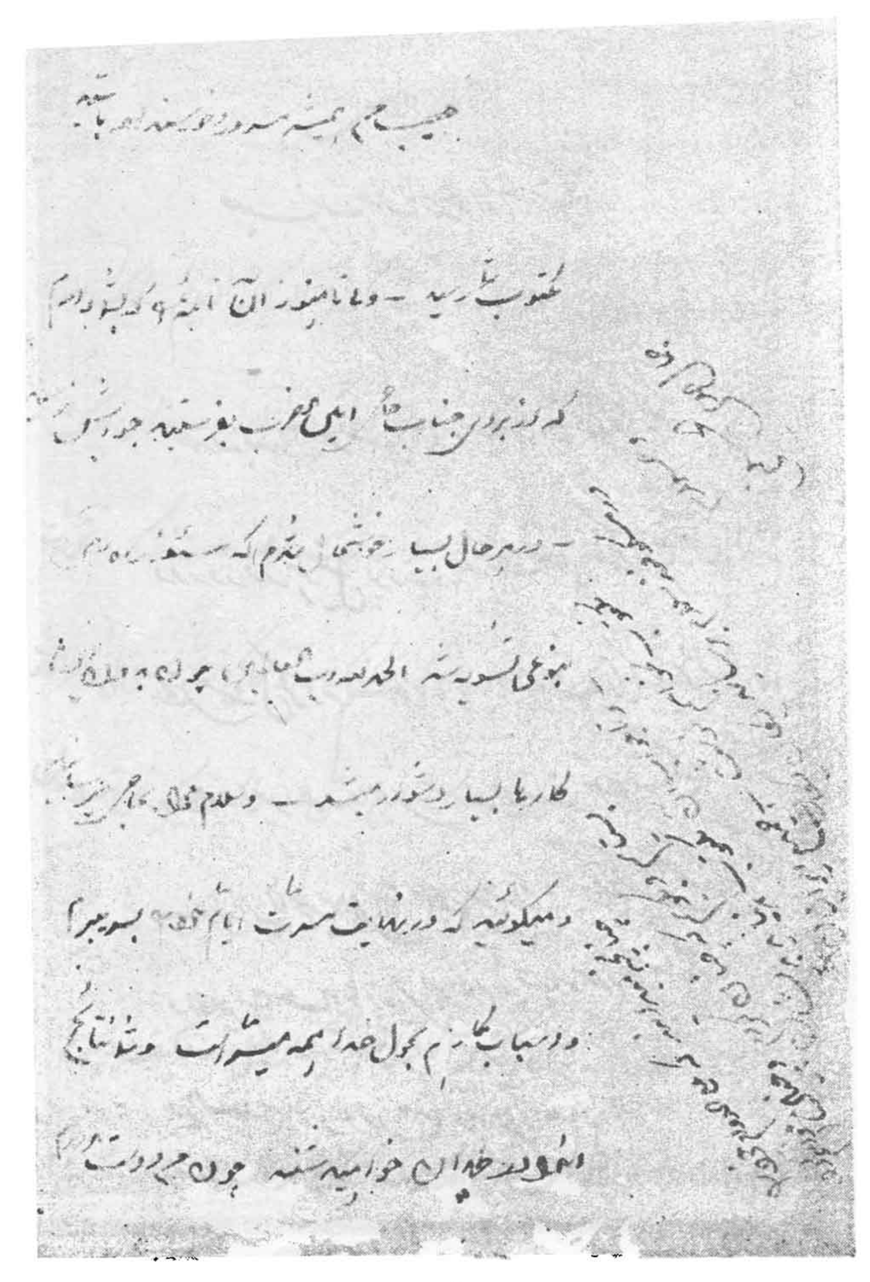
و خاصه امپراطور و محل اسرار اوست ملاقات کردم

- و جناب آقا محمد [illegible] سلام میرسانم و بجناب حاجی [illegible]

و آقا میرزا [illegible] حاجی ابوطالب بسیار سلام میرسانم

والسلام دوست شما جمال الدین حسینی

(٣) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٠ من القسم العربى



حبیب محترم همیشه مسرور و خوشنود باشید

مکتوب شما رسید — [illegible]

[illegible]

— در هر حال بسیار خوشحال [illegible]

[illegible] الحمد لله [illegible]

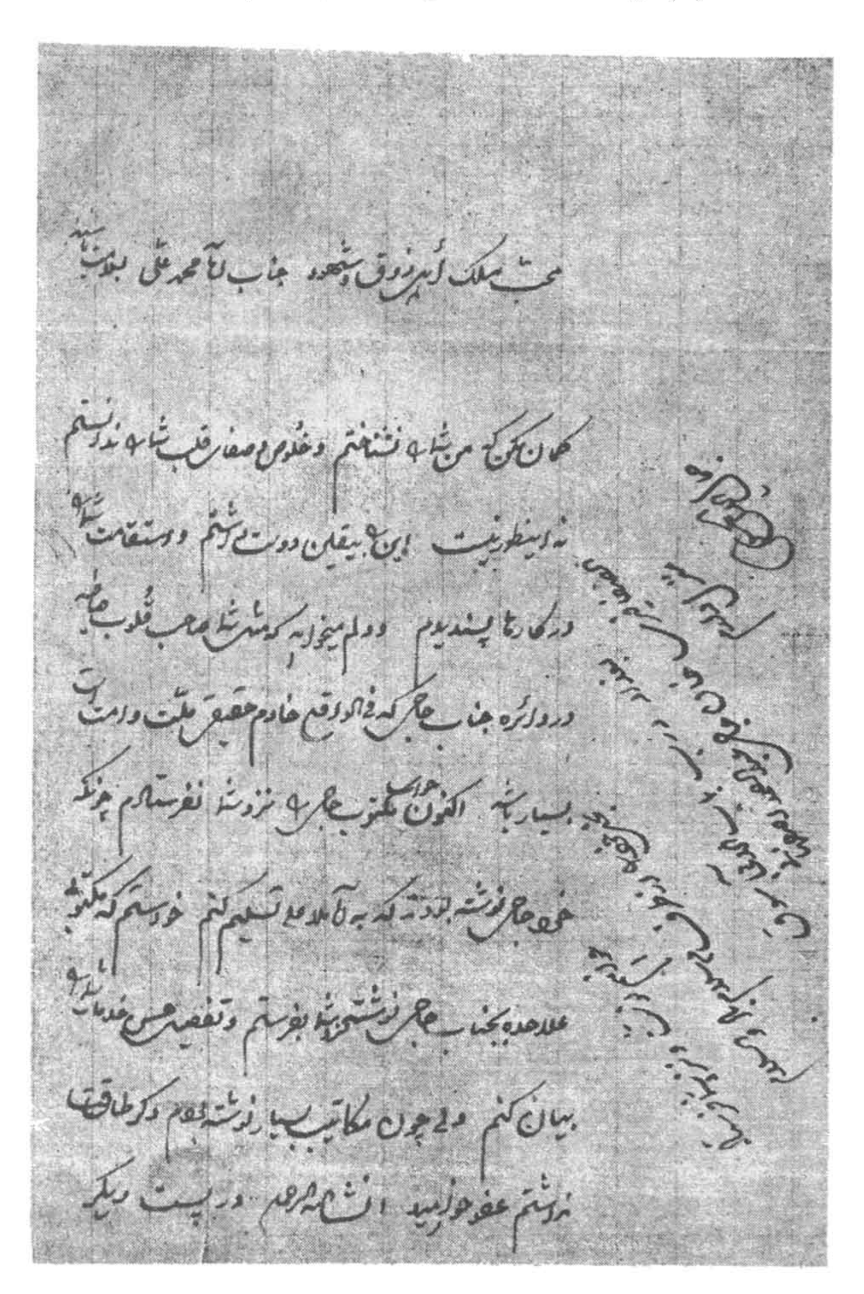
کارها بسیار [illegible]

[illegible] که در نهایت مسرت [illegible]

[illegible] بحول خدا همه [illegible]

[illegible]

(١) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٢ من القسم العربى



محب سالک ارض ذوق و شهود جناب آقا محمد علی بلاغ باشد

گمان مکن که من شما را نشناختم و خلوص و صفای قلب شما را ندانستم

نه اینطور نیست این عبد یقین دوست داشتم و استقامت شما را

در کار دنیا پسندیدم و دلم میخواهد که مثل شما صاحب قلوب طاهره

در دائره جناب حاجی که فی الواقع خادم حقیقی ملت و امت است

بسیار باشد الکنون مکتوب جواب حاجی را نزد شما نفرستادم چونکه

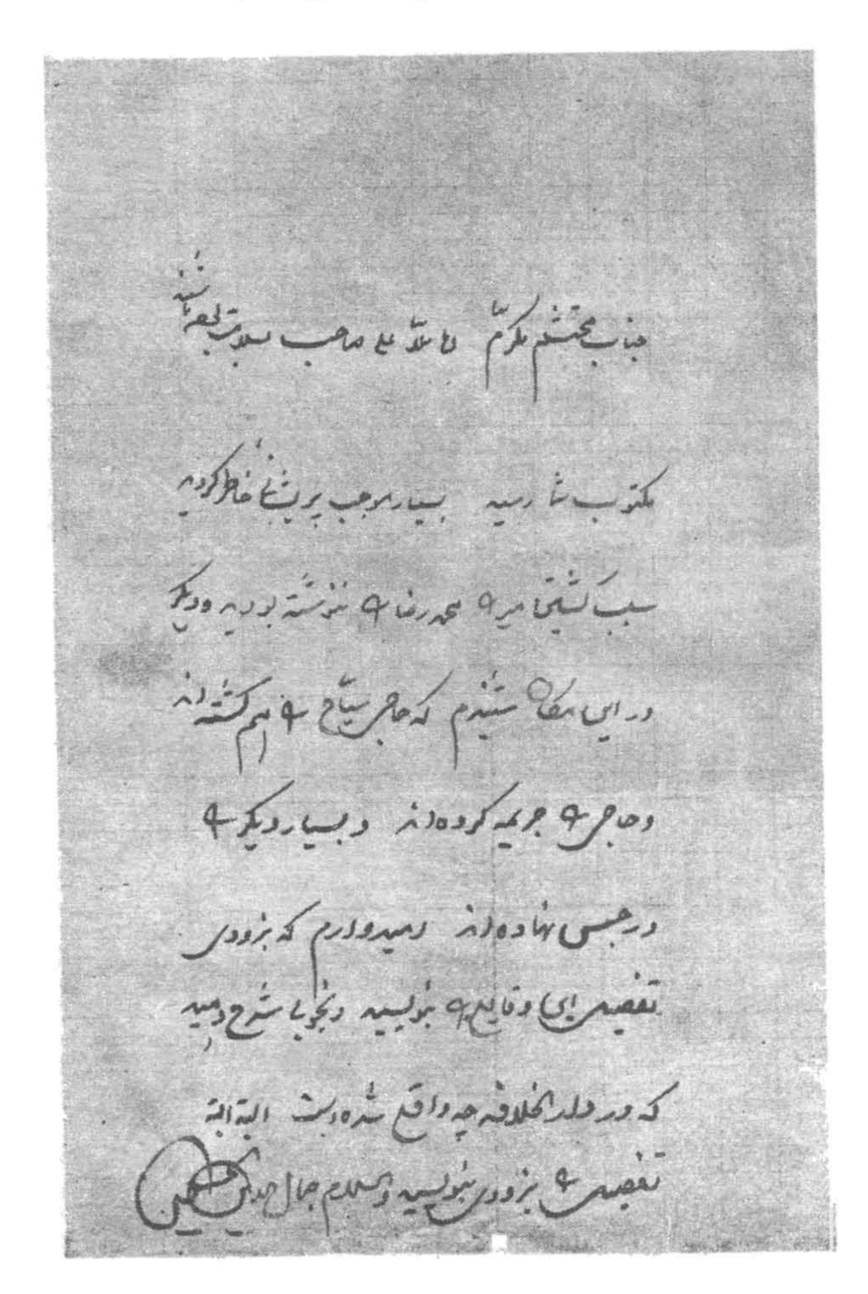
خود حاجی نوشته بود که به آقا میرزا علی تسلیم کنم خواستم که مکتوب

علاحده بجناب حاجی نوشتم شما بنویسم و تفصیل حسن خدمات شما را

بیان کنم ولی چون مکاتیب بسیار نوشته بودم دیگر طاقت

نداشتم عفو خواهید فرمود انشاءالله الرحمن در پست دیگر

(٢) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٢ من القسم العربي



جناب محتشم مکرم آقا ملا علی صاحب سلامت باشند

مکتوب شما رسید بسیار موجب پریشانی خاطر گردید

سبب کشتن میرزا محمد رضا را نوشته بودید و دیگر

در این ایام شنیدم که حاجی سیاح را هم گرفته اند

و حاجی را جریمه کرده اند و بسیار دیگر را

در حبس نهاده اند امیدوارم که بزودی

تفصیل این وقایع را بنویسید و بجواب شرح دهید

که در دار الخلافه چه واقع شده است البته البته

تفصیل را بزودی بنویسید والسلام جمال الدین الحسینی

سواد دستخط مبارک اعلیحضرت اقدس همایون شاهنشاهی روحنا فداه

شنبه ۲۳ شهر ذی قعدة الحرام ۱۳۰۷

جناب امین السلطان

شنیدم سید جمال الدین سوء حرکت کرده

روانه قم بکنید اگر هنوز در طهران است

[illegible] البته

او را سوار روانه قم بکنید

فهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٩٩٤ / ٨٧

الترقيم الدولى × ـ ٢٨ ـ ١٤٢١ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN